**أصول الإيمان  
في ضوء الكتاب والسنة**

**إعداد**

**نخبة من العلماء**

2

بسم الله الرحمن الرحیم

الفهرس

[الفهرس ‌أ](#_Toc466977094)

[مقدمة معالي الوزير الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشـيخ 1](#_Toc466977095)

[المقدمة 3](#_Toc466977096)

[تمهيد 7](#_Toc466977097)

[الباب الأول: الإيمان بالله 9](#_Toc466977098)

[الفصل الأول: توحيد الربوبية 11](#_Toc466977099)

[المبحث الأول: معناه وأدلته من الكتاب والسنة والعقل والفطرة. 11](#_Toc466977100)

[المبحث الثاني: بيان أن الإقرار بهذا التوحيد وحده لا ينجي من العذاب. 13](#_Toc466977101)

[المبحث الثالث: مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية 16](#_Toc466977102)

[الفصل الثاني: توحيد الألوهية 17](#_Toc466977103)

[المبحث الأول: أدلته، وبيان أهميته 17](#_Toc466977104)

[المطلب الأول: أدلّتُه. 17](#_Toc466977105)

[المطلب الثاني: بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل. 19](#_Toc466977106)

[المطلب الثالث: بيان أنه محور الخصومة بين الرسل وأممهم. 20](#_Toc466977107)

[المبحث الثاني: وجوب إفراد الله بالعبادة، وتحته مطالب 22](#_Toc466977108)

[المطلب الأول: معنى العبادة والأصول التي تُبنى عليها. 22](#_Toc466977109)

[المطلب الثاني: ذكر بعض أنواع العبادة. 24](#_Toc466977110)

[المبحث الثالث: حماية المصطفى ج جناب التوحيد 26](#_Toc466977111)

[المطلب الأول: الرقى. 27](#_Toc466977112)

[المطلب الثاني: التمائم. 28](#_Toc466977113)

[المطلب الثالث: لبس الحلقة والخيط ونحوها. 30](#_Toc466977114)

[المطلب الرابع: التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها. 31](#_Toc466977115)

[المطلب الخامس: النهي عن أعمال تتعلق بالقبور. 32](#_Toc466977116)

[المطلب السادس: التوسل. 36](#_Toc466977117)

[المطلب السابع: الغلو. 44](#_Toc466977118)

[المبحث الرابع: الشرك والكفر وأنواعهما 45](#_Toc466977119)

[المطلب الأول: الشرك. 45](#_Toc466977120)

[المطلب الثاني: الكفر. 51](#_Toc466977121)

[المبحث الخامس: ادعاء علم الغيب وما يلحق به 55](#_Toc466977122)

[الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات 59](#_Toc466977123)

[التمهيد الإيمان بالأسماء والصفات وأثر ذلك في سلوك المسلم 59](#_Toc466977124)

[المبحث الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات وأدلته 60](#_Toc466977125)

[المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية لإثبات الأسماء والصفات في ضوء الكتاب والسنة 64](#_Toc466977126)

[المبحث الثالث: قواعد في باب الأسماء والصفات 69](#_Toc466977127)

[الباب الثاني: بقية أركان الإيمان 75](#_Toc466977128)

[الفصل الأول: الإيمان بالملائكة 75](#_Toc466977129)

[المبحث الأول: تعريف الملائكة وأصل خلقتهم، وصفاتهم، وخصائصهم 75](#_Toc466977130)

[المبحث الثاني منزلة الإيمان بالملائكة وكيفيته وأدلة ذلك 79](#_Toc466977131)

[المبحث الثالث: وظائف الملائكة 85](#_Toc466977132)

[الفصل الثاني الإيمان بالكتب المنزلة 92](#_Toc466977133)

[تمهيد في تعريف الوحي لغة وشرعا وبيان أنواعه 92](#_Toc466977134)

[المبحث الأول حكم الإيمان بالكتب وأدلته 95](#_Toc466977135)

[المبحث الثاني كيفية الإيمان بالكتب 97](#_Toc466977136)

[المبحث الثالث بيان أن التوراة والإنجيل وبعض الكتب الأخرى المنزلة دخلها التحريف وسلامة القرآن من ذلك 103](#_Toc466977137)

[المبحث الرابع الإيمان بالقرآن وخصائصه 106](#_Toc466977138)

[الفصل الثالث الإيمان بالرسل 112](#_Toc466977139)

[المبحث الأول: حكم الإيمان بالرسل وأدلته 112](#_Toc466977140)

[المبحث الثاني: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما 114](#_Toc466977141)

[المبحث الثالث: كيفية الإيمان بالرسل 116](#_Toc466977142)

[المبحث الرابع: ما يجب علينا نحو الرسل 119](#_Toc466977143)

[المبحث الخامس: أولو العزم من الرسل 122](#_Toc466977144)

[المبحث السادس خصائص نبينا محمد ج وحقوقه على أمته مع بيان أن رؤية النبي ج في المنام حق 123](#_Toc466977145)

[المبحث السابع: ختم الرسالة وبيان أنه لا نبي بعده 135](#_Toc466977146)

[المبحث الثامن: الإسراء بالرسول ج حقيقته وأدلته 138](#_Toc466977147)

[المبحث التاسع: القول في حياة الأنبياء † 142](#_Toc466977148)

[المبحث العاشر: معجزات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات الأولياء 146](#_Toc466977149)

[المبحث الحادي عشر: الولي والولاية في الإسلام 150](#_Toc466977150)

[الفصل الرابع: الإيمان باليوم الآخر 153](#_Toc466977151)

[المبحث الأول: أشراط الساعة وأنواعها 153](#_Toc466977152)

[المبحث الثاني: نعيم القبر وعذابه 162](#_Toc466977153)

[المطلب الأول: الإيمان بنعيم القبر وعذابه وأدلة ذلك 162](#_Toc466977154)

[المطلب الثاني: وقوع نعيم القبر وعذابه على الروح والجسد معا 163](#_Toc466977155)

[المطلب الثالث: الإيمان بالملكين منكر ونكير 165](#_Toc466977156)

[المبحث الثالث الإيمان بالبعث 166](#_Toc466977157)

[المطلب الأول: معنى البعث وحقيقته 167](#_Toc466977158)

[المطلب الثاني: أدلة البعث من الكتاب والسنة والنظر 168](#_Toc466977159)

[المطلب الثالث: الحشر 169](#_Toc466977160)

[المطلب الرابع: الحوض، صفته وأدلته 170](#_Toc466977161)

[المطلب الخامس: الميزان صفته وأدلته 171](#_Toc466977162)

[المطلب السادس: الشفاعة، تعريفها وأنواعها وأدلتها 173](#_Toc466977163)

[المطلب السابع: الصراط، صفته وأدلته 175](#_Toc466977164)

[المطلب الثامن: الجنة والنار، صفتهما وكيفية الإيمان بـهما وأدلة ذلك 176](#_Toc466977165)

[الفصل الخامس الإيمان بالقضاء والقدر ويشتمل على مبحثين 179](#_Toc466977166)

[المبحث الأول تعريف القضاء والقدر، وأدلة ثبوتهما مع بيان الفرق بينهما 179](#_Toc466977167)

[المبحث الثاني مراتب القدر 181](#_Toc466977168)

[الباب الثالث مسائل متفرقة في العقيدة 183](#_Toc466977169)

[الفصل الأول: الإسلام والإيمان والإحسان. 183](#_Toc466977170)

[المبحث الأول: الإسلام 183](#_Toc466977171)

[المبحث الثاني: الإيمان وأركانه وبيان حكم مرتكب الكبيرة 184](#_Toc466977172)

[المبحث الثالث: الإحسان 188](#_Toc466977173)

[المبحث الرابع العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان 188](#_Toc466977174)

[الفصل الثاني: الولاء والبراء معناه وضوابطه 189](#_Toc466977175)

[الفصل الثالث: حقوق الصحابة وما يجب نحوهم 193](#_Toc466977176)

[المبحث الأول: من هم الصحابة ووجوب محبتهم وموالاتهم 194](#_Toc466977177)

[المبحث الثاني وجوب اعتقاد فضلهم وعدالتهم والكف عما شجر بينهم في ضوء الأدلة الشرعية 196](#_Toc466977178)

[المبحث الثالث أهل بيت النبي ج 198](#_Toc466977179)

[المبحث الرابع الخلفاء الراشدون 200](#_Toc466977180)

[المبحث الخامس العشرة المبشرون بالجنة 202](#_Toc466977181)

[الفصل الرابع: الواجب نحو أئمة المسلمين وعامتهم ولزوم جماعتهم 204](#_Toc466977182)

[الفصل الخامس: وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة وأدلة وجوبه 207](#_Toc466977183)

[المبحث الأول معنى الاعتصام بالكتاب والسنة وأدلة وجوبه 207](#_Toc466977184)

[المبحث الثاني: التحذير من البدع 210](#_Toc466977185)

[المبحث الثالث ذم التفرق والاختلاف 212](#_Toc466977186)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة معالي الوزير الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشـيخ

بقلم معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشـيخ وزير الشـؤون الإسـلامية والأوقاف والدعوة والإرشـاد المشرف العام على المجمع.

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125]. والصلاة والسـلام علـى أشرف الأنبياء والمرسلين، القـائل: «بلغوا عني ولو آية»([[1]](#footnote-1)) [ البخـاري: 3461].

أما بعد: فإنفاذًا لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبـد العزيز آل سعود- حفظه الله- في إيصال الخير إلى عمـوم المسـلمين في مشارق الأرض ومغاربها، بدءًا بالعناية بكتاب الله، والعمل على تيسير نشره، وترجمة معانيه، وتوزيعه بين المسلمين، والراغبين في دراسته من غـيرهم، ثم نشر ما ينفع المسلمين في جميع شؤون حياتهم الدينية والدنيوية.

وإيمانًا من وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ممثلـة في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، بأهمية الدعـوة إلى الله تعالى على بصيرة فإنه يسرها أن تقدم كتاب: (أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة).

وذلك لتبصير المسلمين في أمور العقيدة التي هي أساس الإيمان، لقولـه صلى الله ج «إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله»([[2]](#footnote-2)). [البخاري: 52]، وستتبعه إن شاء الله تعالى سلسلة من الكتـب في الحديث، والفقه، والذكر والدعاء، والتي نرجو من الله العلي القدير أن ينفـع بها عموم المسلمين.

وبهذه المناسبة يسرني أن أشكر الإخوة الذين قاموا بـإعداد الكتـاب (تأليفًا، ومراجعة، وصياغة) جهدهم المخلص، وللأمانة العامـة للمجمـع حسن اهتمامها ومتابعتها، وأدعو الله تعالى أن يحفظ هذه البلاد راعية للدين، وحامية للعقيدة الصحيحة في ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين، وسمـو ولي عهده الأمين، وسمو النائب الثاني، حفظهم الله، وآخر دعوانا أن الحمـد لله رب العالمين.

المقدمة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتمَّ علينا النعمة، وجعل أمَّتنا-أمَّـة الإسلام- خيرَ أمَّة، وبعث فينا رسولًا منَّا يتلو علينا آياته ويزكينا، ويعلِّمنـا الكتاب والحكمة، والصلاة والسلام على مَن أرسله الله للعالمين رحمة، نبيِّنـا محمد وعلى آله وصحبه.

أمـا بعد: فإنَّ الحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحـده، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ٥٦﴾ [الذاريات: 56]. ولذا كان التوحيد والعقيدة الصحيحة المأخوذةُ من منبعها الأصلي وموردهـا المبارك كتاب الله وسنة رسوله ج هي الغاية لتحقيق تلك العبـادة، فـهي الأساس لعمارة هذا الكون، وبفقدها يكون فساده وخرابه واختلاله، كـمـا قال الله تعـالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ٢٢﴾ [الأنبياء: 22]، وقال سـبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا١٢﴾ [الطلاق: 12]، إلى غير ذلك من الآيات.

ولما كان غير ممكن للعقول أن تستقلَّ بمعرفة تفاصيل ذلك بعـث الله رسلَه وأنـزل كتبَه؛ لإيضاحه وبيانه وتفصيله للناس حتى يقوموا بعبـادة الله على علم وبصيرة وأسسٍ واضحةٍ ودعائم قويمةٍ، فتتابع رسلُ الله على تبليغه، وتوالوا في بيانه كما قال سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24]، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾ [المؤمنون: 44]، أي يتبع بعضُهم بعضًا إلى أن ختمهم بسيِّدهم وأفضلهم وإمامهم نبيِّنا محمد ج فبَلّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأمَّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده ودعا إلى الله سـرًّا وجهرًا، وقام بأعباء الرسالة أكملَ قيام، وأوذيَ في الله أشدَّ الأذى، فصـبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ولم يزل داعيًا إلى الله هاديـًا إلى صراطـه المستقيم حتى أظهر الله به الدِّين، وأتم به النِّعمة، ودخل الناس بسبب دعوتـه في دين الله أفواجًا، ولم يَمُت ج حتى أكمل الله به الدِّين وأتمَّ به النِّعمـة، وأنـزل في ذلك سبحانه قولـه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

فبيَّن صلوات الله وسلامه عليه الدين كلَّه أصوله وفروعه، كما قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس /: "مُحال أن يُظنَّ بالنبي ج أنه علَّم أمتـه الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد".

وقد كان ج داعيةً إلى توحيد الله وإخلاص الدِّين لله ونبذ الشرك كـلِّه كبيرِه وصغيره شأن جميع المرسلين؛ إذ أنَّ الرسلَ كلَّهم متَّفقون على ذلـك، متضافرون على الدعوة إليه، بل هو منطلقُ دعوتهم وزبدة رسالتهم وأسـاس بعثتهم، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ٣٦﴾ [النحل: 36]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ٢٥﴾ [الأنبياء: 25]، وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ٤٥﴾ [الزخرف: 45]، وقال تعـالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ١٣﴾ [الشورى: 13].

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة س عن رسول الله ج أَنه قال: «الأنبياء إخوة لعلَّات، أمَّهاتُهم شتَّى ودينُهم واحد»([[3]](#footnote-3))([[4]](#footnote-4)) فـالدِّين واحـدٌ، والعقيدة واحدةٌ، وإنَّما حصل التنوُّعُ بينهم في الشرائع، كما قـال تعـالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48].

ولذا ينبغي أن يكون متقرِّرا لدى كلِّ مسلم وواضحا لدى كلِّ مؤمـن أنَّ العقيدة لا مجال فيها للرأي والأخذ والعطاء، وإنَّما الواجب علـى كـلِّ مسلم في مشارق الأرض ومغاربها أن يعتقد عقيدة الأنبياء والمرسـلين، وأن يؤمن بالأصول التي آمنوا بها ودعوا إليها دون تشـكُّكٍ أو تـردُّدٍ، ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ٢٨٥﴾ [البقرة: 285].

فهذا شأنُ المؤمنين، وهذا سبيلهم: الإيمان والتسليم والإذعان والقبـول، وعندما يكون المؤمن كذلك ترافقه السلامة، ويتحقق له الأمـن والأمـان، وتزكو نفسُه، ويطمئنُّ قلبُه، ويكون بعيدًا تمام البعد عمَّا يقع فيه ضلَّال النـاس بسبب عقائدهم الباطلة من تناقض واضطراب وشكوك وأوهام وحَيرة وتذبذب.

والعقيدة الإسلامية الصحيحة بأصولها الثابتة وأسسها السـليمة وقواعدهـا المتينة هي- دون غيرها- التي تحقِّق للناس سعادتهم ورفعتهم وفلاحهم في الدنيـا والآخرة؛ لوضوح معالمها، وصحَّة دلائلها، وسـلامة براهينـها وحججـها، ولموافقتها للفطرة السليمة، والعقول الصحيحة، والقلوب السويَّة.

ولهذا فإنّ العالَمَ الإسلامي كلّه في أشدِّ الحاجة إلى معرفة هذه العقيدة الصافيـة النقيَّة؛ إذ هي قطبُ سعادته الذي عليه تدور، ومستقر نجاته الذي عنه لا تحور.

وفي هذا المؤلّف الوجيز يجد المسلم أصولَ العقيدة الإسلامية وأهـمَّ أسسـها وأبرزَ أصولها ومعالمها ممَّا لا غنى لمسلم عنه، ويجد ذلك كله مقرونا بدليله، مدعَّمًـا بشواهده، فهو كتاب مشتمل على أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، وهي أصول عظيمة موروثة عن الرسل، ظاهرة غاية الظهور، يمكن لكل مميِّز من صغـير وكبير أن يُدركها بأقصر زمان وأوجز مدَّة، والتوفيق بيد الله وحده. وبهذه المناسبة نتقدم بالشكر الجزيل للذين ساهموا في إعداد هذا الكتاب وهم: الدكتور صالح بـن سعد السحيمي، والدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، والدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي. كما نشـكر اللذين قاما بمراجعته وصياغته وهما: الدكتور علي بن محمد ناصر فقيهي، والدكتور أحمد بن عطية الغامدي.

وإنَّا لنرجوه سبحانه أن ينفع به عمومَ المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمـد لله رب العالمين.

الأمانة العامة

لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

تمهيد

لا يخفى على كل مسلم أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وكـثرة عوائـده وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو أجل المطالب، وأهم المقاصد، وأنبل الأهداف، وبه يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكـاره والشـرور والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ٩٧﴾ [النحل: 97]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا١٩﴾ [الإسراء: 19].

وقال تعـالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى٧٥﴾ [طه: 75]. وقـال تعـالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا١٠٧ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا١٠٨﴾ [الكهف: 107-108]. والآيات في هذا المعنى في القرآن الكريم كثيرة.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الإيمان يقوم على الأصـول الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقـدر خيره وشره، وقد جاء ذكر هذه الأصول في القرآن الكريم والسنة النبويـة في مواطن عديدة. منها:

1. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا١٣٦﴾ [النساء: 136].
2. وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: 177].
3. وقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ٢٨٥﴾ [البقرة: 285].
4. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ٤٩﴾ [القمر: 49].
5. وثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطـاب المشهور بحديث جبريل «أن جبريل سأل النبي ج فقال: أخبرني عن الإيمان، قـال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خـيره وشره»([[5]](#footnote-5))([[6]](#footnote-6)).

فهذه أصول ستة عظيمة يقوم عليها الإيمان، بل لا إيمـان لأحـد إلا بالإيمان بها، وهي أصول مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عـن بعـض، فالإيمان ببعضها مستلزم للإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفر بباقيها.

ولذا كان متأكدا في حق كل مسلم أن تعظم عنايته واهتمامـه بهـذه الأصول علما وتعلما وتحقيقا.

وفيما يلي بيان ما يتعلق بالأصل الأول من هذه الأصول وهو الإيمان بالله.

الباب الأول: الإيمان بالله

إن الإيمان بالله ﻷ هو أهم أصول الإيمـان، وأعظمـها شـأنا، وأعلاها قدرا، بل هو أصل أصول الإيمان، وأساس بنائه، وقوام أمره، وبقيـة الأصول متفرعة منه، راجعة إليه، مبنية عليه. والإيمان بالله ﻷ هـو الإيمان بوحدانيته سبحانه في ربوبية، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فهذه أصول ثلاثة يقوم عليها الإيمان بالله، بل إن الدين الإسلامي الحنيف إنمـا سـمي توحيدا لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ندَّ له.

وبهذا يعلم أن توحيد الأنبياء والمرسلين ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأنَّ الله تعالى رب كـلّ شيء ومليكُه وخالقُه ورازقُه، وأَنه المحيي المميتُ النـافعُ الضـار، المتفـرِّدُ بالإجابة عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرجـع الأمرُ كله، لا شريك له في ذلك.

القسم الثاني: توحيد الألوهية، وهو إفراد الله وحده بالذلِّ والخضـوع والمحبَّة والخشوع والركوع والسجود والذبح والنذر، وسائر أنواع العبـادة لا شريك له.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات، وهو إفراد الله تعالى. بما سمـى ووصف نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ج وتنـزيهه عـن النقـائص والعيوب ومماثلة الخلق فيما هو من خصائصه والإقرار بأنَّ الله بكلِّ شـيء عليم، وعلى كلِّ شيء قدير، وأنَّه الحـيُّ القيُّوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نـوم، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، وأنَّه سميع بصير، رؤوف رحيـم، علـى العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وأنَّه الـمَلِك القدوس السلام المؤمـن المهيمن العزيز الجبَّار المتكبِّر، سبحان الله عمَّا يشركون، إلى غير ذلك مـن الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

ولكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة دلائلُ كثيرة من الكتاب والسنة.

فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه وجزائه وفي شأن الشـرك وأهلـه وجزائهم.

وهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد قد أخذها أهل العلم بالاستقراء والتتبـع لنصوص الكتاب والسنة، وهو استقراء تامٌّ لنصوص الشرع، أفـاد هـذه الحقيقة الشرعية، وهي أنّ التوحيد المطلوب من العباد هو الإيمان بوحدانيـة الله في ربوبيته وألوهيَّته وأسمائه وصفاته، فمَن لم يأت بهذا جميعـه فليـس بمؤمن، وفيما يلي فصول ثلاثة في كل فصل منها بيان لقسـم مـن هـذه الأقسام:

الفصل الأول: توحيد الربوبية

المبحث الأول: معناه وأدلته من الكتاب والسنة والعقل والفطرة.

أولا: تعريفه:

أ- لغة: الربوبية مصدر من الفعل ربب، ومنه الربُّ، فالربوبية صفـة الله، وهي مأخوذة من اسم الرب، والرب في كلام العرب يطلق على معان: منها المالك، والسيد المطاع، والـمُصْلِح.

ب- أما في الاصطلاح: فإن توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله.

ومنها الخلق والرزق والسيادة والإنعام والملك والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكـم، والقضاء والقدر، وغـير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب على العبد أن يؤمن بذلك كله.

ثانيا: أدلته:

أ- من الكتاب: قوله تعـالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ١٠ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ١١﴾ [لقمان: 10-11]. وقولـه تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ٣٥﴾ [الطور: 35].

ب- من السنة: ما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبـد الله بن الشخير س مرفوعا وفيه: (السيد الله تبارك وتعالى..). وقد ثبت في الترمـذي وغيره أن النبي ج قال في وصيته لابن عباس ب:... «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعـوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضـروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»([[7]](#footnote-7)) ([[8]](#footnote-8)).

ج- دلالة العقل: دل العقل على وجود الله تعالى وانفراده بالربوبيـة وكمال قدرته على الخلق وسيطرته عليهم، وذلك عن طريق النظر والتفكر في آيات الله الدالة عليه. وللنظر في آيات الله والاستدلال بها على ربوبيته طـرق كثيرة بحسب تنوع الآيات وأشهرها طريقان:

الطريق الأول: النظر في آيات الله في خلق النفس البشرية وهو مـا يعرف بـ (دلالة الأنفس)، فالنفس آية من آيات الله العظيمة الدالة على تفرد الله وحده بالربوبية لا شريك له، كما قـال تعـالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ٢١﴾ [الذاريات: 21]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ٧﴾ [الشعراء: 7]، ولهذا لو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجـائب صنـع الله لأرشده ذلك إلى أن له ربا خالقا حكيما خبيرا؛ إذ لا يستطيع الإنسـان أن يخلق النطفة التي كان منها؟ أو أن يحولها إلى علقـة، أو يحـول العلقـة إلى مضغة، أو يحول المضغة عظاما، أو يكسو العظام لحما؟

الطريق الثاني: النظر في آيات الله في خلق الكون وهو ما يعـرف بـ (دلالة الآفاق)، وهذه كذلك آية من آيات الله العظيمة الدالـة علـى ربوبيته، قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ٥٣﴾ [فصلت: 53].

ومن تأمل الآفاق وما في هذا الكون من سماء وأرض، وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب وشمس وقمر، وما اشتملت عليـه الأرض مـن جبال وأشجار وبحار وأنهار، وما يكتنف ذلك من ليل ونهار وتسيير هـذا الكون كله بهذا النظام الدقيق؛ دله ذلك على أن هناك خالقا لهذا الكـون، موجدًا له مدبِّرًا لشؤونه، وكلما تدبر العاقل في هذه المخلوقـات وتغلغـل فكره في بدائع الكائنات علم أنها خُلقت للحق وبالحق، وأنـها صحـائف آيات، وكتب براهين ودلالات على جميع ما أخبر به الله عن نفسه وأدلـة على وحدانيته.

وقد جاء في بعض الآثار أن قوما أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفـة في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم /: (أخبروني قبل أن نتكلم في هـذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعـود بنفسها، فترسو بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد؟).

فقالوا: (هذا محال لا يمكن أبدا. فقال لهم: إذا كان هـذا محـالا في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله؟).

فنبه إلى أن اتساق العالم ودقة صنعه وتمام خلقه دليل علـى وحدانيـة خالقه وتفرده.

المبحث الثاني: بيان أن الإقرار بهذا التوحيد وحده لا ينجي من العذاب.

إن توحيد الربوبية هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة كما تقدم؛ ولذا فإنـه لا يصح إيمان أحد ولا يتحقق توحيده إلا إذا وحد الله في ربوبيته، لكن هذا النوع من التوحيد ليس هو الغاية من بعثة الرسل †، ولا ينجـي وحده من عذاب الله ما لم يأت العبد بلازمه توحيد الألوهية.

ولذا يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ١٠٦﴾ [يوسف: 106]، والمعنى أي: ما يقر أكثرهم بالله ربا وخالقا ورازقا ومدبـرا- وكل ذلك من توحيد الربوبية- إلا وهم مشركون معه في عبادته غيره مـن الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تمنع.

وبهذا المعنى للآية قال المفسرون من الصحابة والتابعين.

قال ابن عباس ب: (من إيمانهم إذا قيل لهـم مـن خلـق السماء، ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله وهم مشركون).

وقال عِكْرِمَة: (تسألهم من خلقهم ومن خلـق السماوات والأرض فيقولون الله فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره).

وقال مجاهد: (إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شـرك عبادتهم غيره).

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بن زيد: ليس أحد يعبد مـع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربُّه، وأنَّ الله خالقُه ورازقُه، وهـو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ٧٥ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ٧٧﴾ [الشعراء: 75-77]([[9]](#footnote-9)).

والنصوص عن السلف في هذا المعنى كثيرة، بل لقد كـان المشـركون زمن النبي ج مقرين بالله ربا خالقا رازقا مدبرا، وكان شركهم به من جهـة العبادة حيث اتخذوا الأنداد والشركاء يدعونهم ويستغيثون بهم وينزلون بهم حاجاتهم وطلباتهم.

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة منه علـى إقـرار المشـركين بربوبية الله مع إشراكهم به في العبادة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ٦١﴾ [العنكبوت: 61]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ٦٣﴾ [العنكبوت: 63]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ٨٧﴾ [الزخرف: 87]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ٨٥ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ٨٧ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ٨٩﴾ [المؤمنون: 84-89].

فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تنزل الغيث وترزق العالم وتدبر شؤونه، بل كانوا يعتقدون أن ذلك مـن خصـائص الـرب سبحانه، ويقرون أن أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرا ولا نفعا استقلالا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا تسمع ولا تبصر، ويقرون أن الله هو المتفرد بذلك لا شريك له، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم شيء من ذلك، وأنه سبحانه الخالق وما عداه مخلوق والرب ومـا عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء ووسائط، يشفعون لهـم بزعمهم عند الله ويقربونهم إليه زلفى؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: 3]، أي ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا.

ومع هذا الإقرار العام من المشركين لله بالربوبية إلا أنه لم يدخلـهم في الإسلام بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون وتوعدهم بالنار والخلـود فيها واستباح رسوله ج دماءهم وأموالهم لكونهم لم يحققـوا لازم توحيـد الربوبية وهو توحيد الله في العبادة.

وبهذا يتبين أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده دون الإتيان بلازمه توحيد الألوهية لا يكفي ولا ينجي من عذاب الله، بل هو حجة بالغة على الإنسان تقتضي إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وتستلزم إفـراد الله وحـده بالعبادة. فإذا لم يأت بذلك فهو كافر حلال الدم والمال.

المبحث الثالث: مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية

بالرغم من أن توحيد الربوبية أمر مركوز في الفطر، مجبولـة عليـه النفوس، متكاثرة على تقريره الأدلة، إلا أنه وجد في الناس من حصل عنـده انحراف فيه، ويمكن تلخيص مظاهر الانحراف في هذا الباب فيما يلي:

1. جحد ربوبية الله أصلًا وإنكار وجوده سبحانه، كما يعتقد ذلـك الملاحدة الذين يسندون إيجاد هذه المخلوقات إلى الطبيعة، أو إلى تقلب الليل والنهار، أو نحو ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: 24].
2. جحد بعض خصائص الرب سبحانه وإنكار بعض معاني ربوبيتـه، كمن ينفي قدرة الله على إماتته أو إحيائه بعد موته، أو جلب النفع لـه أو دفع الضر عنه، أو نحو ذلك.
3. إعطاء شيء من خصائص الربوبية لغير الله سبحانه، فمن اعتقـد وجود متصرف مع الله ﻷ في أي شيء من تدبير الكون من إيجـاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفـع شر أو غير ذلك مـن معاني الربوبية فهو مشرك بالله العظيم.

الفصل الثاني: توحيد الألوهية

الألوهية مشتقة من اسم الإله، أي المعبود المطاع، فالإله اسم من أسمـاء الله الحسنى، والألوهية صفة من صفات الله العظيمة، فهو سـبحانه المـألوه المعبود الذي يجب أن تألهه القلوب وتخضع له وتذل وتنقاد؛ لأنه سـبحانه الرب العظيم، الخالق لهذا الكون، المدبر لشؤونه، الموصوف بكل كمـال، المنـزه عن كل نقص، ولهذا فإن الذل والخضوع لا ينبغي إلا له، فحيـث كان متفردا بالخلق والإنشاء والإعادة لا يشركه في ذلك أحـد وجـب أن ينفرد وحده بالعبادة دون سواه لا يشرك معه في عبادته أحد.

فتوحيد الألوهية هو إفراد الله وحده بالعبادة، وذلك بأن يعلم العبدُ علمَ اليقِين أن الله وحده هو المألوه المعبود على الحقيقة، وأن صفـات الألوهيـة ومعانيها ليست موجودة في أحد من المخلوقات ولا يستحقها إلا الله تعـالى، فإذا علم العبد ذلك واعترف به حقا أفرد الله بالعبـادة كلـها الظـاهرة والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحـج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبرِّ الوالدين وصلة الأرحـام، ويقـوم بأصوله الباطنة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقـدر خيره وشره، لا يقصد بشيء من ذلك غرضا من الأغراض غير رضا ربـه وطلب ثوابه.

وفي هذا الفصل سيتم تناول جملةٍ من المباحث المهمة المتعلقة بهذا النـوع من التوحيد.

المبحث الأول: أدلته، وبيان أهميته

المطلب الأول: أدلّتُه.

لقد تضافرت النصوص وتظاهرت الأدلة علـى وجـوب إفـراد الله بالألوهية، وتنوعت في دلالتها على ذلك:

1. تارة بالأمر به، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ٢١﴾ [البقرة: 21]، وقولـه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ﴾ [النساء: 36]، وقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ [الإسراء: 23]، ونحوها من الآيات.
2. وتارة ببيان أنه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ٥٦﴾ [الذاريات: 56].
3. وتارة ببيان أنه المقصود من بعثة الرسل كمـا في قولـه تعـالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ٢٥﴾ [الأنبياء: 25].
4. وتارة ببيان أنه المقصود من إنـزال الكتب الإلـهية، كمـا في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ٢﴾ [النحل: 2].
5. وتـارة ببيان عظيم ثواب أهله وما أعد لهم من أجور عظيمـة ونعم كريمة في الدنيـا والآخرة، كما قال الله تعـالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ٨٢﴾ [الأنعام: 82].
6. وتارة بالتحذير من ضده، وبيان خطورة مناقضته، وذكر ما أعـد سبحانه من عقاب أليم لمن تركه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: 72]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا٣٩﴾ [الإسراء: 39].

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليـه والتنويه بفضله وبيان ثواب أهله وعظم خطورة مخالفته.

والسنة النبوية كذلك مليئة بالأدلة على هذا التوحيد وأهميته، من ذلك:

1. ما رواه البخاري في صحيحه عن معاذ بن جبل س قال: قال النبي ج «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم. قـال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه؟ قال: الله ورسـوله أعلم. قال: أن لا يعذبهم»([[10]](#footnote-10))([[11]](#footnote-11)).
2. وعن ابن عباس س قال: لما بعث النبي ج معاذا نحو اليمن قال لـه: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكـن أول مـا تدعوهـم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فـرض عليـهم خمـس صلوات»([[12]](#footnote-12))....، الحديث، رواه البخاري([[13]](#footnote-13)).
3. وعن ابن مسعود س أن رسـول الله ج قـال: «مـن مـات وهـو يـدعو من دون الله نـدًّا دخل النار» ([[14]](#footnote-14))، رواه البخاري ([[15]](#footnote-15)).
4. وعن جابر بن عبد الله س أن رسول الله ج قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شـيئا دخـل النـار»([[16]](#footnote-16))، رواه مسلم ([[17]](#footnote-17)).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

المطلب الثاني: بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل.

لا ريب أن توحيد الألوهية هو أعظم الأصول على الإطلاق وأكملـها وأفضلها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقـده يكون الشر والفساد، ولذا كان هذا التوحيد زبدة دعـوة الرسـل وغايـة رسالتهم وأساس دعوتهم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36]، وقـال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ٢٥﴾ [الأنبياء: 25].

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة أن توحيد الألوهية هو مفتـاح دعوة الرسل، وأن كل رسول يبعثه الله يكون أول ما يدعو قومه إليه توحيد الله وإخلاص العبادة له، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ٦٥﴾ [الأعراف: 65]، وقال تعـالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 73]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ﴾ [الأعراف: 85].

المطلب الثالث: بيان أنه محور الخصومة بين الرسل وأممهم.

تقدم أن توحيد العبادة هو مفتتح دعوات الرسل جميعهم، فمـا مـن رسول بعثه الله إلا وكان أول ما يدعو قومه إليه هو توحيد الله، ولذا كانت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم في ذلك، فالأنبياء يدعونهم إلى توحيـد الله وإخلاص العبادة له، والأقوام يصرون على البقاء على الشرك وعبادة الأوثان إلا من هداه الله منهم.

قال الله تعالى عن قوم نوح ÷: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا٢٣ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا٢٤﴾ [نوح: 23-24]، وقال عن قوم هود ÷: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ٢٢﴾ [الأحقاف: 22]، ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ٥٣﴾ [هود: 53].

وقال عن قوم صالح ÷: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ٦٢﴾ [هود: 62].

وقال عن قوم شعيب ÷: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ٨٧﴾ [هود: 87].

وقال عن كفـار قريـش: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ٤ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ٥ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ٦ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ٧﴾ [ص: 4-7].

وقـال: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا٤١ إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا٤٢ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا٤٣ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا٤٤﴾ [الفرقان: 41-44].

فهذه النصوص وما جاء في معناها تدل أوضح دلالـة أن المعـترك والخصومة بين الأنبياء وأقوامهم إنما كان حول توحيد العبادة والدعـوة إلى إخلاص الدين لله.

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ج قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيمـوا الصـلاة ويؤتـوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحـق الإسـلام وحسابهم على الله»([[18]](#footnote-18))([[19]](#footnote-19)).

وثبت في الصحيح أيضا عن النبي ج قال: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرُم ماله ودمه وحسابه على الله»([[20]](#footnote-20))([[21]](#footnote-21)).

المبحث الثاني: وجوب إفراد الله بالعبادة، وتحته مطالب

المطلب الأول: معنى العبادة والأصول التي تُبنى عليها.

العبادة في اللغة: الذل والخضوع، يقال: بعير معبد، أي: مذلل، وطريـق معبد: إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام.

وشرعا: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمـال الظاهرة والباطنة.

وسيأتي ما يوضح ذلك عند ذكر بعض أنواع العبادة.

وهي تبنى على ثلاثة أركان:

الأول: كمال الحب للمعبود سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا ﴾ [البقرة: 165].

الثاني: كمال الرجاء، كما قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ [الإسراء: 57].

الثالث: كمال الخوف من الله سبحانه، كما قـال تعـالى: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء: 57].

وقد جمع الله سبحانه بين هذه الأركان الثلاثة العظيمة في فاتحة الكتـاب في قوله سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ٢﴾ [الفاتحة: 2] ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ٣﴾ [الفاتحة: 3] ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ٤﴾ [الفاتحة: 4]، فالآية الأولى فيها المحبة؛ فإن الله منعم، والمنعم يُحبُّ علـى قـدر إنعامه، والآية الثانية فيها الرجاء، فالمتصف بالرحمة ترجى رحمتـه، والآية الثالثة فيها الخوف، فمالك الجزاء والحساب يخاف عذابه.

ولهذا قال تعالى عقب ذلك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ٥﴾ [الفاتحة: 5]، أي: أعبدك يا رب هـذه الثلاث: بمحبتك التي دل عليها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ٢﴾ [الفاتحة: 2]، ورجائك الـذي دل عليه: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ٣﴾ [الفاتحة: 3]، وخوفـك الـذي دل عليـه: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ٤﴾ [الفاتحة: 4].

والعبادة لا تقبل إلا بشرطين:

1. الإخلاص فيها للمعبود؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الخـالص لوجهه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾ [البينة: 5]، وقَال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: 3]، وقال تعـالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي١٤﴾ [الزمر: 14].
2. المتابعة للرسول ج؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق لهدي الرسول ج قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [الحشر: 7]، وقَال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا٦٥﴾ [النساء: 65].

وقوله ج «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فـهو رد»([[22]](#footnote-22))([[23]](#footnote-23)) (أي مردود عليه).

فلا عبرة بالعمل ما لم يكـن خالصا لله صوابا على سنة رسـول الله ج قال الفضيل بن عياض / في قوله تعـالى: ﴿الِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2]: (أخلصه وأصوبه)، قيل: يا أبا علي، وما أخلصـه وأصوبه؟ قال: (إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبـل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص مـا كان لله، والصواب ما كان على السنة) ([[24]](#footnote-24)).

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين قوله تعالى في آخر سورة الكهف: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا١١٠﴾ [الكهف: 110].

المطلب الثاني: ذكر بعض أنواع العبادة.

العبادة أنواعها كثيرة، فكل عمل صالح يحبه الله ويرضاه قولي أو فعلـي ظاهر أو باطن فهو نوع من أنواعها وفرد من أفرادها، وفيما يلي ذكر بعـض الأمثلة على ذلك:

1- فمن أنواع العبادة: الدعاء، بنوعيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

قـال الله تعـالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: 14]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا١٨﴾ [الجن: 18]، وقال تعـالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ٦﴾ [الأحقاف: 5-6].

فمن دعا غير الله ﻷ بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كـافر سـواء كان المدعو حيا أو ميتا، ومن دعا حيا. بما يقدر عليه مثل أن يقـول: يا فلان أطعمني، أو يا فلان اسقني، ونحو ذلك فلا شيء عليه، ومن دعا ميتا أو غائبا. بمثل هذا فإنه مشرك؛ لأن الميت والغائب لا يمكن أن يقوم. بمثل هذا.

والدعاء نوعان: دعاء المسألة ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة، هو سؤال الله من خيري الدنيا والآخرة، ودعاء العبـادة يدخل فيه كل القربات الظاهرة والباطنة؛ لأن المتعبد لله طالب بلسان مقالـه ولسان حاله من ربه قبول تلك العبادة والإثابة عليها.

وكل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء والنهي عن دعـاء غـير الله والثناء على الداعين يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة.

2، 3، 4- ومن أنواع العبادة: المحبة والخوف والرجاء، وقد تقـدم الكلام عليها وبيان أنها أركان للعبادة.

5- ومن أنواعها: التوكل، وهو الاعتماد على الشيء.

والتوكل على الله: هو صدق تفويض الأمر إلى الله تعالى اعتمادا عليـه وثقة به مع مباشرة ما شرع وأباح من الأسباب لتحصيـل المنـافع ودفـع المضار، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ﴾ [الطلاق: 3].

6، 7، 8- ومن أنواع العبادة: الرغبة والرهبة والخشوع.

فأما الرغبة: فمحبة الوصول إلى الشيء المحبوب، والرهبة: الخوف المثمـر للهرب من المخوف، والخشوع: الذل والخضوع لعظمة الله بحيث يستسـلم لقضائه الكوني والشرعي، قال الله تعالى في ذكر هذه الأنواع الثلاثة مـن العبادة: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ٩٠﴾ [الأنبياء: 90].

9- ومن أنواعها: الخشية، وهي الخوف المبني على العلم بعظمة مـن يخشاه وكمال سـلطانه، قـال الله تعـالى: ﴿مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ [البقرة: 150].

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: 3].

10- ومنها الإنابة، وهي الرجوع إلى الله تعـالى بالقيـام بطاعتـه واجتناب معصيته، قال الله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: 54].

11- ومنها: الاستعانة، وهي طلب العون من الله في تحقيـق أمـور الدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ٥﴾ [الفاتحة: 5]، وقـال ج في وصيته لابن عباس: «إذا استعنت فاستعن بالله» ([[25]](#footnote-25))([[26]](#footnote-26)).

12- ومنها: الاستعاذة، وهي طلب الإعاذة والحماية من المكـروه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ٢﴾ [الفلق: 1-2] وقال تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ١ مَلِكِ النَّاسِ٢ إِلَهِ النَّاسِ٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ٤﴾ [الناس: 1-4].

13- ومنها الاستغاثة، وهو طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشـدة والهلاك، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: 9].

14- ومنها الذبح، وهو إزهاق الروح بإراقـة الـدم علـى وجـه الخصوص تقربا إلى الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ١٦٢﴾ [الأنعام: 162]، وقال تعـالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ٢﴾ [الكوثر: 2].

15- ومنها النذر، وهو إلزام المرء نفسه بشيء ما، أو طاعة لله غـير واجبة، قال الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا٧﴾ [الإنسان: 7].

فهذه بعض الأمثلة على أنواع العبادة، وجميع ذلك حق لله وحـده لا يجوز صرف شيء منه لغير الله.

والعبادة بحسب ما تقوم به من الأعضاء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عبادات القلب، كالمحبـة والخوف والرجـاء والإنابـة والخشية والرهبة والتوكل ونحو ذلك.

القسم الثاني: عبادات اللسان، كالحمد والتهليل والتسبيح والاسـتغفار وتلاوة القرآن والدعاء ونحو ذلك.

القسم الثالث: عبادات الجوارح، كالصلاة والصيام والزكاة والحـج والصدقة والجهاد، ونحو ذلك.

المبحث الثالث: حماية المصطفى ج جناب التوحيد

لقد كان النبي ج حريصا أشد الحرص على أمته؛ لتكون عزيزة منيعـة محققة لتوحيد الله ﻷ مجانبة لكل الوسائل والأسباب المفضية لما يضاده ويناقضه، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ١٢٨﴾ [التوبة: 128].

وقد أكثر ج في النهي عن الشرك وحذر وأنذر وأبدأ وأعاد وخص وعم في حماية الحنيفية السمحة ملة إبراهيم التي بعث بها من كل مـا قـد يشوبها من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص، وهـذا كثير في السنة الثابتة عنه ج فأقام الحجة، وأزال الشبهة، وقطع المعـذرة، وأبان السبيل.

وفي المطالب التالية عرض يتبين من خلاله حماية المصطفـى ج حمـى التوحيد وسده كل طريق يفضي إلى الشرك والباطل.

المطلب الأول: الرقى.

أ- تعريفها: الـرقى جمـع رقية، وهي القراءة والنفث طلبا للشفاء والعافية، سواء كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية النبوية المأثورة.

ب- حكمها: الجواز، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

فعن عوف بن مالك س قال: «كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكـن فيه شرك»([[27]](#footnote-27))، رواه مسلم([[28]](#footnote-28)).

وعن أنس بن مالك س قال: «رخص رسـول الله ج في الرقيـة مـن العين([[29]](#footnote-29)) والحمة ([[30]](#footnote-30)) والنملة»([[31]](#footnote-31))، رواه مسلم ([[32]](#footnote-32)).

وعن جابر بن عبد الله س قال: قال رسول الله ج «مـن استطاع أن ينفع أخاه فليفعل»([[33]](#footnote-33))، رواه مسلم ([[34]](#footnote-34)).

وعن عائشة ل قالت: «كان رسول الله ج إذا اشتكى منـا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما»([[35]](#footnote-35))، رواه البخاري ومسلم([[36]](#footnote-36)).

ج- شروطها: ولجوازها وصحتها شروط ثلاثة:

الأول: أن لا يعتقد أنها تنفع لذاتها دون الله، فإن اعتقد أنها تنفع بذاتهـا من دون الله فهو محرم، بل هو شرك، بل يعتقد أنها سبب لا تنفع إلا بإذن الله.

الثاني: أن لا تكون بما يخالف الشرع كما إذا كانت متضمنة دعاء غير الله أو استغاثة بالجن وما أشبه ذلك، فإنها محرمة، بل شرك.

الثالث: أن تكون مفهومة معلومة، فإن كانت من جنـس الطلاسـم والشعوذة فإنها لا تجوز.

وقد سئل الإمام مالك /: أيرقي الرجل ويسترقي؟ فقـال: (لا بأس بذلك، بالكلام الطيب).

د- الرقية الممنوعة: كل رقية لم تتوفر فيها الشروط المتقدمة فإنها محرمة ممنوعة، كأن يعتقد الراقي أو المرقي أنها تنفع وتؤثر بذاتها، أو تكـون مشتملة على ألفاظ شركية وتوسلات كفرية وألفاظ بدعية، ونحو ذلـك، أو تكون بألفاظ غير مفهومة كالطلاسم ونحوها.

المطلب الثاني: التمائم.

أ- تعريفها: التمـائم جمع تميمة، وهي ما يعلق على العنق وغـيره من تعويـذات أو خرزات أو عظام أو نحوها لجلب نفع أو دفع ضـر، وكان العرب في الجاهلية يعلقونها على أولادهم يتقون بها العـين بزعمـهم الباطل.

ب- حكمها: التحريم،

بل هي نوع من أنواع الشرك؛ لما فيها من التعلق بغير الله؛ إذ لا دافـع إلا الله، ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وأسمائه وصفاته.

عن ابن مسعود س قال: سمعت رسول الله ج يقـول: «إن الرقـى والتمائم والتولة شرك»([[37]](#footnote-37))، رواه أبو داود والحاكم ([[38]](#footnote-38)).

وعن عبد الله بن عكيم س مرفوعا: «من تعلق شيئا وكل إليـه»([[39]](#footnote-39))، رواه أحمد والترمذي والحاكم([[40]](#footnote-40)).

وعن عقبة بن عامر س مرفوعا: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومـن تعلق ودعة فلا ودع الله له»([[41]](#footnote-41))، رواه أحمد والحاكم ([[42]](#footnote-42)).

وعن عقبة بن عامر س أن رسول الله ج قال: «من علق تميمة فقـد أشرك»([[43]](#footnote-43))، رواه أحمد([[44]](#footnote-44)). فهذه النصوص وما في معناها في التحذير من الرقـى الشركية التي كـانت هي غالب رقى العرب فنهي عنها لما فيها من الشـرك والتعلق بغير الله تعالى.

ج- وإذا كان المعلق من القرآن الكريم، فهذه المسألة اختلف فيها أهـل العلم، فذهب بعضهم إلى جواز ذلك، ومنهم من منع ذلك، وقال لا يجـوز تعليق القرآن للاستشفاء، وهو الصواب لوجوه أربعة:

1. عموم النهي عن تعليق التمائم، ولا مخصص للعموم.
2. سدا للذريعة، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس من القرآن.
3. أنه إذا علق فلا بد أن يمتهن المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجـة والاستنجاء، ونحو ذلك.
4. أن الاستشفاء بالقرآن ورد على صفة معينة، وهي القراءة بـه علـى المريض فلا تتجاوز.

المطلب الثالث: لبس الحلقة والخيط ونحوها.

أ- الحلقة قطعة مستديرة من حديد أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحـو ذلك، والخيط معروف، وقد يجعل من الصوف أو الكتان أو نحوه، وكـانت العرب في الجاهلية تعلق هذا ومثله لدفع الضر أو جلب النفع أو اتقاء العـين، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: 38]، ويقول تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا٥٦﴾ [الإسراء: 56].

وعن عمران بن حصين س «أن النبي ج رأى رجلا في يده حلقة مـن صفر فقال: ما هذه؟ قال: من الواهنة، فقال: انـزعها؛ فإنها لا تزيـدك إلا وهنا، انبذها عنك، فإنك لو مت وهي عليك مـا أفلحـت أبـدا»([[45]](#footnote-45))، رواه أحمد ([[46]](#footnote-46)).

وعن حذيفة بن اليمان س (أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمـى فقطعه وتلا قوله تعـالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ١٠٦﴾ [يوسف: 106]([[47]](#footnote-47)).

ب- حكم لبس الحلقة والخيط ونحو ذلك، محرم فإن اعتقد لابسها أنها مؤثرة بنفسها دون الله فهو مشرك شركا أكبر في توحيد الربوبية؛ لأنه اعتقد وجود خالق مدبر مع الله تعالى الله عما يشركون.

وإن اعتقد أن الأمر لله وحده وأنها مجرد سبب، ولكنه ليس مؤثرا فـهو مشرك شركا أصغر لأنه جعل ما ليس سببا سببا والتفت إلى غير ذلك بقلبه، وفعله هذا ذريعة للانتقال للشرك الأكبر إذا تعلق قلبه بها ورجا منها جلـب النعماء أو دفـع البلاء.

المطلب الرابع: التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها.

التبرك هو طلب البركة، وطلب البركة لا يخلو من أمرين:

1- أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم مثل القرآن قال الله تعـالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: 155]، فمـن بركتـه هدايتـه للقلوب وشفاؤه للصدور وإصلاحه للنفوس وتهذيبه للأخلاق، إلى غير ذلـك من بركاته الكثيرة.

2- أن يكون التبرك بأمر غير مشروع، كالتبرك بالأشجار والأحجـار والقبور والقباب والبقاع ونحو ذلك، فهذا كله من الشرك.

فعن أبي واقد الليثي قال: «خرجنا مع رسول الله ج إلى حنين ونحـن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة([[48]](#footnote-48)) يعكفون عندها وينوطـون بهـا أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يـا رسـول الله ج اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ج الله أكـبر، إنها السـنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنـو إسـرائيل لموسـى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: 138]، لتركبن سنـن مـن كـان قبلكـم»، رواه التـرمـذي وصـححه([[49]](#footnote-49)).

فقد دل هذا الحديـث على أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبـور والأحجار ونحوها من التبرك بها والعكوف عندها والذبح لها هو الشـرك، ولهذا أخبر في الحديث أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لمـا قـالوا لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فهؤلاء طلبوا سدرة يتبركون بهـا كمـا يتبرك المشركون، وأولئك طلبوا إلـها كما لهم آلهة، فيكون في كلا الطلبين منافاة للتوحيد؛ لأن التبرك بالشجر نوع من الشرك، واتخاذ إلـه غـير الله شرك واضح.

وفي قوله ج في الحديث: «لتركبن سنن من كان قبلكـم»([[50]](#footnote-50)) إشـارة إلى أن شيئا من ذلك سيقع في أمته ج وقد قال ذلك عليه الصلاة والسلام ناهيـا ومحذرا.

المطلب الخامس: النهي عن أعمال تتعلق بالقبور.

لقد كان الأمر في صدر الإسلام على منع زيارة القبور لقرب عـهدهم بالجاهلية حماية لحمى التوحيد وصيانة لجنابه، ولما حسن الإيمان وعظم شـأنه في الناس ورسخ في القلوب واتضحت براهين التوحيد وانكشـفت شـبهة الشرك جاءت مشروعية زيارة القبور محددة أهدافها موضحة مقاصدها.

فعن بريدة بن الحصيب س قال: قال رسول الله ج «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»([[51]](#footnote-51))، رواه مسلم ([[52]](#footnote-52)).

وعن أبي هريرة س قال: قال النبي ج «زوروا القبور فإنـها تذكـر الموت»([[53]](#footnote-53))([[54]](#footnote-54)).

وعن أبي سعيد الخدري س قال رسول الله ج «إني نهيتكـم عن زيـارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة»([[55]](#footnote-55))([[56]](#footnote-56)).

وعن أنس بن مالك س قال: قال رسول الله ج «كنت نهيتكم عـن زيارة القبور ألا فزوروها؛ فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرا»([[57]](#footnote-57))([[58]](#footnote-58)).

وعن بريدة س قال: «كان رسول الله ج يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول: السلام عليكـم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنـا إن شاء الله بكم للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية»([[59]](#footnote-59))، رواه مسلم([[60]](#footnote-60)).

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدل على أن مشروعية زيارة القبـور بعد المنع من ذلك إنما كانت لهدفين عظيمين وغايتين جليلتين:

الأولى: التزهيد في الدنيا بتذكر الآخرة والموت والبلى، والاعتبار بـأهل القبور مما يزيد في إيمان الشخص ويقوي يقينه ويعظم صلته بالله، ويذهـب عنه الإعراض والغفلة.

الثانية: الإحسان إلى الموتى بالدعاء لهم والترحم عليهم وطلب المغفـرة لهم وسؤال الله العفو عنهم.

هذا الذي دل عليه الدليل، ومن ادعى غير ذلـك طولـب بالحجـة والبرهان.

ثم إن السنة قد جاءت بالنهي عن أمور عديدة متعلقة بالقبور وزيارتها، صيانة للتوحيد وحماية لجنابه، يجب على كل مسلم تعلمها ليكون في أمنـة من الباطل وسلامة من الضلال، ومن ذلك:

1- النهي عن قول الهجر عند زيارة القبور.

وقد تقدم قوله ج «ولا تقولوا هجرا»([[61]](#footnote-61))، والمراد بالهجر كل أمر محظـور شرعا، ويأتي في مقدمة ذلك الشرك بالله بدعاء المقبورين وسؤالهم مـن دون الله والاستغاثة بهم وطلب المدد والعافية منهم، فكل ذلك من الشرك البـواح والكفر الصراح، وقد ثبت عن النبي ج أحاديث عديدة صريحة في المنع مـن ذلك والنهي عنه ولعن فاعله، ففي صحيح مسلم عن جندب بن عبـد الله س أنه قال: سمعت رسول الله ج قبل أن يموت بخمس يقول: «ألا إن من كـان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إنِّي أنهاكم عن ذلك»([[62]](#footnote-62))([[63]](#footnote-63)). فدعاء الأمـوات وسـؤالهم الحاجـات وصرف شيء من العبادة لهم شرك أكبر، أما العكوف عند القبور وتحـري إجابة الدعاء عندها ومثله الصلاة في المساجد التي فيها القبور فهو من البـدع المنكرة.

وفي الصحيحين عن عائشة ل: أنه ج قال في مرضه الـذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»([[64]](#footnote-64))([[65]](#footnote-65)).

2- الذبح والنحر عند القبور.

فإن كان ذلك تقربا إلى المقبورين ليقضوا حاجة للشخص فهو شـرك أكبر وإن كان لغير ذلك فهو من البدع الخطيرة التي هي من أعظم وسـائل الشرك لقوله ج «لا عقر في الإسلام»([[66]](#footnote-66))، قال عبد الرزاق: «كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة»([[67]](#footnote-67))([[68]](#footnote-68)).

3، 4، 5، 6، 7- رفعها زيادة على التراب الخارج منـها، وتجصيصها، والكتابة عليها، والبناء عليها، والقعود عليها.

فكل ذلك من البدع التي ضلت بها اليهود والنصارى وكانت من أعظم ذرائع الشرك، فعن جابر س قال: «نهى رسول الله ج أن يجصص القـبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه، وأن يزاد عليه، أو يكتب عليه»([[69]](#footnote-69)). رواه مسلم، وأبو داود، والحاكم ([[70]](#footnote-70)).

8- الصلاة إلى القبور وعندها.

فعن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله ج يقول: «لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها»، رواه مسلم ([[71]](#footnote-71)).

وعن أبي سعيد الخدري س قال: قال رسول الله ج «الأرض كلـها مسجد، إلا المقبرة والحمام»([[72]](#footnote-72)). رواه أبو داود والترمذي ([[73]](#footnote-73)).

9- بناء المساجد عليها.

وهو بدعة من ضلالات اليهود والنصارى وتقدم حديث عائشة: «لعـن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»([[74]](#footnote-74)).

10- اتخاذها عيدا.

وهو من البدع التي جاء النهي الصريح عنها لعظم ضررها، فعـن أبي هريرة س قال: قال رسول الله ج «لا تتخذوا قبري عيدا ([[75]](#footnote-75)) ولا تجعلـوا بيوتكم قبورا، وحيثما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني»، رواه أبـو داود وأحمد ([[76]](#footnote-76)).

11- شد الرحال إليها.

وهو أمر منهي عنه لأنه من وسائل الشرك فعن أبي هريرة س عن النبي ج قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحـرام، ومسجد الرسول ج ومسجد الأقصى»([[77]](#footnote-77)). رواه البخاري ومسلم ([[78]](#footnote-78)).

المطلب السادس: التوسل.

أ- تعريفه: التوسـل مأخوذ في اللغة من الوسيلة، والوسـيلة والوصيلة معناهما متقارب، فالتوسـل هو التوصل إلى المراد والسعي في تحقيقه.

وفي الشرع يراد به التوصل إلى رضوان الله والجنة؛ بفعل ما شرعه وترك ما نهي عنه.

ب- معنى الوسيلة في القرآن الكريم:

وردت لفظة (الوسيلة) في القرآن الكريم في موطنين:

1- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ٣٥﴾ [المائدة: 35].

2- قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا٥٧﴾ [الإسراء: 57].

والمراد بالوسيلة في الآيتين، أي: القربة إلى الله بالعمل بما يرضيه، فقد نقل الحافظ ابن كثير / في تفسيره للآية الأولى عن ابن عباس ب أن معنى الوسيلة فيها القربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد وأبي وائـل والحسن البصري وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد([[79]](#footnote-79)).

وأما الآية الثانية فقد بين الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود س مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال: (نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين يعبدونهم لا يشعرون)([[80]](#footnote-80)).

وهذا صريح في أن المراد بالوسيلة ما يتقرب به إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة والعبادات الجليلة، ولذلك قال: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: 57] أي يطلبون ما يتقربون به إلى الله وينالون به مرضاته من الأعمال الصالحة المقربة إليه.

ج- أقسام التوسل:

ينقسم التوسل إلى قسمين: توسل مشروع، وتوسل ممنوع.

1- التوسل المشروع: هو التوسل إلى الله بالوسيلة الصحيحـة المشروعة، والطريق الصحيح لمعرفة ذلك هو الرجوع إلى الكتاب والسنة ومعرفة ما ورد فيهما عنها، فما دل الكتاب والسنة على أنه وسيلة مشروعة فهو من التوسل المشروع، وما سوى ذلك فإنه توسل ممنوع.

والتوسل المشروع يندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العظيمة، كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك الرحمن الرحيم أن تعافيني، أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي وترحمني، ونحو ذلك.

ودليل مشروعية هذا التوسل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180].

الثاني: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به العبد، كأن يقول: اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك، واتباعي لرسولك اغفر لي، أو يقول: اللهم إنـي أسألك بحبي لنبيك محمد ج وإيماني به أن تفرج عني، أو أن يذكر الداعي عملا صالحا ذا بال قام به فيتوسل به إلى ربه، كما في قصة أصحاب الغـار الثلاثة التي سيرد ذكرها.

ويدل على مشروعيته قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ١٦﴾ [آل عمران: 16]، وقوله تعـالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ٥٣﴾ [آل عمران: 53].

ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار الثلاثة كما يرويها عبـد الله بن عمر ب قال: سمعت رسول الله ج يقول: «بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنـه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه، وأني عمـدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أني اشتريـت منه بقرا، وأنه أتاني يطلـب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي: إنما لي عندك فـرق من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من الفرق، فساقها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت([[81]](#footnote-81)) عنهم الصخـرة، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنـت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشـيتك ففـرج عنـا، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر: اللـهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إلي، وإني راودتـها عـن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها فقالت: اتق الله ولا تفـض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركـت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلـك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا». رواه البخاري ([[82]](#footnote-82)).

الثالث: التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائـه، كأن يذهب المسلم إلى رجل يرى فيه الصلاح والتقوى والمحافظة على طاعـة الله، فيطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج كربته وييسر أمره.

ويدل على مشروعية هذا النوع أن الصحابة سم كـانوا يسألون النبي ج أن يدعو لهم بدعاء عام ودعاء خاص.

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك س «أن رجلا دخل يـوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ج قائم يخطب، فاسـتقبل رسول ج قائما فقال: يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله ج يديه فقال: اللهم اسقنا، اللهم اسـقنا، اللهم اسقنا، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعـة ([[83]](#footnote-83)) ولا شيئا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت مـن ورائـه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس ستا، ثم دخل رجل من ذلك البـاب في الجمعـة المقبلـة- ورسول الله ج قائم يخطب- فاستقبله قائما فقال: يا رسول الله، هلكـت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها، قال: فرفع رسـول الله ج يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال والظـراب ومنابت الشجر، قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس». قال شـريك: فسألت أنسا: أهو الرجل الأول؟ قَال: لا أدري ([[84]](#footnote-84)).

وفي الصحيحين أن النبي ج لما «ذكر أن في أمته سبعين ألفـا يدخلـون الجنة بغير حساب ولا عذاب وقال: (هم الذي لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) قام عكاشة بن محصن فقال: يا رسـول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: (أنت منهم)»([[85]](#footnote-85))([[86]](#footnote-86)). ومن ذلك حديـث ذكـر النبي ج أويسا القرني وفيه قال:«فاسألوه أن يستغفر لكـم».

وهذا النوع من التوسل إنما يكون في حياة من يطلب منه الدعاء، أمـا بعد موته فلا يجوز؛ لأنه لا عمل له.

2- التوسل الممنوع: هو التوسل إلى الله تعالى بما لم يثبت في الشريعة أنه وسيلة، وهو أنواع بعضها أشد خطورة من بعض، منها:

1. التوسل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغـائبين والاسـتغاثة بهـم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ونحو ذلك، فهذا مـن الشـرك الأكبر الناقل من الملة.
2. التوسل إلى الله بفعل العبادات عند القبور والأضرحة بدعـاء الله عندها، والبناء عليها، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك، وهذا من الشـرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر.
3. التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والصـالحين ومكانتهم ومنـزلتهم عند الله، وهذا محرم، بل هو من البدع المحدثة؛ لأنه توسل لم يشـرعه الله ولم يأذن به. قال تعالى: ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس: 59] ولأن جـاه الصـالحين ومكانتهم عند الله إنما تنفعهم هم، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى٣٩﴾ [النجم: 39]، ولذا لم يكن هذا التوسل معروفا في عهد النبي ج وأصحابه، وقد نص على المنع منه وتحريمه غير واحد من أهل العلم:

قال أبو حنيفة /: (يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فـلان أو بحق أوليائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام).

د- شبهات وردها في باب التوسل.

قد يورد المخالفون لأهل السنة والجماعة بعض الشبهات والاعتراضـات في باب التوسل؛ ليتوصلوا بها إلى دعم تقريراتهم الخاطئة، وليوهمـوا عـوام المسلمين بصحة ما ذهبوا إليه، ولا تخرج شبهات هؤلاء عن أحد أمرين:

الأول: إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة يستدل بها هؤلاء علـى مـا ذهبوا إليه، وهذه يفرغ من أمرها بمعرفة عدم صحتها وثبوتها، ومن ذلك:

1- حديث: «توسـلوا بجاهي فإن جاهي عنـد الله عظيـم»، أو «إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم»، وهو حديث بـاطل لم يـروه أحـد مـن أهل العلم، ولا هو في شـيء من كتـب الحديـث.

2- حديث: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور»، أو «فاسـتغيثوا بأهل القبور»، وهو حديث مكذوب مفترى على النبي ج باتفاق العلماء.

3- حديث: «لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه»، وهو حديث بـاطل مناقـض لدين الإسلام، وضعه بعض المشركين.

4- حديث: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لمـا غفرت لي، فقال: يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب لمـا خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيـت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمـك إلا أحـب الخلـق إليـك، فقـال: غفـرت لـك ولـولا محمـد مـا خلقتك»([[87]](#footnote-87)) وهو حديث باطل لا أصل له، ومثله حديث: «لولاك ما خلقـت الأفلاك».

فمثل هذه الأحاديث المكذوبة والروايات المختلقة الملفقة لا يجوز لمسـلم أن يلتفت إليها فضلا عن أن يحتج بها ويعتمدها في دينه.

الثاني: أحاديث صحيحة ثابتة عن النبي ج يسـيء هـؤلاء فهمـها ويحرفونا عن مرادها ومدلولها، ومن ذلك:

1- ما ثبت في الصحيح: «أن عمر بن الخطاب س كان إذا قحطـوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينـا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون»([[88]](#footnote-88))([[89]](#footnote-89)).

ففهمـوا مـن هـذا الـحديـث أن تـوسـل عمر س إنما كان بجـاه العبـاس س ومكانته عند الله ﻷ وأن المراد بقولـه: «كنـا نتوسل إليك بنبينا [أي بجاهه] فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينـا»([[90]](#footnote-90)) [أي بجاهه].

وهذا ولا ريبِ فهم خاطئ وتأويل بعيد لا يدل عليه سياق النص لا من قريب ولا من بعيد؛ إذ لم يكن معروفا لدى الصحابة التوسل إلى الله بـذات النبي ج أو جاهه، وإنما كانوا يتوسلون إلى الله بدعائه حال حياتـه كمـا تقدم بعض هذا المعنى، وعمر س لم يرد بقوله: «إنا نتوسل إليك بعم نبينا»([[91]](#footnote-91)) أي ذاته أو جاهه، وإنما أراد دعاءه، ولو كان التوسل بـالذات أو الجاه معروفا عندهم لما عدل عمر عن التوسل بـالنبي ج إلى التوسـل بالعباس س بل ولقال له الصحابة إذ ذاك كيف نتوسـل بمثـل العباس ونعدل عن التوسل بالنبي ج الذي هو أفضل الخلائق، فلما لم يقـل ذلك أحد منهم، وقد علم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه، وبعد مماتـه توسـلوا بدعاء غيره علم أن المشروع عندهم التوسل بدعـاء المتوسـل لا بذاته.

وبهذا يتبين أن الحديث ليس فيه متمسك لمن يقول بجـواز التوسـل بالذات أو الجاه.

2- حديث عثمان بن حنيف: «أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ج فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضـوءه ويدعـو بهـذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في»([[92]](#footnote-92))، رواه الـترمذي وأحمد وقال البيهقي إسناده صحيح([[93]](#footnote-93)).

ففهموا من الحديث أنه يدل على جواز التوسل بجاه النبي ج أو غـيره من الصالحين، وليس في الحديث ما يشهد لذلك، فإن الأعمى قد طلب مـن النبي ج أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره، فقال له: «إن شئت صبرت وإن شئت دعوت»([[94]](#footnote-94))، فقال: فادعه، إلى غير ذلك من الألفاظ الواردة في الحديـث المصرحة بأن هذا توسل بدعاء النبي ج لا بذاته أو جاهه؛ ولذا ذكر أهـل العلم هذا الحديث من معجزات النبي ج ودعائه المستجاب، فإنه ج ببركـة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره ولهـذا أورده البيـهقي في دلائـل النبوة ([[95]](#footnote-95)).

وأما الآن وبعد موت النبي ج فإن مثل هذا لا يمكن أن يكون لتعـذر دعاء النبي ج لأحد بعد الموت، كما قال النبي ج «إذا مات الإنسان انقطـع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو لـه»([[96]](#footnote-96))، رواه مسلم([[97]](#footnote-97)).

والدعاء من الأعمال الصالحة التي تنقطع بالموت.

وعلى كل فإن جميع ما يتعلق به هؤلاء لا حجة فيه؛ إما لعدم صحته، أو لعدم دلالته على ما ذهبوا إليه.

المطلب السابع: الغلو.

أ- تعريفه: الغلو في اللغة هو مجاوزة الحد، بأن يزيد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق.

وفي الشرع: هو مجاوزة حدود ما شرع الله لعباده سواء في العقيـدة أو العبادة.

ب- حكمه: التحريم؛ لما جاء من النصوص في النهي عنه والتحذيـر منه وبيـان سـوء عواقبه على أهله في العاجل والآجل. قال الله تعـالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: 171].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ٧٧﴾ [المائدة: 77].

وعن ابن عباس ب: أن رسـول الله ج قـال: «إيـاكم والغلو، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»([[98]](#footnote-98))، رواه أحمد والحـاكـم وصححه ووافقه الذهبي([[99]](#footnote-99)).

وعن ابن مسعود س قال: قال رسول الله ج «هلك المتنطعون»([[100]](#footnote-100))، قالهـا ثلاثا، رواه مسلم([[101]](#footnote-101)).

وعن عمر بن الخطاب س أن رسول الله ج قال: «لا تطروني كمـا أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنمـا أنـا عبـد الله ورسـوله»([[102]](#footnote-102))، رواه البخاري ([[103]](#footnote-103)).

والمراد هذا الحديث، أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كمـا غلـت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية والألوهية، وإنما أنا عبد الله فصفـوني بما وصفني به ربي، وقولوا: عبد الله ورسوله، فأبى الضلال إلا مخالفة لأمـره وارتكابا لنهيه وناقضوه أعظم المناقضة فغلوا فيه وبالغوا في إطرائه وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه، فسألوه مغفرة الذنوب وتفريـج الكروب وشفاء الأمراض ونحو ذلك مما هو مختص بالله وحده لا شريك لـه، وكل ذلك من الغلو في الدين.

المبحث الرابع: الشرك والكفر وأنواعهما

وفيه مطالب

ما من ريب أن في معرفة المسلم للشرك والكفر وأسبابهما ووسـائلهما وأنواعهما فوائد عظيمة، إذا عرفها معرفة يقصد من ورائها السلامة من هذه الشرور والنجاة من تلك الآفات، والله سبحانه يحـب أن تعرف سبيل الحـق لتحب وتسلك، ويحب أن تعرف سبل الباطل لتجتنب وتبغـض، والمسـلم كما أنه مطالب بمعرفة سبيل الخير ليطبقها، فهو كذلك مطالب بمعرفة سـبل الشر ليحذرها، ولهذا ثبت في الصحيحين عن حذيفة بن اليمان ب أنه قال: «كان الناس يسألون رسول الله ج عن الخير وكنت أسـأله عن الشر مخافة أن يدركني»([[104]](#footnote-104))([[105]](#footnote-105)).

ويقول عمر بن الخطاب س (إنما تنقض عـرى الإسـلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية).

والقرآن الكريم مليء بالآيات المبينة للشرك والكفر والمحذرة من الوقـوع فيهما، والدالة على سوء عاقبتهما في الدنيا والآخرة، بل إن ذلك مقصـد عظيم من مقاصد القرآن الكريم والسنة المطهرة، كمـا قـال الله تعـالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ٥٥﴾ [الأنعام: 55].

وفيما يِلي ذكر لبعض المطالب المهمة المتعلقة بهذا الجانب.

المطلب الأول: الشرك.

أ- تعريفه: يطلق الشرك في اللغة على التسوية بين الشيئين.

وله في الشرع معنيان: عام وخاص.

1- المعنى العام: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائصه سـبحانه، ويندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: الشرك في الربوبية، وهو تسوية غير الله بالله فيمـا هـو مـن خصائص الربوبية، أو نسبة شيء منها إلى غيره، كالخلق والرزق والإيجـاد والإماتة والتدبير لهذا الكون ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ٣﴾ [فاطر: 3].

الثاني: الشـرك في الأسماء والصفات، وهو تسوية غـير الله بـالله في شيء منها، والله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

الثالث: الشرك في الألوهية، وهو تسوية غير الله بالله في شـيء مـن خصائص الألوهية، كالصلاة والصيام والدعاء والاستغاثة والذبـح والنـذر ونحو ذلك.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: 165].

2- المعنى الخاص: وهو أن يتخذ لله ندا يدعوه كـما يدعو الله ويسأله الشفاعة كما يسأل الله ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، وهـذا هو المعنى المتبادر من كلمة (الشرك) إذا أطلقت في القرآن أو السنة.

ب- الأدلة على ذم الشرك وبيان خطره.

لقد تنوعت دلالة النصوص على ذم الشرك والتحذير منه وبيان خطـره وسوء عاقبته على المشركين في الدنيا والآخرة.

1. فقد أخبر الله سـبحانه أنه الذنب الذي لا يغفره إلا بالتوبة منـه قبل الموت، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48].
2. ووصفه بأنه أظلم الظلم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13].
3. وأخبر أنه محبط للأعمال، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ٦٥﴾ [الزمر: 65].
4. ووصفه بأن فيه تنقصا لرب العالمين ومساواة لغيره به، فقال تعالى: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ٩٦ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ٩٨﴾ [الشعراء: 96-98].
5. وأخبر أن من مات عليه يكون مخلدا في نار جهنم، فقال تعـالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: 72].

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة، وهي كثيرة جدا في القرآن الكريم.

ج- سبب وقوع الشرك:

إن أصل الشرك وسبب وقوعه في بني آدم هـو الغلـو في الصـالحين المعظمين، وتجاوز الحد في إطرائهم ومدحهم والثناء عليهم، قال الله تعـالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا٢٣ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا٢٤﴾ [نوح: 23-24].

فهذه أسـماء رجـال صـالحين من قوم نوح لما مـاتوا جعلـوا لـهم أصنـامـا على صـورهم وسـموها بأسمائهم قـاصدين بذلك تعظيمهم وتخليد ذكرهم وتذكر فضلهم إلى أن آل بهـم الأمـر إلى عبادتهم.

ويشـهد لـهذا ما روي عن ابن عباس ب أنـه قـال: (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أمـا ود فكـانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمـراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأمـا نسـر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسـون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ (ونسخ العلم)([[106]](#footnote-106)) العلـم عبدت)([[107]](#footnote-107)).

روى ابن جرير الطبري عن محمد بن قيس عند قوله تعالى: وقالوا لا تذرن آلهتك الآية، قال: (كانوا قوما صالحين من بني آدم، وكان لهـم أتباع يقتدون هم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهـم: لـو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما مـاتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهـم يسـقون المطر، فعبدوهم)([[108]](#footnote-108)). فجمعوا بين فتنتين:

الأولى: العكوف عند قبورهم.

الثانية: تصوير صورهم ونصبها في مجالسهم والجلوس إليها.

فبهذا وقع الشرك لأول مرة في تاريخ البشرية فهما أعظم وسائل الشرك في كل زمان ومكان.

د- أنواع الشرك: ينقسم الشرك إلى قسمين: أكبر وأصغر.

1- الشرك الأكبر: هو اتخاذ ند مع الله يعبد كما يعبد الله، وهـو ناقل من ملة الإسلام محبط للأعمال كلها، وصاحبه إن مات عليه يكـون مخلدا في نار جهنم لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها.

أنواع الشرك الأكبر: وينقسم الشرك الأكبر إلى أربعة أنواع:

1- شرك الدعوة، أي الدعاء، وذلك أن الدعاء من أعظـم أنـواع العبادة، بل هو لب العبادة كما قال النبي ج «الدعاء هو العبـادة»([[109]](#footnote-109))، رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن صحيح ([[110]](#footnote-110)) قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ٦٠﴾ [غافر: 60].

ولما ثبت أن الدعاء عبادة، فصرفه لغير الله شرك، فمن دعا نبيا أو ملكـا أو وليا أو قبرا أو حجرا أو غير ذلك من المخلوقين فهو مشرك كافر، كمـا قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ١١٧﴾ [المؤمنون: 117].

ومن الأدلة على أن الدعاء عبادة وأن صرفه لغير الله شرك قوله تعـالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ٦٥﴾ [العنكبوت: 65]، فأخبر عن هؤلاء المشركين بأنهم يشـركون بالله في رخائهم، ويخلصون له في كربهم وشدتهم، فكيف بمن يشرك بالله في الرخاء والشدة عياذا بالله.

2- شرك النية والإرادة والقصد، وذلك أن ينوي بأعماله الدنيـا أو الرياء أو السمعة، إرادة كلية كأهل النفاق الخلص، ولم يقصد بها وجـه الله والدار الآخرة، فهو مشرك الشرك الأكبر، قال الله تعـالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ١٥ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ١٦﴾ [هود: 15-16].

وهذا النوع من الشرك دقيق الأمر بالغ الخطورة.

3- شرك الطاعة، فمن أطاع المخلوقين في تحليل ما حرم الله أو تحـريم ما أحل الله، ويعتقد ذلك بقلبه أي أنه يسوغ لهم أن يحللوا ويحرموا ويسـوغ له ولغيره طاعته في ذلك مع علمه بأنه مخالف لدين الإسلام فقد اتخذهـم أربابا من دون الله وأشرك بالله الشرك الأكبر.

قال الله تعـالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ٣١﴾ [التوبة: 31].

وتفسير الآية الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصيـة (أي في تبديل حكـم الله) لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها النبي ج لعدي بن حـاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم؟ فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصيـة (في تبديل حكـم الله)، فقال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون مـا حرم الله فتحلونه»، قال: بلى. قال: «فتلك عبادتهم»، رواه الترمذي وحسنه، والطبراني في المعجم الكبير([[111]](#footnote-111)).

4- شرك المحبة، والمراد محبة العبودية المستلزمة للإجـلال والتعظيـم والذل والخضوع التي لا تنبغي إلا لله وحده لا شريك له، ومتى صرف العبد هذه المحبة لغير الله فقد أشرك به الشرك الأكبر، والدليل قوله تعـالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ١٦٥﴾ [البقرة: 165].

2- النوع الثاني من أنواع الشرك، الشرك الأصغر:

وهو كل ما كان ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه أو مـا جاء في النصوص تسميته شركا ولم يصل إلى حد الأكبر، وهو يقع في هيئـة العمل وأقوال اللسان. وحكمه تحت المشيئة كحكم مرتكب الكبيرة.

ومن أمثلته ما يلي:

أ- يسير الرياء، والدليل ما رواه الإمام أحمد وغيره عن النبي ج أنه قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: ومـا الشـرك الأصغر يا رسول الله قال: (الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جـازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»([[112]](#footnote-112))([[113]](#footnote-113)).

ب- قول: (ما شاء الله وشئت)، روى أبو داود في سننه عن النبي ج «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شـاء الله ثم شـاء فلان»([[114]](#footnote-114))([[115]](#footnote-115)).

ج- قـول: (لـولا الله وفـلان)، أو قول: (لـولا البـط لأتانـا اللصوص)، ونـحو ذلك، روى ابـن أبـي حاتم في تفسيره عـن ابـن عبـاس ب في معنى قـوله تعـالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22] قـال: (الأنداد هو الشـرك أخفى مـن دبيب النمل على صفاة سـوداء في ظلمة الليـل، وهـو أن تقـول: والله وحياتـك يـا فلانـة وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصـوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لأصحابه: مـا شـاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانا، هذا كلـه بـه شرك)([[116]](#footnote-116)).

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عديدة، أهمها ما يلي:

1. أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحـت المشيئة.
2. أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فـلا يحبـط إلا العمل الذي قارنه.
3. أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغـر فلا يخرجه منها.
4. أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرمة عليـه الجنـة، وأمـا الأصغر فكغيره من الذنوب.

المطلب الثاني: الكفر.

أ- تعريفه: الكفر لغة يطلق على الستر والتغطية.

وشـرعـا: ضد الإيمان، وهـو: عدم الإيمان بالله ورسـوله، سـواء كان معـه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل عـن شـك وريـب، أو إعراض عن ذلك حسدا وكبرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتبـاع الرسالة.

ب- أنواع الكفر:

الكفر نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.

فالكفر الأكبر هو الموجب للخلـود في النـار، والأصغـر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود.

أولا: الكفر الأكبر:

وهو خمسة أنواع:

1. كفـر التكذيب، وهو اعتقاد كذب الرسـل †، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهرا أو باطنا فقد كفر، والدليل قوله تعـالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ٦٨﴾ [العنكبوت: 68].
2. كفر الإباء والاستكبار، وذلك بأن يكون عالما بصدق الرسـول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكبارا وعنادا، والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ٣٤﴾ [البقرة: 34].
3. كفر الشك، وهو التردد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال لـه كفر الظن، وهو ضد الجزم واليقين.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا٣٥ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا٣٦ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا٣٧ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا٣٨﴾ [الكهف: 35-38].

1. كفر الإعراض، والمراد الإعراض الكلي عن الدين، بأن يعـرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول ج والدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: 3].
2. كفر النفاق، والمراد النفاق الاعتقادي بأن يظهر الإيمان ويبطـن الكفر([[117]](#footnote-117)) والدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ٣﴾ [المنافقون: 3].

والنفاق على ضربين:

1- نفاق اعتقاد وهو كفر أكبر ناقل من الملة وهـو سـتة أنـواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول، أو بغـض ما جاء به، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية لانتصـار ديـن الرسول.

2- ونفاق عملي وهو كفر أصغر لا ينقل من الملة، إلا أنـه جريمـة كبيرة وإثم عظيم، ومنه ما ذكره النبي ج في الحديث حيث قال: «أربـع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كـانت فيـه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حـدث كـذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»([[118]](#footnote-118)) متفق عليه([[119]](#footnote-119)).

وقال عليه الصلاة والسلام: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كـذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»([[120]](#footnote-120))، رواه البخاري ([[121]](#footnote-121)).

ثانيا: الكفر الأصغر:

وهو لا يخرج صاحبه من الملة ولا يوجب الخلود في النار وإنمـا عليـه الوعيد الشديد، وهو كفر النعمة، وجميع ما ورد في النصوص من ذكر الكفر الذي لا يصل إلى حد الكفر الأكبر. ومن الأمثلة عليه:

مـا ورد في قـوله تعـالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ١١٢﴾ [النحل: 112].

وفي قوله ج «اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحـة على الميت» ([[122]](#footnote-122))، رواه مسلم ([[123]](#footnote-123)).

وفي قوله ج «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» ([[124]](#footnote-124))، رواه البخاري ومسلم([[125]](#footnote-125)).

فهذا وأمثاله كفر دون كفر وهو لا يخرج من الملة الإسلامية.

لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ١٠﴾ [الحجرات: 9-10]، فسماهم الله ﻷ مؤمنين مع الاقتتال.

ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا٤٨﴾ [النساء: 48]، فدلـت الآية الكريمة على أن كل ذنب دون الشرك تحت المشيئة أي إن شـاء الله عذبـه بقدر ذنبه وإن شاء عفا عنه من أول وهلة، إلا الشرك به فإن الله لا يغفـره كما هو صريح في الآية وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: 72].

المبحث الخامس: ادعاء علم الغيب وما يلحق به

الغيب هو كل ما غاب عن العقول والأنظار مـن الأمـور الحـاضرة والماضية والمستقبلة، وقد استأثر الله ﻷ بعلمه واختص نفسه سـبحانه بذلك.

قال الله تعـالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: 65]، وقال تعالى: ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف: 26]، وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ٩﴾ [الرعد: 9].

فلا يعلم الغيب أحد إلا الله، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن هو دونهما.

قال الله تعالى عن نوح ÷: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [هود: 31]، وقال تعالى عن هود ÷: ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ [الأحقاف: 23]، وقال تعـالى لنبيـه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ﴾ [الأنعام: 50]، وقـال تعـالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ٣١ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ٣٢﴾ [البقرة: 31-32].

ثم إنه سبحانه قد يطلع بعض خلقه على بعض الأمور المغيبة عن طريـق الوحي، كما قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا٢٦ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا٢٧ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا٢٨﴾ [الجن: 26-28]، وهذا من الغيب النسبي الذي غـاب علمـه عـن بعـض المخلوقات دون بعض، أما الغيب المطلق فلا يعلمه إلا هو سبحانه، ومـن ذا الذي يدعي علمه وقد استأثر الله به.

ولهذا فإن الواجب على كل مسلم أن يحذر من الدجاجلة والكذابـين المدعين لعلم الغيب المفترين على الله، الذين ضلوا في أنفسهم وأضلوا كثـيرا وضلوا عن سواء السبيل، كالسحرة والكذابين والمنجمين، وغيرهم.

وفيما يلي عرض لجملة من أعمال هؤلاء التي يدعون بها علم الغيـب، ويضلون بها عوام المسلمين وجهالهم، ويفسدون بها عقيدتهم وإيمانهم.

1- السحر: وهو في اللغة ما خفي ولطف سببه.

وفي الاصطلاح هو عزائم ورقى وعقد يؤثِّر في القلـوب والأبـدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه بإذن الله، وهو كفر، والساحر كـافر بالله العظيم، وما له في الآخرة من خلاق، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ١٠٢﴾ [البقرة: 102].

ومنه النفث في العقد، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ٥﴾ [الفلق: 1-5].

2- التنجيم: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية التي لم تقع، فعن ابن عباس ب قال: قال رسول الله ج «من اقتبس علما من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»([[126]](#footnote-126))، رواه أبـو داود ([[127]](#footnote-127)).

3- زجر الطير والخط في الأرض: فعن قطن بن قبيصة عن أبيه قـال: سمعت رسول الله ج يقول: «العيافة والطيرة والطرق من الجبت»([[128]](#footnote-128))([[129]](#footnote-129)) أي من السحر، والعيافة زجر الطير والتفاؤل والتشاؤم بأسمائها وأصواتها وممرها، والطرق الخـط يخط في الأرض، أو الضرب بالحصى وادعاء علم الغيب.

4- الكهانة: وهي ادعاء علم الغيب، والأصل فيها اسـتراق الجـن السمع من كلام الملائكة فتلقيه في أذن الكاهن.

عن أبي هريرة س عن النبي ج قال: «من أتى كاهنـا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنـزل على محمد ج»([[130]](#footnote-130)) رواه أبو داود وأحمـد والحاكـم([[131]](#footnote-131)).

5- كتابة حروف أبا جاد: وذلك بأن يجعل لكل حرف منها قـدرا معلوما من العدد ويجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمنـة والأمكنـة، ثم يحكم عليها بالسعود أو النحوس ونحو ذلك.

قال ابن عباس ب في قوم يكتبون أبا جاد، وينظـرون في النجوم: (ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق)، رواه عبد الرزاق في المصنف([[132]](#footnote-132)).

6- القراءة في الكف والفنجان ونحو ذلك مما يدعي به بعض هـؤلاء معرفة الحوادث المستقبلة من موت وحياة وفقر وغنى وصحة ومرض ونحـو ذلك.

7- تحضر الأرواح: ويزعم أربابه أنهم يستحضرون أرواح الموتـى ويسألونها عن أخبار الموتى من نعيم وعذاب وغير ذلك، وهو نـوع مـن الدجل والشعوذة الشيطانية، ويراد منها إفساد العقائد والأخلاق والتلبيـس على الجهال وأكل أموالهم بالباطل والتوصل إلى دعوى علم الغيب.

8- التطير: وهو التشاؤم بالسوانح والبوارح مـن الطـير والظبـاء وغيرها، وهذا باب من الشرك وهو من إلقاء الشيطان وتخويفه.

فعن عمران بن حصين مرفوعا: «ليس منا من تطير أو تطـير لـه، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقـول فقد كفر بما أنـزل على محمد ج»، رواه البزار ([[133]](#footnote-133)).

والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين، ويمنحهم الفقه في الدين، ويعيذهم من خداع المجرمين وتلبيس أولياء الشياطين.

الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد: الإيمان بالأسماء والصفات وأثر ذلك على المسلم.

المبحث الأول: تعريفه وأدلته.

أولا: تعريفه.

ثانيا: المنهج الحق في إثباته.

ثالثا: أدلة هذا المنهج.

المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية لإثبات الأسماء والصفات في ضوء الكتاب والسنة.

المبحث الثالث: قواعد في باب الأسماء والصفات.

التمهيد الإيمان بالأسماء والصفات وأثر ذلك في سلوك المسلم

إن للإيمان بأسماء الله وصفاته آثارا عظيمة في نفس المسلم وتحقيقه لعبادة ربه. فمن آثارها تلك المعاني التي يجدها العبد في عبوديته القلبية التي تثمـر التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه، وحفظ جوارحه، وخطرات قلبـه، وضبط هواجسه حتى لا يفكر إلا فيما يرضي الله تعالى، ويحـب لله وفي الله، به يسمع، وبه يبصر، ومع ذلك هو واسع الرجاء وحسن الظن بربه.

هذه المعاني وغيرها مما يتعلق بالإيمان بمعاني الأسماء والصفـات تثمـر العبودية الظاهرة والباطنة على تفاوت بين شخص وآخر وذلك فضـل الله يؤتيه من يشاء.

فلاسمه (الغفار) أثره العظيم في محبته وعدم اليأس من رحمتـه ولاسمـه (شديد العقاب) أثره الكبير في خشيته وعدم الجرأة على محارمه. وهكـذا لأسمائه الأخرى وصفاته آثارها بحسب دلالاتها المتنوعة في نفـس المسـلم واستقامته على شرع الله بل وتحقيق محبته في القلوب التي هي أساس سـعادة المسلم في الدنيا والآخرة، ومفتاح كل خير وأعظم عون للعبد على عبادتـه لربه على أكمل الوجوه إذ الأعمال الظاهرة تخف وتثقل على النفس بحسـب المحبة القلبية لله تعالى.

فإكمال العمل وتحسينه على ما أراد الله منوط بالمحبة القلبية لله. والمحبـة منوطة بمعرفة الله بأسمائه وصفاته. ولهذا كان أعظم الناس عبادة لله رسـل الله الذين هم أعظم الناس محبة له وأعرفهم به.

المبحث الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات وأدلته

أولا: تعريفه:

توحيد الأسماء والصفات: هو إثبات ما أثبت الله لنفسه، وأثبته له رسوله ج ونفي ما نفى الله عن نفسه، ونفاه عنـه رسـوله ج مـن الأسمـاء والصفات والإقرار لله تعالى بمعانيها الصحيحة ودلالاتها واستشعار آثارهـا ومقتضياتها في الخلق.

ثانيًا: المنهج في إثباته:

يقوم المنهج الحق في باب الأسماء والصفات على الإيمان الكامل والتصديق الجازم بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ج من غـير تحريـف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

والتحريف: هو التغيير وإمالة الشيء عن وجهه. وهو قسمان:

1- تحريف لفظي. وذلك بالزيادة في الكلمة أو النقص أو تغيير حركة في الكلمة كتحريف كلمة استوى في قولـه تعـالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى٥﴾ [طه: 5] إلى استولى. قال صاحب النونيـة:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نـون اليـهود ولام جهمي هما |  | في وحي رب العرش زائدتان |

2- تحريف معنوي. وذلك بتفسير اللفظ على غير مراد الله ورسوله منـه كمن فسر (اليد) لله تعالى بالقوة أو النعمة. فإن هذا تفسير باطل لا يـدل عليه الشرع ولا اللغة.

والتعطيل: هو نفي صفات الله تعالى كمن زعم أن الله تعالى لا يتصـف بصفة.

والفرق بين التحريف والتعطيل هو أن التحريف نفي المعنى الصحيح الذي دلت عليه النصوص واستبداله بمعنى آخر غير صحيح أما التعطيل فهو نفـي المعنى الصحيح من غير استبدال له بمعنى آخر.

والتكييف: تعيين كيفية الصفة والهيئة التي تكون عليها كفعـل بعـض المنحرفين في هذا الباب الذين يكيفون صفات الله فيقولون كيفية يده: كـذا وكذا، وكيفية استوائه على هيئة كذا وكذا. فإن هذا باطل إذ لا يعلم كيفية صفات الله إلا هو وحده وأما المخلوقون فإنهم يجهلون ذلك ويعجزون عـن إدراكه.

والتمثيل: هو التشبيه كمن يقول لله سمع كسمعنا ووجه كوجوهنا تعـالى الله عن ذلك.

وينتظم المنهج الحق في باب الأسماء والصفات في ثلاثة أصول من حققـها سلم من الانحراف في هذا الباب. وهي:

الأصل الأول: تنـزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

الأصل الثاني: الإيمان. بما سمى ووصف الله به نفسه وبما سماه ووصفه بـه رسوله ج على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته.

الأصل الثالث: قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية صفات الله تعـالى لأن إدراك المخلوق لذلك مستحيل.

فمن حقق هذه الأصول الثلاثة فقد حقق الإيمان الواجب في باب الأسمـاء والصفات على ما قرره الأئمة المحققون في هذا الباب.

ثالثًا: أدلة هذا المنهج:

دلت الأدلة من كتاب الله تعالى على تقرير هذا المنهج.

فمن الأدلة على الأصل الأول: وهو تنـزيه الرب ﻷ عن مشابهة المخلوقين، قول الله تبارك وتعـالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]. ومقتضى الآية نفي المماثلة بين الخالق والمخـلوق من كل وجه مع إثبات السمع والبصر لله ﻷ وفي هذا إشـارة إلى أن ما يثبت لله من السـمع والبصر ليس كما يثبت للمخلوقين من هاتين الصفتين مع كثـرة من يتصف بهما من المخلوقين. وما يقال في السـمع والبصر يقال في غيرهما من الصفات. واقرأ قوله تعـالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ١﴾ [المجادلة: 1]. أورد ابن كثير في تفسير الآية مـا رواه البخـاري في التوحيـد (13 372) والإمام أحمد في المسند (6 46) عن عائشة ل قالت: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي ج تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع فأنزل الله ﻷ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: 1].... إلى آخر الآية)([[134]](#footnote-134)).

ومن الأدلة أيضًا قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: 74]. قال الطبري في تفسير الآية: (فلا تمثلوا لله الأمثال ولا تشبهوا له الأشباه فإنه لا مثل له ولا شبه)([[135]](#footnote-135)).

وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا٦٥﴾ [مريم: 65] قال ابن عبـاس ب في تفسيرها: (هل تعلم للرب مثلًا أو شبيهًا).

ومن الأدلة لهذا الأصل: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ٤﴾ [الإخلاص: 4] قال الطبري: (ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء).

ومن الأدلة على الأصل الثاني: وهو الإيمان بما جاء في الكتاب والسـنة من أسماء الله وصفاته، قول الله ﻷ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ٢٥٥﴾ [البقرة: 255]. وقوله تعـالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ٣﴾ [الحديد: 3]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ٢٢ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ٢٣ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ٢٤﴾ [الحشر: 22-24].

ومن السنة حديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم في صحيحه قال: كـان رسول الله ج يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول: «اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنـوى، ومنـزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل دابة أنـت آخـذ بناصيتها. اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدَّيْن وأغْنِنا من الفقر»([[136]](#footnote-136))([[137]](#footnote-137)). والنصوص في تقرير هذا الباب كثيرة تجل عـن الحصر.

وأما الأصل الثالث وهو قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الله تبـارك وتعالى فقد دل عليه قول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا١١٠﴾ [طه: 110]. قال بعض أهل العلم في معنى الآية: (لا إحاطة للعلم البشري برب السماوات والأرض فينفي جنس أنواع الإحاطـة عـن كيفيتها).

ومن الأدلة لهذا الأصل أيضًا قول الله تعـالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: 103] قال بعض العلماء في معرض حديثه عن الآية: (وهذا يدل على كمال عظمته وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكـمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك وهو الإحاطة بالشيء قدر زائد علـى الرؤية فالرب يرى في الآخرة ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط بعلمه). وينبغي للعاقل أن يعلم أن للعقل حدا يصل إليه ولا يتعداه كما أن للسمع والبصر حدا ينتهيان إليه، فمن تكلف ما لا يمكن أن يدرك بالعقل كالتفكر في كيفية صفات الله، فهو كالذي يتكلف أن يبصر ما وراء الجدار أو يسمع الأصوات في الأماكن البعيدة جدا عنه.

المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية لإثبات الأسماء والصفات في ضوء الكتاب والسنة

دل الكتاب والسنة على إثبات الأسماء والصفات للرب ﻷ في مواطن كثيرة من أوجه متعددة وفي سياقات متنوعة.

والأسماء والصفات الثابتة بالكتاب والسنة كثيرة جدًّا دونت فيها الكتـب والمصنفات وعد أهل العلم الكثير منها. ونذكر هنا طائفة منها على سـبيل التمثيل لا الحصر.

فمن أسماء الله تعالى:

الحي والقيوم:

وقد دل على هذين الاسمين الكتاب والسنة. فمن الكتاب قول الله تعـالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255]. ومن السنة حديث أنس بـن مالك س قال: كنا مع النبي ج في حلقة ورجل قائم يصلي فلمـا ركـع وسجد وتشهد ودعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إلـه إلا أنت بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم. فقال النبي ج «لقد دعا باسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»([[138]](#footnote-138))([[139]](#footnote-139)).

الحميد:

وقد دل عليه قـول الله ﻷ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: 267]. ومن السنة حديث كعب بن عُجْرَة في التشـهد أن النبي ج علمهم أن يقولوا: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت علـى إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»([[140]](#footnote-140))...([[141]](#footnote-141)).

الرحمن والرحيم:

وقد دل عليهما قـول الله تعـالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ٣﴾ [الفاتحة: 2-3].

ومن السنة أمر النبي ج كاتبه يوم الحديبية عند كتابة الصلح بينه وبـين المشركين أن يكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) ([[142]](#footnote-142)).

الحليم:

ودليله من القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: 41]. ومـن السنة حديث ابن عباس ب أن رسول الله ج كان يقول عنـد الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم»([[143]](#footnote-143))..الحديث ([[144]](#footnote-144)).

ومن صفات الله:

القدرة:

وهي صفة ذاتية لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة. ومعنى ذاتية: أي ملازمـة لذات الله لا تنفك عنه سبحانه. قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 20]. ومن السنة حديث عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى النبي ج وجعًا يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله ج «ضع يـدك علـى الذي تألم من جسدك، وقل: بسم الله ثلاثًا وقل، سبع مرات: (أعوذ بعـزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»([[145]](#footnote-145))([[146]](#footnote-146)).

الحياة:

وهي من صفات الله الذاتية. وهي مشتقة من اسمه الحي وقد تقدم ذكـر الأدلة عليها.

العلم:

صفة ذاتية لله تعالى وثبوتها بالكتاب والسنة. قال تعـالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: 255]. ومن السنة حديث جابر بن عبد الله أن النبي ج كان يعلمهم أن يقولوا في الاستخارة: «اللهم إني أستخيرك بعلمـك وأستقدرك بقدرتك»([[147]](#footnote-147))... ([[148]](#footnote-148)).

الإرادة:

وهي صفة فعلية ثابتة بالكتاب والسنة. والصفات الفعلية هـي المتعلقَـة بمشيئة الله وقدرته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها. قال تعـالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ١٢٥﴾ [الأنعام: 125]. ومن السـنة حديـث عبد الله بن عمر ب قال: سمعت رسول الله ج يقـول: «إذا أراد الله بقوم عذابًا، أصاب العذاب من كـان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم»([[149]](#footnote-149))([[150]](#footnote-150)).

العلو:

وهو صفة ذاتية ثابتة بالكتاب والسنة. قال تعـالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى١﴾ [الأعلى: 1]. وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 50]. ومن السنة حديث أبي هريرة المتقدم في المبحث الأول في الذكر عند النـوم وفيه: (... «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليـس بعـدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونـك شـيء»([[151]](#footnote-151))...) ([[152]](#footnote-152)).

الاستواء:

وهو صفة فعلية لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة. قال تعالى﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى٥﴾ [طه: 5]. وعن قتادة بن النعمان س قال: سمعت رسـول الله ج يقول: «لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه»([[153]](#footnote-153)). ومعنى الاسـتواء في لغة العرب: العلو والارتفاع، والاستقرار والصعود واستواء الله تعالى علـى عرشه استواء يليق بجلاله.

الكلام:

وهو صفة ذاتية باعتبار النوع وصفة فعلية باعتبار أفراد الكلام فهو سبحانه يتكلم متى شاء وكيف شاء بكلام مسموع، وقد دل على صفـة الكـلام الأدلة من الكتاب والسـنة. قـال تعـالى: ، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 143].

ومن السنة حديث أبي هريرة س قال: قال رسول الله ج «احتـج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيَّبتنا وأخرجتنا من الجنة. قال لـه آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده»([[154]](#footnote-154))...) الحديث. ([[155]](#footnote-155)).

الوجه:

وهو صفة ذاتية خبرية ثابتة لله ﻷ بالكتاب والسنة. قـال تعـالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْه﴾ [البقرة: 272]. وقوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ٢٧﴾ [الرحمن: 27]، ومن السنة حديث جابر بن عبد الله قال: (لما نـزلت: هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: 65]قال النبي ج «أعوذ بوجهك»([[156]](#footnote-156)). فقـال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: 65] فقال النبي ج «أعوذ بوجهك»([[157]](#footnote-157)). قال ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ [الأنعام: 65] فقال النبي ج «هذا أيسر»([[158]](#footnote-158)).

اليدان:

وهي صفة ذاتية خبرية لله ﻷ وثبوتها بالكتاب والسنة. قال تعـالى﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: 64]. وقوله تعـالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: 75]. ومن السنة حديـث أبي موسى الأشعري الذي رواه مسلم عن النبي ج قال: «إن الله يبسط يـده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليـل حتى تطلع الشمس من مغربها»([[159]](#footnote-159))([[160]](#footnote-160)).

العينان:

وهي صفة ذاتية خبرية ثابتة لله ﻷ بالكـتاب والسنة. فمن الكتـاب قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: 39]. وقوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: 37]. ومن السنة حديث عبد الله بن عمـر ب في الصحيحين عن النبي ج أنه قال: «إن الله لا يَخْفى عليكـم إن اللهّ ليس بأعور وأشار بيده إلى عينيه، وإن المسيح الدجال أعور العـين اليمنى كأنّ عينه عنبة طافية»([[161]](#footnote-161))([[162]](#footnote-162)).

القدم:

وهي صفة ذاتية ثابتة للرب ﻷ بالأحاديث الصحيحة. ومن ذلـك حديث أبي هريرة في تحاجج الجنة والنار وفيه: (...«فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله، تقول قط قط قط فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض»([[163]](#footnote-163))...)([[164]](#footnote-164)). وفي بعض الروايات في الصحيحين «فيضع قدمه عليـها»([[165]](#footnote-165))...)([[166]](#footnote-166)).

وأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة كثيرة لا تحصى وإنما هـذه أمثلة ويجب على المسلم إثباتها لله تبارك وتعالى على ما يليق بجلاله وكمالـه، كما أثبتها الله لنفسه في كتابه، وهو أعلم بنفسه من خلقه، وأثبتها له رسوله ج في سنته وهو أعلم الخلـق بربـه وأكملـهم نصحًـا وأفصحهم وأبلغهم بيانًا وأتقاهم وأخشاهم له، وليحذر من تعطيل الله مـن صفاته أو تشبيهها بصفات المخلوقـين لأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

المبحث الثالث: قواعد في باب الأسماء والصفات

القاعدة الأولى: القول في الصفات كالقول في الذات

وبيانها: أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا صفاته، ولا أفعالـه. فإذا كان لله ذات حقيقية لا تماثل الذوات بلا خلاف فكذلـك الصفـات الثابتة له في الكتاب والسنة، هي صفات حقيقية لا تماثل سـائر الصفـات فالقول في الذات والصفات من باب واحد.

وهذه قاعدة عظيمة يناقش بها من ينكر الصفات مع إثباته الذات فـإن إثبات الذات للرب ﻷ محل إجماع الأمة.

فإذا قال قائل: لا أثبت الصفات لأن في إثباتها تشبيهًا لله بخلقه.

يقال له: أنت تثبت لله ذاتًا حقيقية وتثبت للمخلوقين ذواتًا أفليس هـذا تشبيهًا على قولك!! فإن قال: إنما أثبت ذاتًا لله لا تشبه الذوات ولا يسـعه غير هذا. قيل له يلزمك هذا في باب الصفات فإن كـانـت الذات لا تشـبه الذوات وهو حق فكذلك صفات الذات الإلهية لا تشبه الصفات. فإن قال: كيف أثبت صفة لا أعلم كيفيتها. قلنا: له كما تثبت ذاتًا لا تعلم كيفيتها.

القاعدة الثانية: القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر.

وشرحها: أن القول في بعض صفات الله من حيث الإثبـات والنفي كالقول في البعض الآخر وهذه القاعدة يخاطب بها من يثبت بعض الصفـات وينكر البعض الآخر. فإذا كان الرجل يثبت بعض الصفات كالحياة والعلـم والقدرة والسمع والبصر وغيرها ويجعل ذلك كله حقيقة ثم ينازع في صفـة المحبة والرضا والغضب وغيرها، ويجعل ذلك مجازًا فيقال له: لا فرق بين مـا أثبته وبين ما نفيته فالقول في أحدهما كالقول في الآخر. فإن كنت تثبت له حياة وعلمًا وقدرة وسمعًا وبصرًا لا تشبه ما يثبت للمخلوقين الذين يتصفـون بهذه الصفات فكذلك يلزمك أن تثبت له محبة ورضًا وغضبًا كـما أخبر هـو عن نفسه من غير مشابهة للمخلوقين وإلا وقعت في التناقض.

القاعدة الثالثة: الأسماء والصفات توقيفية

أسماء الله وصفاته توقيفية لا مجال للعقل فيها وعلى هذا فيجـب الوقـوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص لأن العقـل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء والصفات فوجب الوقوف على النص. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا٣٦﴾ [الإسراء: 36]. وقد كان أئمة الإسلام على هذا المنهج. قال الإمام أحمد /: (لا يوصف الله إلا بما وصف بـه نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث). وقرر بعـض أهـل العلم أن العلم بالشيء حتى يُمكن وصفه له ثلاثة طرق: إما رؤيتَه، أو رؤيـة مثيله، أو وصفه ممن يعرفه. وعِلْمُنَا بِرَبِّنا وأسمائه وصفاته محصور في الطريـق الثـالث وهـو وصفه ممن يعرفه وليس أحد أعلم بالله مـن الله ثم رسـله الذين أوحى إليهم وعلمهم فوجب لزوم طريق الوحي في أسماء الله وصفاتـه إذ لم نر ربنا في الدنيا فنصفه وليس له مثيل من خلقه فيوصف بوصفه، تعالى ربنا وتقدس.

القاعدة الرابعة: أسماء الله كلها حسنى

أسـماء الله كلهـا حسنى أي بالغة في الحسن غايته. قـال تعـالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180] وذلك لدلالتها على أحسن مسـمى وأشرف مدلول وهو الله ﻷ ولأنها متضمنة لصفات كـاملة لا نقـص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالا ولا تقديرًا.

مثال ذلك: (الحي) اسم من أسماء الله تعالى متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال. الحياة المستلزمة لكمال الصفات مـن العلـم والقدرة والسمع والبصر وغيرها. ومثال آخر: (العليم) اسم من أسمـاء الله تعالى متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسـيان. قـال تعالى ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى٥٢﴾ [طه: 52] العلـم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا سواء ما يتعلق بأفعالـه أو أفعـال خلقه. كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ١٩﴾ [غافر: 19].

والحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراد، ويكـون باعتبار جمعه إلى غيره فيحصل بجمع الاسم إلى آخر كـمال فوق كمال.

مثال ذلك: (العزيز الحكيم) فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثـيرًا فيكون كل منهما دالا على الكمال الخاص الذي يقتضيه وهـو العـزة في العزيز والحكـم والحكـمة في الحكيـم. والجمـع بينهما دال على كمال آخـر وهو أن العزة لله تعالى مقرونة بالحكـمة فعزته لا تقتضي ظلمًا وجورًا كمـا يكون من بعض أعزاء المخلوقين فإن بعضهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلـم ويجور، وكذلك حكمه تعالى وحكـمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكـم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل. هذا والله أعلم.

وفي ختام هذا الباب نشير إلى جملة من الفوائد والثمرات الـتي يجنيـها المسلم بتحقيقه لهذا الأصل العظيم وهو الإيمان بالله وحـده لا شريك لـه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. فمن ذلك:

1. أن العبد ينال بذلك سعادة الدنيا والآخرة، بل إن السعادة في الدارين متوقف الحصول عليها على الإيمان بالله، فحظ العبد منها بحسب حظه من إيمانه بربه وأسمائه وصفاته وألوهيته.
2. أن إيمان العبد بربه وأسمائه وصفاته هو أعظم أسباب خوفه سـبحانه وخشيته وتحقيق طاعته، فكلما كان العبد بربه أعرف كان إليه أقرب، ومنه أخشى، ولعبادته أطلب، وعن معصته ومخالفته أبعد.
3. أن العبد ينال بذلك طمأنينة قلبه، وراحة نفسه، وأنـس خـاطره، والأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة والله تعالى يقول ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ٢٨﴾ [الرعد: 28].
4. أنَّ نيل ثواب الآخرة متوقف على الإيمان بالله وصحته، فبتحقيقـه وتحقيق لوازمه ينال العبد ثواب الآخرة فيدخل جنـة عرضها السـماء والأرض فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وينجو من النار وعذابها الشديد، وأعظم من ذلك كلـه أن يفـوز برضى الرب سبحانه فلا يسخط عليه أبدًا، ويتلذذ يوم القيامة بالنظر إلى وجهه الكريم في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة.
5. أن الإيمان بالله هو الذي يصحح الأعمال ويجعلها مقبولة، فبفقده لا تقبل بل ترد على صاحبها وإن كثرت وتنوعت، قال تعـالى ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 5]. وقـال تعـالى ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا١٩﴾ [الإسراء: 19].
6. أن الإيمان الصحيح بالله يحمل صاحبه على التزام الحق واتباعه علمًـا وعملًا، ويكسب العبد الاستعداد التام لتلقي المواعظ النافعة والعبر المؤثـرة، ويوجـب سلامة الفطرة، وحسن القصد، والمبادرة إلى الخـيرات، ومجانبـة المحرمات والمنكرات، ولزوم الأخلاق الحميدة، والخصال الكريمـة، والآداب النافعة.
7. أنَّ الإيمان بالله ملجـأ المؤمنين في كل ما يلم لهم من شرور وحـزن وأمن وخوف وطاعة ومعصية وغير ذلك من الأمور التي لا بد لكل أحـد منها، فعند المحاب والسرور يلجؤون إلى الإيمان بالله فيحمدون الله ويثنـون عليه ويستعملون نعمته فيما يحب، وعند المكـاره والأحـزان يلجـؤون إلى الإيمان بالله فيتسلون بإيمانهم وما يترتب عليه من الأجر والثـواب، وعنـد المخاوف والأحزان يلجؤون إلى الإيمان بالله فتطمئن قلوبهم ويزداد إيمانهم وتعظم ثقتهم بربهم، وعند الطاعات والتوفيق للأعمال الصالحات يلجـؤون إلى الإيمان بالله فيعترفون بنعمته عليهم، ويحرصون على تكـميلها، ويسألونه الثبات عليها والتوفيق لقبولها، وعند الوقوع في شيء من المعاصي يلجـؤون إلى الإيمان بالله فيبادرون إلى التوبة منها والتخلص من شرورها وأوضارهـا، فالمؤمنون في جميع تقلباتهم وتصرفاتهم ملجؤهم إلى الإيمان بالله وحده.
8. أن معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته توجـب محبة الله في القلوب إذ أن أسماء الله وصفاته كاملة من كل وجه والنفوس قد جبلـت علـى حـب الكـمال والفضل فإذا تحققت محبة الله في القلوب انقادت الجوارح بالأعمـال وتحققـت الحكمة التي خلق العبد من أجلها وهي عبادة الله.
9. أن العلم بالأسماء والصفات يورث قوة اليقين بـانفراد الله تعـالى بتصريف شؤون الخلق وانفراده بذلك لا شريك له وهذا مما يحقق صـدق التوكل على الله في جلب المصالح الدينية والدنيوية وفي ذلك فلاح العبـد ونجاحه فمن توكل على الله فهو حسبه.
10. إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلـوم، فـإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقا له تعالى أو أمرا، وهي إمـا علـم بمـا كونه، وإما علم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى وهمـا مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه. فمن أحصى أسماء الله كمـا ينبغـي للمخلوق أحصى جميع العلوم.

الباب الثاني: بقية أركان الإيمان

الفصل الأول: الإيمان بالملائكة

وفيه خمسة فصول:

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الملائكة وأصل خلقتهم وصفاتهم وبعض خصائصهم.

المبحث الثاني: منزلة الإيمان بهم وكيفيته وأدلة ذلك.

المبحث الثالث: وظائفهم.

المبحث الأول: تعريف الملائكة وأصل خلقتهم، وصفاتهم، وخصائصهم

تعريفهم:

الملائكة: جمع مَلَك. أخذ من (الأَلُوكِ) وهي: الرسالة.

وهم: خلق من مخلوقات الله، لهم أجسام نورانية لطيفـة قـادرة علـى التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة، ولهم قوى عظيمة، وقدرة كبـيرة على التنقل، وهم خلق كثير لا يعلم عددهـم إلا الله، قـد اختـارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلـون مـا يؤمرون.

أصل خلقهم:

والمادة التي خلق الله منها الملائكة هي (النور). فعن عائشـة ل قالت: قال رسول الله ج «خلقت الملائكة من نور. وخلق الجان مـن مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكـم»([[167]](#footnote-167))([[168]](#footnote-168)) والمارج هو: اللهب المختلـط بسواد النار.

صفاتهم:

قد تضمن الكتاب والسنة الكثير من النصوص المبينة صفـات الملائكـة وحقائقها فمن ذلك:

أنهم موصوفون بالقوة والشدة. كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ﴾ [التحريم: 6]. وقال تعالى في وصف جـبريل ÷: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى٥﴾ [النجم: 5]. وقال في وصفه أيضا: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ٢٠﴾ [التكوير: 20].

وهم موصوفون بعظم الأجسام والخلق. ففي صحيح مسلم من حديـث عائشة ل وقد سألت النبي ج عن معنى قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ٢٣﴾ [التكوير: 23] فقال: «إنما هو جبريل لم أره على صورتـه الـتي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض»([[169]](#footnote-169))([[170]](#footnote-170)).

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود س قال: «رأى رسـول الله ج جبريل في صورته، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق يسـقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم»([[171]](#footnote-171))([[172]](#footnote-172)) قال الحافـظ ابـن كـثير: إسناده جيد.

وروى أبو داود من حديث جابر بن عبد الله ب أن رسـول الله ج قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العـرش إن ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام»([[173]](#footnote-173))([[174]](#footnote-174)) قال الهيثمي في المجمـع: رجاله رجال الصحيح.

ومن صفاتهم أنهم يتفاوتون في الخلق والمقدار فهم ليسوا علـى درجـة واحدة، فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من لـه أربعـة، ومنهم من له ستمائة جناح. قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا﴾ [فاطر: 1].

ومن صفاتهم الحسن والجمال فهم على درجة عالية من ذلك. قال تعـالى في حق جبريل ÷ ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى٦﴾ [النجم: 5-6] قال ابن عباس ب (ذو مرة: ذو منظر حسن) وقـال قتادة: (ذو خلق طويل حسن).

وقال تعالى مخبرا عن النسوة عند رؤيتهن ليوسف ÷: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: 31] وإنما قلن ذلك لما هو مقرر عند النـاس مـن وصـف الملائكة بالجمال الباهر.

ومن صفاتهم التي وصفهم الله بها أنهم كرام أبرار. قال تعـالى ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ١٦﴾ [عبس: 15-16]. وقال ﻷ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ١١﴾ [الانفطار: 10-11].

ومن صفاتهم الحياء لقول النبي ج في حق عثمان س «ألا أستحي مـن رجل تستحي منه الملائكة»([[175]](#footnote-175))([[176]](#footnote-176)).

ومن صفاتهم أيضا العلم. قال تعالى في خطابه للملائكـة: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30] فأثبت الله ﻷ للملائكة علمًا وأثبت لنفسـه علمًا لا يعلمونه. وقال تعالى في حق جبريل ÷ ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى٥﴾ [النجم: 5] قال الطبري: (علم محمدًا ج هذا القرآن جـبريل ÷) أ. هـ، وهذا متضمن وصف جبريل بالعلم والتعليم.

إلى غير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة من صفاتهم العظيمة وأخلاقـهم الكريمة الدالة على علو شأنهم وسمو منازلهم †.

خصائصهم:

للملائكة † خصائص وصفات قد اختصهم الله تعـالى بهـا، وامتازوا بها عن الجن والإنس وسائر المخلوقات. فمنها:

أن مساكنهم في السماء وإنما يهبطون إلى الأرض تنفيذًا لأمر الله في الخلق وما أسند إليهم من تصريف شؤونهم. قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل: 2] وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: 75]. وعن أبي هريـرة س قال: قال رسول الله ج «يتعاقبون فيكم ملائكة بـالليل، وملائكـة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكـم فيسألهم الله وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهـم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»([[177]](#footnote-177))([[178]](#footnote-178)). والنصوص في هذا كثيرة جدًّا يصعـب حصرها هنا.

ومن خصائصهم أنهم لا يوصفون بالأنوثة، قال تعالى منكرا على الكفـار ذلك: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ١٩﴾ [الزخرف: 19]. وقال تعـالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى٢٧﴾ [النجم: 27].

ومن خصائصهم أنهم لا يعصون الله في شيء، ولا تصدر منهم الذنـوب، بل طبعهم الله على طاعته، والقيام بأمره: كما قال تعالى في وصفـهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون﴾ [التحريم: 6]. وقـال أيضـا ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ٢٧﴾ [الأنبياء: 27].

ومن خصائصهم أيضا أنهم لا يفترون عن العبادة ولا يسأمون. قال تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ١٩ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ٢٠﴾ [الأنبياء: 19-20]. وقال في آية أخـرى: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ٣٨﴾ [فصلت: 38].

فهذه بعض خصائص الملائكة التي اختصهم الله بها دون الثقلين من الإنس والجن. وبالجملة فالملائكة جنس آخر، يتميزون في أصل خلقتهم وتكـوينـهم عن الإنس والجن. كـما أن لكل من الإنس والجن خصائصهما التي يتميز بها أحد الجنسين عن الآخر والله أعلم.

المبحث الثاني منزلة الإيمان بالملائكة وكيفيته وأدلة ذلك

منـزلة الإيمان بهم:

الإيمان بالملائكة ركن من أركـان الإيمان في الدين الإسلامي، لا يتحقـق الإيمان إلا به. وقد نص الله على ذلك في كتابه. وأخبر عنـه النبي ج في سنته.

قال تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: 285] فأخبر أن الإيمان بالملائكة مع بقيـة أركـان الإيمان مما أنـزله على رسوله وأوجبه عليه وعلى أمته وأنهم امتثلـوا ذلك.

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: 177]. فجعل الإيمان بهذه الخصال دليل البرِّ- والبرُّ اسـم جامع للخير- وذلك أن هذه الأشياء المذكورة هـي أصـول الأعمـال الصالحة، وأركان الإيمان التي تتفرع منها سائر شعبه.

كـما أخبر الله ﻷ في مقابل هذا أن من كفر بهذه الأركان فقد كفـر بالله: فقال: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 136] فأطلق الكفر على من أنكر هذه الأركـان، ووصفه بالبعد في الضلال. فدل ذلك أن الإيمان بالملائكة ركن عظيم مـن أركان الإيمان وأن تركه مخرج من الملة.

وقد دلت السنة كذلك على هذا. وهو ما جاء موضحًا في حديث جبريل المشهور الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطـاب س قال: «بينما نحن عند رسول الله ج ذات يوم إذ طلع علينا رجل شـديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منـا أحد، حتى جلس إلى النبي ج فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه علـى فخذيه، وقال: يا محمد ! أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ج الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ج وتقيم الصلاة، وتـؤتي الزكـاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقـت. قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمـن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشـره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تـراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال ما المسؤول عنـها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربَّتـها. وأن ترى الْحُفاة العُراة، العَالة، رِعاءَ الشاء، يتطاولون في البنيان. قال: ثم انطلـق فلبثت مليًّا ثم قال لي: يا عمر ! أتدري من السائل؟ قلتَ: الله ورسوله أعلـم. قال: فإنه جبريل، أتاكـم يعلمكم دينكـم»([[179]](#footnote-179))([[180]](#footnote-180)).

فهذا حديث عظيم اشتمل على أصول الدين ومراتبه كلها وهو منـهج فريد في تعليم هذا الدين جاء على طريقة الحوار بين الرسول الملكي، أفضـل الملائكة وهو جبريل ÷ وبين الرسول الإنسي أفضل البشر، وهـو محمد ج فينبغي للمسلمين أن يعنوا بهذا الحديث العظيم وأن يستمدوا منهجهم في التعلم والتعليم منه كما كـان على ذلك السـلف رضـوان الله عليهم. وقد تضمن الحديث ذكر الملائكة وأن الإيمان بهم ركن من أركـان الإيمان وهو المقصود هنا.. والله أعلم.

كيفية الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة يتضمن عدة أمور لا بد للعبد من تحقيقها حتى يتحقق لـه الإيمان بالملائكة وهي:

1. الإقرار بوجودهم والتصديق بهم كما دلت على ذلـك النصـوص المتقدمة من أن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان فلا يتحقـق الإيمـان إلا بذلك.
2. الإيمان بأنهم خلق كثير جدًّا لا يعلم عددهم إلا الله تعالى كـما دلـت على ذلك النصوص. قال تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: 31].

أي لا يعلم جنود ربك وهم الملائكة إلا هو وذلك لكثرتهم. قـال بذلـك بعض السلف.

وجاء في حديث الإسراء الطويل الذي أخرجه الشيخان من حديث مالك بن صعصعة س عن النبي ج قال: «ثم رفع لي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل ! ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور. يدخله كل يوم سـبعون ألـف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم»([[181]](#footnote-181))([[182]](#footnote-182)).

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود س قال: قال رسـول الله ج «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألـف ملـك يجرونها»([[183]](#footnote-183))([[184]](#footnote-184)). فدل الحديثان على كثرة الملائكة، فإذا كـان البيت المعمور يدخلـه كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه وإنما يأتي غيرهم، وجهنم يأتي بها يوم القيامة هذا العدد من الملائكة، فكيف بغيرهم من الملائكة الموكلين بأعمال أخرى ممن لا يعلم عددهم إلا خالقهم تبارك وتعالى.

3- الإقرار لهم بمقاماتهم العظيمة عند ربهم وكرمهم عليه وشرفهم عنـده كـما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ٢٧﴾ [الأنبياء: 26-27]. وقال جـل وعلا: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ١٦﴾ [عبس: 15-16]. فوصفهم بأنهم مكرمون منـه سبحانه. وقال تعالى في حقـهم: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ٣٨﴾ [فصلت: 38]. فوصفهم بأنهم عنده وهذا تشـريف لهم، مع مقام التعبد له بلا سآمة. كما أنه تعالى أقسم بهم في غير موطن مـن كتابه وهذا لشرفهم عنده. فقال: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا٣﴾ [الصافات: 1-3]. وقال ﻷ: ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا٤ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا٥﴾ [المرسلات: 4-5]. وشواهد صور إكـرام الملائكة وتنـوع أساليبها وتعدد سياقاتها من كتاب الله كثيرة لا تخفى على متدبر ممـا يحتـم تقرير هذا في الشرع والله أعلم.

4- اعتقاد تفاضلهم وعدم تساويهم في الفضل والمنـزلة عند الله على ما دلت على ذلك النصوص: قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ٧٥﴾ [الحج: 75]. وقال ﻷ ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: 172] فأخـبر أن منـهم مصطفين بالرسالة ومقربين، فدل على فضلهم على غيرهم. وأفضل الملائكة: المقربون مع حملة العرش. وأفضل المقربين الملائكة الثلاثة الوارد ذكرهـم في دعاء النبي ج الذي كان يفتتح به صلاة الليل فيقول: «اللهم رب جـبريل وميكـائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة»([[185]](#footnote-185))([[186]](#footnote-186)).

وأفضل الثلاثة جبريل ÷ وهو الموكـل بـالوحي، فشـرفه بشرف وظيفته. وقد ذكره الله في كتابه بما لم يذكر غيره من الملائكة، وسمـاه بأشَرف الأسماء، ووصفه بأحسن الصفات. فمن أسمائه الروح: قال تعـالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ١٩٣﴾ [الشعراء: 193]. وقال ﻷ: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوح﴾ [القدر: 4]. وقد ورد هذا الاسم مضافًا إلى الله تعالى إضافـة تشريف. قال تعـالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا١٧﴾ [مريم: 17]. وورد مضافًا إلى القدس، قال تعالى ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ [النحل: 102] والقدس هو الله على الصحيح من أقوال المفسرين. ومما جاء في وصفه قوله تعـالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ٢٠ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ٢١﴾ [التكوير: 19-21]. وقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى٦﴾ [النجم: 5-6] فوصفه الله تعالى بأنه رسـول وأنـه كريم عنده، وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه سبحانه، وأنه مطاع في السماوات، وأنه أمين على الوحي وأنه ذو مرة (أي مظهر حسن).

5- موالاتهم والحذر من عداوتهم لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ﴾ [التوبة: 71] فدخل الملائكة في هذه الآية؛ لأنهـم مؤمنـون قائمون بطاعة ربهم كما أخبر الله عنهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون﴾ [التحريم: 6]. وأخبر جل وعلا عن مـوالاة الملائكـة لرسـوله وللمؤمنين فقال ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ [التحريم: 4] وقال ﻷ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: 43]. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت: 30]. فوجبت موالاة الملائكة على المؤمنين لموالاتهم لهـم ونصرهـم وتأييدهم واستغفارهم لهم. وقد حذر الله تعالى من عداوة الملائكة فقـال: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ٩٨﴾ [البقرة: 98]. فأخبر أن عداوة الملائكة موجبة لعداوة الله وسخطه، وذلك لأنهم إنما يصدرون عن أمره وحكـمه، فمن عاداهم فقد عادى ربه.

6- الاعتقاد بأن الملائكة خلق من خلق الله لا شأن لهم في الخلق والتدبـير وتصريف الأمور، بل هم جند من جنود الله يعملون بأمر الله، والله تعالى هو الذي بيده الأمر كله لا شريك له في ذلك. كما أنه لا يجوز صرف شـيء من أنواع العبادة لهم، بل يجب إخلاص العبادة لخالقـهم وخـالق الخلـق أجمعين، الذي لا شريك له في ربوبيته وألوهيته ولا مثيـل لـه في أسمائـه وصفاته. وقد بين الله تعالى ذلك فقال عز مـن قـائل: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ٨٠﴾ [آل عمران: 80]. وقال تعـالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ٢٨ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ٢٩﴾ [الأنبياء: 26-29]. فأخبر سبحانه أنه لم يأمر بعبادتهم وكيف يـأمر بعبـادتهم وهي كفر بالله العظيم ثم أبطل تعالى دعوى من زعم أن الملائكة بنـات الله ونـزه نفسه عن ذلك، وبين أنهم عباد مكرمون بكرامته لهم عاملون بـأمره مشفقون من خشيته وأنهم لا يملكون الشفاعة لأحد إلا من س من أهل التوحيد. ثم ختم السياق ببيان جزاء من ادعى الألوهية منـهم وأن جزاءه جهنم، فظهر من ذلك أهم عباد مربوبون لا حول لهم ولا قـوة إلا بربهم وخالقهم.

7- الإيمان المفصل بمن جاء التصريح بذكرهم من الملائكة علـى وجـه الخصوص في الكتاب والسنة: كجبريل، وميكائيل، وإسـرافيل، ومـالك، وهاروت وماروت، ورضوان، ومنكر ونكير، وغيرهم ممن جاءت النصـوص بتسميتهم. وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف: كرقيـب وعتيد، أو بذكر وظيفته: كملك الموت وملك الجبـال، أو مـن جـاءت النصوص بذكر وظائفهم في الجملة: كحملة العرش، والكـرام الكـاتبين والموكلين بحفظ الخلق، والموكلين بحفظ الأجنة والأرحام، وطواف البيـت المعمور، والملائكة السياحين، إلى آخر من أخبر الله ورسـوله ج عنـهم.

فيجب الإيمان بذلك إيمانا مفصلا على نحو ما جاء في النصوص من أسمائهم وصفاتهم، ووظائفهم، وأخبارهم، والتصديق بكل ذلك مما سيأتي بيانه في المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

فهذه جملة ما يجب اعتقاده في حق الملائكة الكرام مما دلت عليه النصوص الشرعية والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث: وظائف الملائكة

الملائكـة جند من جنود الله تعالى، أسند الله إليهم كثيرًا مـن الأعمـال الجليلة، والوظائف الكبيرة، وأعطاهم القدرة على تأديتها على أكمل وجـه. وهم بحسب ما هيأهـم الله تعالى له ووكلهم به على أقسام:

فمنهم الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسـلام وهو جبريل÷، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ١٩٣ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ١٩٥﴾ [الشعراء: 193-195] وقد تقدم أنـه أفضل الملائكة وأكرمهم على الله، وقد وصفه الله بالقوة والأمانة على تأديـة مهمته.

ولم يره النبي ج في صورته التي خُلق عليها إلا مرتين، وبقية الأوقـات يأتيه في صورة رجل. رآه مرة بالأفق من ناحية المشرق وفي ذلك يقـول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ٢٣﴾ [التكوير: 23]. ورآه مرة ثانية ليلة الإسراء في السماء وهذا ما أخبر الله عنه بقولـه: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى١٥﴾ [النجم: 13-15].

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة ل أنها سألت النبي ج عن تفسير الآيتين المتقدمتين فقال: «إنما هو جبريل لم أره على صورته الـتي خُلق عليها غير هاتين المرتين. رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عِظَمُ خَلْقِه مـا بين السماء إلى الأرض»([[187]](#footnote-187))([[188]](#footnote-188)).

ومنهم الموكل بالقطر والنبات وهو ميكائيل ÷ وقـد ورد ذكره في القرآن. قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ٩٨﴾ [البقرة: 98] وهو ذو مكانه عالية، ومنـزلة رفيعة عند ربه، ولذا خصه الله هنا بالذكر مع جبريل، وعطفـهما علـى الملائكة، مع أنهما من جنسهم لشرفهما، من قبيل عطف الخاص على العام. وكذا ورد ذكره في السنة على ما تقدم في دعاء النبي ج في صلاة الليل أنه يقول: «اللهم رب جبريل وميكـائيل وإسرافيل» ([[189]](#footnote-189))([[190]](#footnote-190)). ولذا قال العلمـاء إن هؤلاء الثلاثة المذكورين هم أفضل الملائكة.

ومنهم الموكل بالصُّور وهو إسرافيل ÷ وهو ثالث الملائكـة المفضلين المتقدم ذكرهم. وهو أحد حملة العرش. والصور: قرن عظيم ينفـخ فيه. روى الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «جاء أعرابي إلى النبي ج فقال: ما الصور؟ فقال: قرن ينفخ فيه»([[191]](#footnote-191))([[192]](#footnote-192)) ورواه أيضـا الحاكـم وصححه ووافقه الذهبي([[193]](#footnote-193)).

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي سـعيد الخـدري س أن النبي ج قال: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهتـه وأصغى سمعه ينظر متى يؤمر، قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول؟ قـال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا»([[194]](#footnote-194))([[195]](#footnote-195)) قال الترمذي حديـث حسن. وصححه غيره من أهل العلم.

وينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعـق، ونفخة البعث. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ﴾ [النمل: 87]. وهذه هي نفخة الفزع وقـد دل على النفختين الأخريين قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ٦٨﴾ [الزمر: 68].

ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك المـوت قـال تعـالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ١١﴾ [السجدة: 11].

ولملك الموت أعوان من الملائكة، يأتون العبد بحسب عملـه، وإن كـان محسنًا ففي أحسن هيئة، وإن كان مسيئًا ففي أشنع هيئـة.

قـال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: 61].

ومنهم الموكل بالجبال وهو ملك الجبال، وقد ورد ذكـره في حديـث خروج النبي ج إلى أهل الطائف في بداية البعثة ودعوتـه إيـاهم وعـدم استجابتهم له وفيه يقول النبي ج «فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظـرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك ومـا ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملـك الجبال. فسلم عليّ ثم قال: يا محمد. فـقال: ذلك فيما شئت، إن شـئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي ج بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهـم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»([[196]](#footnote-196))([[197]](#footnote-197)). والأخشبان: هما جبلا مكةَ: أبـو قبيس والذي يقابله.

ومنهم الملك الموكل بالرحم على ما دل عليه حديث أنس بن مـالك س عن النبي ج قال: «إن الله ﻷ وكَّل ملكًا يقول: يا ربِّ! نطفـة. يا ربِّ! علقة. يا ربِّ مضغة. فإذا أراد أن يقضي خلقه، قـال: أذكـر أم أنثى؟ شقي أم سعيد؟ فما الرزق والأجل؟ فيكتب في بطن أمه»([[198]](#footnote-198))([[199]](#footnote-199)).

ومنهم حملة العرش قال تعـالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: 7].

وقال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: 17]. قـال بعض العلماء: الذين حول العرش هم الملائكة (الكروبيون) وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة([[200]](#footnote-200)).

ومنهم خزنة الجنة. قال تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ٧٣﴾ [الزمر: 73]. وقال تعالى ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ٢٣﴾ [الرعد: 23].

ومنهم خزنة النار عياذاَ بالله منها وهم الزبانية ورؤسـاؤهم تسـعة عشر. قال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ٤٩﴾ [غافر: 49] وقال تعـالى ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ١٨﴾ [العلق: 17-18]. وقال تعـالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ٣٠ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾ [المدثر: 30-31].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ٧٧﴾ [الزخرف: 77]. وقد جاء في السنة ذكر مالك وأنه خـازن النـار ورؤية النبي ج له، ففي صحيح البخاري من حديث سَمُرَة بن جُنْدُب س عن النبي ج قال: «رأيت الليلة رجلين أتياني فقالا: الذي يوقد النار مـالك خازن النار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل»([[201]](#footnote-201))([[202]](#footnote-202)).

ومنهم زوار البيت المعمور: يدخل في كل يوم منهم البيـت المعمـور سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه على ما ثبت من حديث مـالك بـن صعصعة س عن النبي ج قال: «ثم رفـع لي البيت المعمور، فقلت: يـا جبريل! ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور. يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم»([[203]](#footnote-203))([[204]](#footnote-204)).

ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر فقد روىَ الشيخان مـن حديث أبي هريرة عن النبي ج أنه قال: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قومًا يذكـرون الله تنـادوا هلمـوا إلى حاجتكـم قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا»([[205]](#footnote-205))([[206]](#footnote-206)) قال العلمـاء: وهؤلاء الملائكة زائدون عن الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق.

وقد ثبت أيضًا أنهم يبلغون النبي ج من أمته السلام لمـا روى أحمـد والنسائي بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود قال، قال رسـول الله ج «إن لله ﻷ ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام»([[207]](#footnote-207))([[208]](#footnote-208)).

ومنهم الكرام الكاتبون وعملهم كتابة أعمال الخلق وإحصاؤها عليـهم. قـال تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ١٢﴾ [الانفطار: 10-12] وقال تعالى ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ١٧ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ١٨﴾ [ق: 17-18] قال مجـاهد في تفسير الآية: ملك عن يمينه وآخر عن يساره فأما الذي عن يمينـه فيكتـب الخير، وأما الذي عن شماله فيكتب الشر.

ومنهم الموكلون بفتنة القبر وسؤال العباد في قبورهم وهما مُنْكَـر ونَكِير. وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة. أخرج الشـيخان مـن حديث أنس بن مالك س عن النبي ج قال: «إن العبد إذا وضع في قـبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان، فيقعدانه فيقـولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ج فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قـد أبدلك الله به مقعـدًا مـن الجنة فيراهما جميعًا»([[209]](#footnote-209))([[210]](#footnote-210)).

وأخرج الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة س قال: قـال رسـول الله ج «إذا قبر الميت أو قال أحدكـم- أتاه ملكـان أسودان أزرقـان يقـال لأحـدهما المنكر والآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هـذا الرجـل»([[211]](#footnote-211))([[212]](#footnote-212)) الحديث. قال الترمذي حديث حسن.

فهؤلاء هم أشهر من جاءت النصوص بذكر وظائفهم وأسمائهم مـن الملائكة ممن يتعين على العبد الإيمان بهم والتصديق بمدلولات النصوص في حقهم والله تعالى أعلم.

ثمرات الإيمان بالملائكة:

وللإيمان بالملائكة ثمراته العظيمة على المؤمن فمن ذلك:

1- العلم بعظمة خالقهم ﻷ وكمال قدرته وسلطانه.

2- شكر الله تعالى على لطفه وعنايته بعباده حيث وكل بهم من هـؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك مما تتحقق به مصالحهم في الدنيا والآخرة.

3- محبة الملائكة على ما هداهم الله إليه من تحقيق عبادة الله على الوجـه الأكـمل ونصرتهم للمؤمنين واستغفارهم لهم.

الفصل الثاني الإيمان بالكتب المنزلة

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

التمهيد في تعريف الوحي لغة وشرعا وبيان أنواعه.

المبحث الأول: حكم الإيمان بالكتب وأدلته.

المبحث الثاني: كيفية الإيمان بالكتب.

المبحث الثالث: بيان أن التوراة والإنجيل وبعض الكتب الأخرى دخلها التحريف

وسلامة القرآن من ذلك.

المبحث الرابع: الإيمان بالقرآن وخصائصه.

تمهيد في تعريف الوحي لغة وشرعا وبيان أنواعه

التعريف اللغوي:

الوحي في اللغة: هو الإعلام السريع الخفي.

ويطلق الوحي على: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام. وكل مـا ألقيته على غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان وهو لا يختص بالأنبيـاء ولا بكـونه من عند الله تعالى.

والوحـي بمعناه اللغوي يتناول:

1. الإلهام الفطري للإنسان كالوحي لأم موسى. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: 7].
2. الإلهام الغريزي للحيوان كالوحي إلى النحل. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ﴾ [النحل: 68].
3. الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء، كـإيحاء زكريا لقومه. قـال تعالى ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا١١﴾ [مريم: 11].
4. وسوسة الشيطان وتزيين الشر في نفوس أوليائه. قـال تعـالى﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: 121].
5. ما يلقيه الله تعالى إلى ملائكته من أمر ليفعلوه. قال تعـالى﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: 12].

التعريف الشرعي:

هو (إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو غير واسطة).

أنواع الوحـي:

لتلقي الوحـي من الله تعالى طرق بينها الله تعالى بقوله في سـورة الشورى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ٥١﴾ [الشورى: 51]. فأخـبر الله تعالى أن تكليمه ووحيه للبشر يقع على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: الوحـي المجرد وهو ما يقذفه الله في قلب الموحى إليه ممـا أراد بحيث لا يشك فيه أنه من الله. ودليلـه قولـه تعـالى: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: 51]. ومثال ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود س عن النبي ج أنه قال: «إن روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»([[213]](#footnote-213)) أخرجه ابن حبان في صحيحه والحـاكـم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي وابن ماجه في سننه وغيرهم([[214]](#footnote-214)). وألحق بعض أهل العلم بهذا القسم رؤى الأنبياء في المنام كرؤيا إبراهيـم ÷ على ما أخبر الله عنه في قوله: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: 102]. وكرؤى النبي ج في بداية البعثة علـى مـا روى الشيخان من حديث عائشة ل قالت: «أول ما بدئ به رسـول الله ج من الوحـي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جـاءت مثل فلق الصبح»([[215]](#footnote-215))([[216]](#footnote-216)).

المرتبة الثانية: التكليم من وراء حجاب بلا واسطة كما ثبـت ذلـك لبعض الرسل والأنبياء كتكليم الله تعالى لموسى على ما أخـبر الله به في أكـثر من موضع من كتابه. قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164]. وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: 143]. وكتكليـم الله لآدم. قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: 37]. وكتكليـم الله تعالى لنبينا محمد ج ليلة الإسراء على ما هو ثابت في السنة. ودليل هـذه المرتبة من الآية قوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ﴾ [الشورى: 51].

المرتبة الثالثة: الوحي بواسطة الـملك. ودليله قوله تعـالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: 51]. وهذا كنـزول جبريل ÷ بالوحي من الله على الأنبياء والرسل.

والقرآن كله نـزل بهذه الطريقة تكلم الله به، وسمعه جبريل ÷ من الله ﻷ وبلغه جبريل لمحمد ج. قال تعـالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ١٩٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ١٩٣ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ١٩٤﴾ [الشعراء: 192-194]. وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: 102].

ولجبريل ÷ في تبليغه الوحي لنبينا ج ثلاثة أحوال:

1. أن يراه الرسول ج على صورته التي خلق عليها ولم يحصل هـذا إلا مرتين كما تقدم تقريره في الفصل السابق([[217]](#footnote-217)).
2. أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس فيذهب عنـه وقـد وعـى الرسول ج ما قال.
3. أن يتمثل له جبريل في صورة رجل ويخاطبه بالوحي كمـا مـر في حديث جبريل السابق في سؤاله النبي ج عن مراتب الدين([[218]](#footnote-218)).

وقد أخبر النبي ج عن الحالتين الأخيرتين في إجابته للحارث بن هشام لمـا سأل رسول الله ج فقال: «يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسـول الله ج أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي مـا يقول»([[219]](#footnote-219))([[220]](#footnote-220)) متفق عليه. ومعنى فصم: أي أقلع وانكشف.

المبحث الأول حكم الإيمان بالكتب وأدلته

تعريف الكتب:

الكتب جمع كتاب. والكتاب مصدر كتب يكتب كتابا، ثم سمـي بـه المكتوب والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها كـما في قولـه تعـالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [النساء: 153] يعني صحيفة مكتوباَ فيها.

والمراد بالكتب هنا: الكتب والصحف التي حوت كلام الله تعالى الـذيَ أوحاه إلى رسله †. سواء ما ألقاه مكتوبا كالتوراة، أو أنـزله عن طريق الملك مشافهة فكتب بعد ذلك كسائر الكتب.

حكم الإيمان بالكتب:

الإيمان بكتب الله التي أنـزل على رسله كلها ركن عظيـم من أركـان الإيمان وأصل كبير من أصول الدين، لا يتحقق الإيمان إلا به. وقد دل علـى ذلك الكتاب والسنة.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا١٣٦﴾ [النساء: 136]. فأمر الله عباده المؤمنين في الآية بالدخول في جميـع شـرائع الإيمان وشعبه وأركانه. فأمرهم بالإيمان بالله ورسـوله وهـو محمـد ج والكتاب الذي أنـزل على رسوله وهو القرآن، والكتاب الذي أنـزل من قبل وهو جميع الكتب المتقدمة: كالتوراة، والإنجيل، والزبـور، ثم بـين في ختام الآية أن من كفر بشيء من أركان الإيمان فقد ضل ضـلالا بعيـدا وخرج عن قصد السبيل ومن أركان الإيمان المذكورة الإيمان بكـتب الله.

وقال تعـالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: 177]). فأخبر ﻷ أن حقيقة البر: هو الإيمان بما ذكر من أركـان الإيمان، والعمل بخصال البر الواردة في الآية بعد هذا. وذكر مـن أركـان الإيمان: (الإيمان بالكتاب) قال ابن كثير: هو اسم جنس يشمل الكتـب المنـزلة من السماء على الأنبياء. حتى ختمت بأشرفها، وهـو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب([[221]](#footnote-221)).

ولتقرير الإيمان بالكتب كلها أمر الله عباده المؤمنين أن يخـاطبوا أهـل الكتاب بقوله تعـالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ١٣٦﴾ [البقرة: 136]. فتضمنت الآية إيمان المؤمنين بما أنـزل الله عليهم بواسـطة رسوله ج وما أنـزل على أعيان الرسل المذكورين في الآية، وما أنزل على بقية الأنبياء في الجملة وأنهم لا يفرقون بين الرسل في الإيمان ببعضـهم دون بعض فانتظم ذلك الإيمان بجميع الرسل وكل ما أنـزل الله عليهم مـن الكتب.

والآيات في تقرير هذا من كتاب الله كثيرة.

وأما السنة فقد دلت كذلك على وجوب الإيمان بالكتب. وأن الإيمان بها ركن من أركان الإيمان، دل على ذلك حديث جبريل، وسؤاله النبي ج أركان الإيمان، فذكر النبي ج في إجابته: الإيمان بالكتب مع بقية أركان الإيمان. وقد تقدم الحديث بنصه في الفصل السابق فأغنى عن إعادته هنا([[222]](#footnote-222)).

فتقرر بهذا وجوب الإيمان بالكتب والتصديق بها جميعها، واعتقاد أنها كلها من الله تعالى أنـزلها على رسله بالحق والهدى والنور والضيـاء، وأن من كذب بها أو جحد شيئا منها فهو كافر بالله خارج من الدين.

ثمرات الإيمان بالكتب:

وللإيمان بالكتب آثاره العظيمة على المؤمن فمن ذلك:

1. شكر الله تعالى على لطفه بخلقه وعنايته بهم حيث أنزل إليهم الكتب المتضمنة إرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.
2. ظهور حكمة الله تعالى حيث شرع في هذه الكتب لكل أمـة مـا يناسبها، وكان خاتم الكتب القرآن العظيم مناسبا لجميع الخلق في كل عصر ومصر إلى قيام الساعة.
3. إثبات صفة الكلام لله تعالى وأن كلامه لا يشبه كلام المخلوقـين، وعجز المخلوقين عن الإتيان بمثل كلامه.

المبحث الثاني كيفية الإيمان بالكتب

الإيمان بكتب الله يشتمل على عدة جوانب دلت النصوص على وجـوب اعتقادها وتقريرها لتحقيق هذا الركن العظيم من أركان الإيمان. وهي:

1- التصديق الجازم بأنها كلها منـزلة من الله ﻷ وأنها كـلام الله تعالى لا كلام غيره، وأن الله تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الـذي أراد سبحانه. قال تعـالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ٣ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ٤﴾ [آل عمران: 2-4].

فأخبر الله ﻷ أنه أنـزل هـذه الكتب المذكورة وهي: التوراة، والإنجيل، والقرآن من عنده وهذا يدل علـى أنه هو المتكلم بها وأنها منه بدأت لا من غيره، ولذا توعد في نهاية السياق من كفر بآيات الله بالعذاب الشديد.

وقال مخبرًا عن التوراة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى﴾ [المائدة: 44] فبين أنه تعالى هو الذي أنـزل التوراة وأن ما فيها من الهدى والنـور منـه سبحانه. وقال تعالى في سياق آخر مبينًا أن التوراة من كلامه وذلك في معرض إخباره عن اليهود ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 75] فكـلام الله الذي سمعوه ثم حرفوه هو التوراة. قاله السُّدِّي وابن زيد وجمع من المفسرين.

وقال تعالى في الإنجيـل ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: 47] أي من الأوامر والنواهي التي هي من كلام الله.

وقال في القرآن الكريم: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ١﴾ [هود: 1]. وقال تعالى مخاطبًا رسوله ج ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ٦﴾ [النمل: 6]. وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ [النحل: 102]. وقال تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 6]. وإنما أمروا أن يسمعوا القرآن الذي أنـزله على رسوله ج فهو كلام الله على الحقيقة.

2- الإيمان بأنها دعت كلها إلى عبادة الله وحده وقد جـاءت بالخـير والهدى والنور والضياء. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 79]. فبين الله أنه ما ينبغي لأحد من البشر، آتاه الله الكتاب والحكـم والنبوة، أن يأمر الناس أن يتخذوه إلها من دون الله. وذلك أن كتب الله إنمـا جاءت بإخلاص العبادة لله وحده.

وقال تعالى مبينًا أن كتبه جاءت بالحق والهـدى ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ٣ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 3-4]. وقال تعـالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: 213]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: 44]. وقال تعـالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: 185]. إلى غير ذلك من الآيات المتضمنة أن كتب الله تعالى قد جـاءت بـالهدى والنور من الله تعالى.

3- الإيمان بأن كتب الله يصدق بعضها بعضًا فلا تنـاقض بينـها ولا تعارض كما قال تعالى في القرآن ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا﴾ [المائدة: 48]. وقال في الإنجيل: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ [المائدة: 46]. فيجب الإيمان بهذا واعتقاد سلامة كتب الله من كل تنـاقض أو تعـارض، وهذا من أعظم خصائص كتب الله عن كتب الخلق وكلام الله عن كـلام الخلق فإن كتب المخلوقين عرضة للنقص والخلل والتعارض كما قال تعـالى في وصف القرآن ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرً﴾ [النساء: 82].

4- الإيمان بما سمى الله ﻷ من كتبـه علـى وجـه الخصـوص، والتصديق بها، وبإخبار الله ورسوله عنها. وهذه الكتب هي:

أ) التوراة: وهي كتاب الله الذي آتاه موسى ÷. قال تعـالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ [القصص: 43]. وفي حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه الشيخان من حديـث أنس بن مالك س مرفوعًا: «فيأتون إبراهيم فيقول: لسـت هُنَاكـم ويذكر خطيئته التي أصابها ولكن ائتوا موسى عبدًا آتاه الله التـوراة وكلمه تكليما»([[223]](#footnote-223))([[224]](#footnote-224)) وقد ألقى الله التوراة على موسى مكتوبة في الألـواح وفي ذلك يقول سبحانه ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 145]. قال ابن عباس (يريـد ألـواح التـوراة). وفي حديث احتجاج آدم وموسى من رواية أبي هريرة س عن النبي:  «قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده»([[225]](#footnote-225)) أخرجـاه في الصحيحين من طرق كثيرة([[226]](#footnote-226)). والتوراة هي أعظم كتب بـني إسـرائيل وفيها تفصيل شريعتهم وأحكامهم التي أنـزلها الله على موسى وقد كان على العمل بها أنبيـاء بني إسرائيل الذين جاءوا من بعد موسى كما قـال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: 44]. وقد أخبر الله في كتابه عن تحريف اليـهود للتـوراة وتبديلها على ما سيأتي بسط هذا في المبحث القادم إن شاء الله.

ب) الإنجيل: وهو كتاب الله الذي أنـزله على عيسى ابن مريم عليهما السلام. قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ٤٦﴾ [المائدة: 46].

وقد أنـزل الله الإنجيل مصدقا للتوراة وموافقا لها كما تقـدم في الآيـة السابقة.

قال بعض العلماء([[227]](#footnote-227)) لم يخالف الإنجيل التوراة إلا في قليل من الأحكام مما كانوا يختلفون فيه كما أخبر الله عن المسيح أنه قال لبني إسـرائيل: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: 50].

وقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أن التوراة والإنجيل نصا على البشـارة بنبينا محمد ج. قال تعـالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: 157].

وقد لحق الإنجيل من التحريف ما لحق التوراة، كمـا سـيأتي بيانـه في المبحث القادم بحول الله.

ج) الزبور: وهو كتاب الله الذي أنـزله على داود ÷. قـال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: 163]. قال قتادة في تفسير الآية: " كنـا نحدث أنه دعاء علمه الله داود وتحميد وتمجيد لله ﻷ ليس فيه حـلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ".

د) صحف إبراهيم وموسى: وقد جاء ذكرها في موضعين من كتـاب الله، الأول في سورة النجم في قول الله تعـالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى٣٦ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى٣٨ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى٣٩﴾ [النجم: 36-39]. والثاني في سورة الأعلى، قال تعـالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا١٦ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى١٧ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى١٨ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى١٩﴾ [الأعلى: 14-19]. فأخبر الله ﻷ عن بعض ما جاء في هـذه الصحـف من وحيه الذي أنـزله على رسوليه إبراهيم وموسـى عليـهما السلام. والعلم عند الله.

هـ) القرآن العظيم: وهو كتاب الله الذي أنـزله على نبينا محمـد ج مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، وهو آخر كتب الله نـزولا وأشرفها وأكملها، والناسخ لما قبله من الكتب وقد كانـت دعوتـه لعامـة الثقلين من الإنس والجن. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48] ومهيمنًا: أي شهيدًا علـى ما قبله من الكتب وحاكما عليها. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: 19]. وقال ﻷ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا١﴾ [الفرقان: 1]. وللقرآن أسماء كثيرة أشهرها: القرآن، والفرقـان، والكتاب، والتنـزيل، والذكر.

فيجب الإيمان بهذه الكتب على ما جاءت به النصوص، من ذكر أسمائها، ومن أنـزلت فيهم، وكل ما أخبر الله به ورسوله ج عنها، وما قُصَّ علينـا من أخبار أهلها.

5- الاعتقاد الجازم بنسخ جميع الكتب والصحف التي أنـزلها الله علـى رسله، بالقرآن الكريم، وأنه لا يسع أحدًا من الإنس أو الجن، لا من أصحاب الكتب السابقة، ولا من غيرهم، أن يعبدوا الله بعد نـزول القرآن بغير مـا جـاء فيه أو يتحاكموا إلى غيره. والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة. قال تعـالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا١﴾ [الفرقان: 1]. وقال ﻷ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ١٦﴾ [المائدة: 15-16].

وقال تعالى آمرا نبيه ج أن يحكـم بين أهل الكتاب بـالقرآن ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: 49].

ومن السنة حديث جابر بن عبد الله ب أن عمر بن الخطـاب س أتى النبي ج بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ج فغضب وقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيـده لقـد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكـم بـحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا، والذي نفسي بيده، لو أن مـوسى كان حيا، ما وسـعه إلا أن يتبعني»([[228]](#footnote-228)) رواه أحمد والبزار والبيهقـي([[229]](#footnote-229)) وغيرهم وهو حديث حسـن بمجموع طرقه. ومعنى متهوكون: متحيرون.

فهذا ما يجب اعتقاده في كتب الله على سبيل الإجمال وسيأتي تفصيل مـا يجب اعتقاده في القرآن على وجه الخصوص في مبحث مستقل إن شـاء الله تعالى.

المبحث الثالث بيان أن التوراة والإنجيل وبعض الكتب الأخرى المنزلة دخلها التحريف وسلامة القرآن من ذلك

تحريف أهل الكتاب لكـلام الله:

أخبر الله ﻷ في القرآن الكريم عن تحريف أهل الكتاب لكتـب الله المنـزلة عليهم وتغييرها وتبديلها.

قال تعالى في حق اليهود: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ٧٥﴾ [البقرة: 75]. وقال ﻷ: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ﴾ [النساء: 46].

وقال تعالى مخبرا عن النصـارى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ١٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: 14-15].

فدلت الآيات على تحريف اليهود والنصارى كتب الله المنـزلة عليهم.

وقد كـان هذا التحريف بالزيادة تارة وبالنقص تارة أخرى.

فدليل الزيادة قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ٧٩﴾ [البقرة: 79]

ودليل النقص قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: 15]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: 91].

تحريف التوراة والإنجيل وأدلة ذلك:

هذا ما جاء في تحريف أهل الكتاب لكلام الله وكتبه في الجملـة. وأمـا التوراة والإنجيل خاصة فقد دلت الأدلة مما تقدم وغيرهـا علـى وقـوع التحريف فيهما.

فمن أدلة تحريف التوراة قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ٩١﴾ [الأنعام: 91]. وجاء في تفسير الآية: (أي تجعلون الكتاب الذي جـاء به موسى في قراطيس تضعونه فيها ليتم لكـم ما تريدونه مـن التحريـف والتبديل وكتم صفة النبي ج المذكورة فيه).

وقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: 75]قال السدي في تفسـير الآية: (هي التوراة حرفوها). وقال ابن زيد: (التوراة التي أنـزلها عليـهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا والحق فيها بـاطلا والباطل فيها حقا).

ودليل تحريف الإنجيل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ١٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: 14-15]. قال بعض أئمة التفسير في تفسير الآية الأخيرة: أي يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه وافتروا على اللهّ فيه ويسكت عن كثير مما غـيروه ولا فائدة في بيانه([[230]](#footnote-230)).

فدلت هذه الآيات على وقوع التحريف والتبديل في التوراة والإنجيـل. ولهذا اتفق علماء المسلمين على أن التوراة والإنجيل قد دخلهما التحريـف والتغيير.

سلامة القرآن من التحريف وحفظ الله له وأدلة ذلك:

أما القرآن العظيم فهو سليم مما طرأ على الكتب السابقة من التحريـف والتبديل وهو محفوظ من كل ذلك بحفظ الله له وصيانته إياه كما أخـبر الله عن ذلك بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ٩﴾ [الحجر: 9]. قـال الطبري في تفسير الآية: (قال وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل مـا ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه ([[231]](#footnote-231))). كمـا أخبر الله في آيات أخرى عن تمام إحكامه للقرآن وتفصيله وتنـزيهه مـن كل باطل فقال عز من قائل: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ٤٢﴾ [فصلت: 42]. وقال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ١﴾ [هود: 1]. وقال ﻷ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ١٧﴾ [القيامة: 17].

فدلت هذه الآيات على كمال حفظ الله للقرآن لفظـا ومعنى بـدءا بنـزوله إلى أن يأذن الله برفعه إليه سليما من كل تغيير أو تبديل. إذ تكفـل بتعليمه لنبيه ج ثم جمعه في صدره وبيانه له وتفسيره في سنته المطـهرة، ثم ما هيأ الله له بعد ذلك من عدول الرجال الذيـن حفظـوه في الصـدور والسطور، عبر الأجيال والقرون، فبقي سليما منـزها من كل باطل، يقرؤه الصغار والكبار، على مختلف الأعصار والأمصار، غضا طريا كما أنـزل من الله على رسوله ج.

وقد نبه العلماء في هذا المقام إلى سر لطيف ونكتة بديعة تتعلـق بجـواز التحريف على التوراة وعدم جوازه على القرآن على ما روى أبو عمـرو الداني عن أبي الحسن المنتاب قال: كنت يوما عند القاضي أبي إسـحاق إسماعيل بن إسحاق فقيل له: لم جاز التبديل على أهل التوراة ولم يجز علـى أهل القرآن؟ فقال القاضي: قال الله ﻷ في أهـل التـوراة ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: 44] فوكل الحفظ إليهم فجاز التبديـل عليهم. وقال في القرآن ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ٩﴾ [الحجر: 9] فلم يجز التبديل عليهم. قال: فمضيت إلى أبي عبد الله المحاملي فذكرت لـه الحـكـاية فقال: (ما سمعت كلاما أحسن من هذا).

المبحث الرابع الإيمان بالقرآن وخصائصه

تعريف القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي والفـرق بينهما:

القرآن الكريم: هو كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله حقيقة، سمعه جبريل ÷ من الله ﻷ ونزل به على خاتم رسله محمد ج بلفظـه ومعناه المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف المحفـوظ من التغيير والتبديل([[232]](#footnote-232)).

والحديث القدسي: هو ما رواه النبي ج عن ربه باللفظ والمعنى ونقـل إلينا آحادا أو متواترا ولم يبلغ تواتر القرآن([[233]](#footnote-233)).

ومثاله حديث أبي ذر الغفاري عن النبي ج فيما يرويه عن ربه ﻷ أنه قال: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فـلا تظالموا»([[234]](#footnote-234))([[235]](#footnote-235)).

والحديث النبوي: ما أضيف إلى النبي ج من قول أو فعل أو تقريـر أو وصف ([[236]](#footnote-236)).

والفرق بين القرآن والحديث القدسي والنبوي: أن القرآن متعبد بتلاوته معجز في نظمه متحدى به، يحرم مسه لمحدث، وتلاوته لنحو جنب، وروايته بالمعنى، وتتعين قراءته في الصلاة، ويؤجر قارئه بكل حـرف منـه حسنة والحسنة بعشر حسنات. بخلاف الحديث القدسي والحديث النبـوي فإنما ليسا كذلك.

والفرق بين الحديث القدس والنبوي: أن الحديث القدسي من كـلام الله بلفظه ومعناه بخلاف الحديث النبوي فهو من كلام النبي ج لفظًـا ومعنى، وأن الحديث القدسي أفضل من الحديث النبوي وذلك لفضل كـلام الله على كلام المخلوقين([[237]](#footnote-237)).

خصائص الإيمان بالقرآن:

الإيمان بكتب الله ركن عظيم من أركان الإيمان على ما تقدم تقريـره، ولما كان القرآن العظيم هو الكتاب الناسخ للكتب السابقة والمهيمن عليـها والمتعبد به لعامة الثقلين بعد بعثة نبينا محمد ج ونـزول هـذا الكتـاب عليه، اختص الإيمان به بخصائص ومميزات لا بد من تحقيقـها للإيمـان بـه بالإضافة إلى ما تم تقريره من مسائل في تحقيق الإيمان بالكتب إجمالا. وهذه الخصائص هي:

ا- اعتقاد عموم دعوته وشمول الشريعة التي جاء بها لعموم الثقلين مـن الجن والإنس لا يسع أحدًا منهم إلا الإيمان به ولا أن يعبدوا الله إلا بما شـرع فيه. قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا١﴾ [الفرقان: 1]. وقال تعالى مخبرًا على لسان نبيه ج ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: 19]. وقال تعالى إخبارًا عن الجـن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: 1-2].

2- اعتقاد نسخه لجميع الكتب السابقة فلا يجوز لأهـل الكتـاب ولا لغيرهم أن يعبدوا الله بعد نـزول القرآن بغيره، فلا دين إلا ما جاء بـه، ولا عبادة إلا ما شرع الله فيه، ولا حلال إلا ما أحل فيه، ولا حرام إلا ما حـرم فيه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 85]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: 105]. وقد تقدم في حديث جابر بن عبد الله نهـي النبي ج أصحابه عن قراءة كتب أهل الكتاب وقوله: «والذي نفسي بيده لـو أن موسى كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني»([[238]](#footnote-238))([[239]](#footnote-239)).

3- سماحة الشريعة التي جاء بها القرآن ويسرها، بخـلاف الشـرائع في الكتب السابقة. فقد كانت مشتملة على كثير من الآصار، والأغلال الـتي فرضت على أصحابها. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: 157].

4- أن القرآن هو الكتاب الوحيد من بين الكتب الإلهية الذي تكفل الله بحفظ لفظه ومعناه من أن يتطرق إليه التحريف اللفظي أو المعنـوي. قـال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ٩﴾ [الحجر: 9]). وقال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ٤٢﴾ [فصلت: 42]. وقال ﻷ مبينًا تكفله بتفسيره وتوضيحه علـى مـا أراد وشرع: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ١٧ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ١٩﴾ [القيامة: 17-19]. قال ابن كثير في تفسير الآية الأخـيرة: (أي بعـد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشـرعنا). وقد هيأ الله تعالى لحفظ كتابه من العلماء الجهابذة من قاموا بذلك خير قيـام، من لدن النبي ج إلى يومنا هذا، فحفظوا لفظه وفهموا معناه، واستقاموا على العمل به، ولم يَدَعوا مجالا من مجالات خدمة القرآن وحفظه إلا وألفوا فيـه المؤلفات المطولة، فمنهم من ألف في تفسيره، ومنهم مـن ألـف في رسمـه وقراءاته، ومنهم من ألف في محكمه ومتشابهه، ومنهم من ألـف في مكيـه ومدنيه، ومنهم من ألف في استنباط الأحكام منه، ومنهم من ألف في ناسخه ومنسوخه، ومنهم من ألف في أسباب نـزوله، ومنهم من ألف في أمثالـه، ومنهم من ألف في إعجازه، ومنهم من ألف في غريبه، ومنهم من ألـف في إعرابه، إلى غير ذلك من المجالات التي تجسد من خلالها حفظ الله لكتابه بما هيأ له هؤلاء العلماء من خدمة كتابه وعلومه حتى بقي محفوظًا يقرأ ويفسـر غضًّا طريًّا كما أنـزل.

5- أن القرآن الكريم مشتمل على وجوه كثيرة من الإعجاز شارك فيها غـيره من الكتب المنـزلة، وهو في الجملة المعجزة العظمى وحجة الله البالغة الباقية التي أيد بها نبيه ج وأتباعه إلى قيام الساعة، على ما روى الشـيخان مـن حديث أبي هريرة عن النبي ج قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطـى مـن الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحـاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»([[240]](#footnote-240))([[241]](#footnote-241)). ومن صور إعجـاز القرآن حسن تأليفه وفصاحته وبلاغته وقد وقع التحدي للإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو ببعضه على مراتب ثلاث: فقد تحداهم الله على أن يأتوا بمثله فعجزوا وما استطاعوا. قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ٣٣ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ٣٤﴾ [الطور: 33-34]. وقال ﻷ مقررًا عجزهم عـن ذلك ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا٨٨﴾ [الإسراء: 88]. ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فما قدروا. قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ١٣﴾ [هود: 13]. ثم تحداهم مرة ثالثة بأن يأتوا بسورة منه فما اسـتطاعوا. قـال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ٣٨﴾ [يونس: 38]. فثبت بهذا إعجاز القرآن على أبلـغ وآكده، لما عجز الخلق عن معارضته بأدنى مراتب التحـدي، وهـو الإتيان بسورة من مثله، وأقصر سورة في القرآن ثلاث آيات.

6- أن الله تعالى بين في القرآن كل شيء مما يحتاج له النـاس في أمـر دينهم، ودنياهم، ومعاشهم، ومعادهم. قال تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ٨٩﴾ [النحل: 89]. وقـال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38]. قال ابن مسـعود س (أنـزل في هذا القرآن كل علم، وكل شيء قد بين لنا في القرآن).

7- أن الله تعالى يسر القرآن للمتذكر والمتدبر وهذا من أعظم خصائصه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ١٧﴾ [القمر: 17]. وقـال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ٢٩﴾ [ص: 29]. قال مجاهد في تفسير الآية الأولى: (يعني هونَّـا قراءتـه). وقـال السدي: (يسرنا تلاوته على الألسن). وقال ابن عباس: (لولا أن الله يسـره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله)([[242]](#footnote-242)). وقـد ذكر الطبري وغيره من أئمة التفسير أن تيسير القرآن يشمل تيسير اللفـظ للتلاوة وتيسير المعاني للتفكر والتدبر والاتعاظ([[243]](#footnote-243)) وهو كذلك كمـا هـو ملاحظ ومشاهد.

8- أن القرآن تضمن خلاصة تعاليم الكتب السابقة وأصـول شـرائع الرسل. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْه﴾ [المائدة: 48]. وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13].

9- أن القرآن مشتمل على أخبار الرسل والأمم الماضية وتفصيل ذلـك بشكل لم يسبق إليه كتاب قبله. قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: 120]. وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ١٠٠﴾ [هود: 100]. وقال تعـالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا٩٩﴾ [طه: 99].

10- أن القرآن هو آخر كتب الله نـزولا وخاتمها والشاهد عليها. قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ٣ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 3-4]. وقـال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا﴾ [المائدة: 48].

فهذه بعض خصائص القرآن الكريم على سائر الكتب الأخرى ممـا لا يتحقق الإيمان به إلا باعتقادها وتحقيقها علمًا وعملًا. والله تعالى أعلم.

الفصل الثالث الإيمان بالرسل

ويحتوي على أحد عشر مبحثًا:

المبحث الأول: حكم الإيمان بالرسل وأدلته.

المبحث الثاني: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.

المبحث الثالث: كيفية الإيمان بالرسل.

المبحث الرابع: ما يجب علينا نحو الرسل.

المبحث الخامس: أولو العزم من الرسل.

المبحث السادس: خصائص نبينا محمد ج وحقوقه على أمته مـع

بيان أن رؤية النبي ج في المنام حق.

المبحث السابع: ختم الرسالة وبيان أنه لا نبي بعده.

المبحث الثامن: الإسراء بالرسول ج حقيقته وأدلته.

المبحث التاسع: القول الحق في حياة الأنبياء †.

المبحث العاشر: معجزات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات الأولياء.

المبحث الحادي عشر: الولي والولاية في الإسلام.

المبحث الأول: حكم الإيمان بالرسل وأدلته

الإيمان برسل الله تعالى واجب من واجبات هذا الدين وركن عظيم مـن أركـان الإيمان. وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ [البقرة: 285]. فذكر الله تعالى الإيمان بالرسل في جملة ما آمن بـه الرسول والمؤمنون، من أركان الإيمان. وبين أنهم في إيمانهم بالرسـل لا يفرقون بينهم فيؤمنوا ببعضهم دون بعض، بل يصدقون بهم جميعًا.

وقد بين الله في كتابه حكم من ترك الإيمان بالرسل. فقال تعـالى﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا١٥٠ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: 150-151]. فأطلق الكفر علـى من كـذب بالرسل أو فرق بينهم بالإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم. ثم قرر أن هـؤلاء هم الكافرون حقًّا أي الذين تحقق كفرهم وتقرر صراحة.

كما بين الله في مقابل ذلك في السياق نفسه ما عليه أهل الإيمان مـن ذلك فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا١٥٢﴾ [النساء: 152]. فوصفـهم بالإيمان بالله ورسله كلهم من غير تفريق بين الرسل في الإيمان ببعضهم دون بعض وإنما يعتقدون أنهم مرسلون من الله تعالى.

وأما السنة فدلت كذلك على ما دل عليه الكتاب من أن الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان وقد دَلّ على ذلك حديث جبريل المتقدم بنصـه في مبحـث (الإيمان بالملائكة) وفيه أن النبي ج أجاب لما سأله جبريل ÷ عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله وملائكـته وكتبه ورسـله واليـوم الآخر»([[244]](#footnote-244))([[245]](#footnote-245)) الحديث. فذكر الإيمان بالرسل مع بقية أركان الإيمان الأخرى الواجـب على المسلم تحقيقها واعتقادها.

وفي دعاء النبي ج في التهجد عند قيام الليل أنه كان يقول: «اللهم لـك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنـت قيـم السماوات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحـق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حـق، والنـار حـق، والنبيون حق، والساعة حق»([[246]](#footnote-246))([[247]](#footnote-247)).

فشهادة النبي ج أن النبيين حق ضمن ما ذكر من أصول الإيمان العظيمة كالإيمان بالله وبوجود الجنة والنار وقيام الساعة وتقديمه ذلك بـين يـدي دعائه وقيامه دليل على أهمية الإيمان بالرسل والأنبياء ومكانته في الدين.

فتقرر وجوب الإيمان بالرسل وأنه من أعظم دعائم هذا الدين ومن أكـبر خصال الإيمان وأن من كذب بالرسل أو بأحد منهم فإنه كافر بالله العظيـم كفرًا صريحًا بجحده هذا الركن العظيم من أركان الإيمان.

ثمرات الإيمان بالرسل:

إذا تحقق الإيمان بالرسل ترك آثاره الطيبة وثماره اليانعة على المؤمن فمـن ذلك:

1. العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام للهداية والإرشاد.
2. شكر الله على هذه النعمة الكبرى.
3. محبة الرسل وتوقيرهم والثناء عليهم بما يليق بهم لأنهم رسل الله تعالى وخلاصة عبيده، ولما قاموا به من تبليغ رسالة الله لخلقه وكمال نصحـهم لأقوامهم وصبرهم على أذاهم.

المبحث الثاني: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

النبي في اللغة: مشتق من النبأ وهو الخبر ذو الفائدة العظيمـة. قـال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ٢﴾ [النبأ: 1-2]. وسمي النبي نبيًّا لأنـه مُخبرٌ من الله، ويُخْبِرُ عن الله فهو مُخبَر ومُخبِر.

وقيل النبي مشتق من النباوة: وهي الشيء المرتفع.

وسمي النبي نبيًّا على هذا المعنى: لرفعة محله على سائر الناس. قال تعـالى ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا٥٧﴾ [مريم: 57].

والرسول في اللغة: مشتق من الإرسال وهو التوجيه. قال تعالى مخـبرًا عن ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ٣٥﴾ [النمل: 35].

وقد اختلف العلماء في تعريف كل من النبي والرسول في الشرع علـى أقوال أرجحها:

أن النبي: هو من أوحى الله إليه بما يفعله ويأمر به المؤمنين.

والرسول: هو من أوحى الله إليه وأرسله إلى من خالف أمر الله ليبلـغ رسالة الله.

والفرق بينهما:

أن النبي هو من نبأه الله بأمره ونهيه ليخاطب المؤمنين ويأمرهم بذلك ولا يخاطب الكفار ولا يرسل إليهم.

وأما الرسول فهو من أرسل إلى الكفار والمؤمنين ليبلغـهم رسـالة الله ويدعوهم إلى عبادته.

وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة فقد كان يوسف علـى ملة إبراهيم، وداود وسليمان كـانا على شريعة التوراة وكلهم رسل. قـال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [غافر: 34]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا١٦٣ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا١٦٤﴾ [النساء: 163-164].

وقد يطلق على النبي أنه رسول كـما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: 52] فذكر الله ﻷ أنه يرسل النبي والرسول. وبيان ذلك أن الله تعالى إذا أمر النبي بدعوة المؤمنين إلى أمر فهو مرسل من الله إليهم لكن هذا الإرسال مقيـد. وأما الإرسال المطلق فهو بإرسال الرسل إلى عامة الخلـق مـن الكفـار والمؤمنين.

المبحث الثالث: كيفية الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل هو اعتقاد ما أخبر الله به عنهم في كتابه وأخبر به النبي ج في سنته إجمالا وتفصيلا.

فالإيمان المجمل:

هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهـم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دون الله. قـال تعـالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36]. وبأنهم جميعهم صادقون، بارون، راشدون، كرام بررة، أتقيـاء أمناء، هداة مهتدون. قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ٥٢﴾ [يس: 52]. وقال تعالى بعد أن ذكر طائفة كبيرة من الأنبياء والرسل: ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ٨٧ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: 87-88].

وبأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين جاءوا بالبينات مـن ربهم إلى أقوامهم. قال تعالى حكاية عن أهل الجنة: ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: 43]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25].

وبأن أصل دعوتهم واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله وأمـا شـرائعهم فمختلفة. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ٢٥﴾ [الأنبياء: 25]. وقال ﻷ ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48].

وبأنهم قد بلغوا جميع ما أرسلوا به البلاغ المبين، فقامت بذلك الحجـة على الخلق. قال تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا٢٨﴾ [الجن: 28]. وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: 165].

ويجـب الإيمان بأن الرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبيـة شيء. وإنما هم عباد أكرمهم الله بالرسالة. قال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: 11]. وقال تعالى عن نوح: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَك﴾ [هود: 31]. وقال ﻷ آمرًا نبينا محمدًا ج أن يقول لقومه: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأنعام: 50].

ومما يجب اعتقاده أيضًا في حق الرسل أنهم منصورون مؤيدون مـن الله، وأن العاقبة لهم ولأتباعهم. قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ٥١﴾ [غافر: 51]. كما يجب اعتقـاد تفـاضل الرسل على ما أخبر ﻷ في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: 253].

فيجـب الإيمان بكل هذا وبكل ما جاء في الكتاب والسنة عـن الرسـل على وجه العموم إيمانًا مجملًا.

وأما الإيمان المفصل:

فيكون بالإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه والنبي ج في سنته منهـم، إيمانًا مفصلًا على نحو ما جاءت به النصوص من ذكر أسمائهم وأخبـارهم وفضائلهم وخصائصهم.

والمذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون. ورد ذكـر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ٨٣ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ٨٥ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ٨٦﴾ [الأنعام: 83-86]. وورد ذكر الباقين في مواضع أخرى من القرآن. قال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: 65].

وقال: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [الأعراف: 73]. وقـال ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: 85]. وقـال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا﴾ [آل عمران: 33]. وقال: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ٨٥﴾ [الأنبياء: 85]. وقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29]. فيجب الإيمان بهؤلاء الأنبياء والمرسـلين إيمانًـا مفصلًا، والإقرار لكل واحد منهم بالنبوة أو الرسالة على مـا أخـبر الله ورسوله ج عنهم.

كما يجب اعتقاد صحة ما جاءت به النصوص مـن ذكـر فضائلـهم وخصائصهم وأخبارهم، كاتخاذ الله إبراهيمَ ومحمدًا صلى الله عليهما وسـلم خليلين لقوله تعالى: ﴿حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا١٢٥﴾ [النساء: 125]. ولقول النبي ج «إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا»([[248]](#footnote-248)) أخرجـه مسـلم([[249]](#footnote-249)). وكـتكليم الله تعالى لموسى لقولـه تعـالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164]. وكذلك تسخير الجبال والطير لداود يسبحن بتسبيحه، قـال تعـالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 79]. وإلانة الحديد لداود كما قال تعـالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ١٠﴾ [سبأ: 10]. وتسـخير الرياح لسليمان تسير بأمره، وتسخير الجن له يعملون بين يديه ما يشـاء، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ [سبأ: 12]. وتعليم سـليمان منطق الطير، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: 16].

كـما يجب الإيمان على وجه التفصيل بما قص الله ﻷ في كتابه مـن أخبار الرسل مع أقوامهم، وما جرى بينهم من الخصومة، ونصر الله لرسـله وأتباعهم. كقصة موسى مع فرعون، وإبراهيم مع قومه، وقصـص نـوح وهود وصالح وشعيب ولوط مع أقوامهم. وما قـص الله علينـا في شـأن يوسف مع إخوته وأهل مصر، وقصة يونس مع قومه، إلى آخر ما جـاء في كتاب الله من أخبار الأنبياء والرسل، وكذلك ما جاء في السـنة فيجـب الإيمان به إيمانًا مفصلًا بحسب ما جاءت به النصوص.

وبذلك يتحقق الإيمان بالرسل بقسميه المجمل والمفصل. والله تعالى أعلم.

المبحث الرابع: ما يجب علينا نحو الرسل

يجب على الأمة تجاه الرسل حقوق عظيمة بحسب ما أنـزلهم الله مـن المنازل الرفيعة في الدين، وما رفعهم الله إليه من الدرجات السامية الجليلـة عنده، وما شرفهم به من المهمات النبيلة وما اصطفاهم به من تبليغ وحيـه وشرعه لعامة خلقه. ومن هذه الحقوق:

1- تصديقهم جميعًا فيما جاءوا به، وأنهم مرسلون من ربهم، مبلغون عن الله ما أمرهم الله بتبليغه لمن أرسلوا إليهم وعدم التفريق بينـهم في ذلـك. قـال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: 64]. وقـال تعـالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ٩٢﴾ [المائدة: 92]. وقال ﻷ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا١٥٠ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: 150-151]. فيجب تصديق الرسل فيما جاءوا بـه من الرسالات وهذا مقتضى الإيمان بهم.

ومما يجب معرفته أنه لا يجوز لأحد من الثقلين متابعة أحدٍ من الرسـل السابقين بعد مبعث محمد ج المبعوث للناس كافة، إذْ أن شريعته جـاءت ناسخة لجميع شرائع الأنبياء قبله فلا دين إلا ما بعثه الله به ولا متابعـة إلا لهذا النبي الكريم. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ٨٥﴾ [آل عمران: 85]. وقال تعـالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ٢٨﴾ [سبأ: 28]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158].

2- موالاتهم جميعًا ومحبتهم والحذر من بغضهم وعداوتهم.

قال تعـالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ٥٦﴾ [المائدة: 56]. وقال تعـالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 71]. فتضمنت الآية وصف المؤمنين بموالاة بعضهم لبعض فدخـل في ذلك رسل الله الذين هم أكمل المؤمنين إيمانًا وعليه فإن موالاتهم ومحبتـهم في قلوب المؤمنين هي أعظم من موالاة غيرهم من الخلق لعلو مكانتهم في الديـن ورفعة درجاتهم في الإيمان. ولذا حذر الله من معاداة رسله وعطفها في الذكر على معاداة الله وملائكته وقرن بينهما في العقوبة والجزاء. فقال عز من قائل: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ٩٨﴾ [البقرة: 98].

3- اعتقاد فضلهم على غيرهم من الناس، وأنه لا يبلغ منـزلتهم أحـد من الخلق مهما بلغ من الصلاح والتقوى إذ الرسالة اصطفاء من الله يختـص الله بها من يشاء من خلقه ولا تنال بالاجتهاد والعمل. قـال تعـالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ٧٥﴾ [الحج: 75]. وقال تعالى ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ [الأنعام: 83]. إلى أن قال بعد ذكر طائفة كبيرة من الأنبيـاء والمرسلين: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 86]. وقد تقدم نقل هـذا السـياق في المبحث الأول من هذا الفصل.

كما دلت السنة أيضًا على أن منـزلة الرسل لا يبلغها أحد من الخلق لما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة عن النبي ج أنه قال: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»([[250]](#footnote-250))([[251]](#footnote-251)) وفي رواية للبخاري: «من قال أنا خـير من يونس بن متى فقد كذب»([[252]](#footnote-252))([[253]](#footnote-253)). قال بعض شراح الحديث: (إنه ج قـال هذا زجرًا أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئًا من حط مرتبة يونس ج مـن أجل ما في القرآن العزيز من قصته). وبيّن العلماء:  أن ما جرى ليونس ج لم يحطه من النبوة مثقال ذرة وخص يونس بالذكر لما ذكر الله من قصتـه في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ٨٧ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ٨٨﴾ [الأنبياء: 87-88]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ١٣٩﴾ [الصافات: 139].

4- اعتقاد تفاضلهم فيما بينهم وأنهم ليسوا في درجة واحدة بل فضل الله بعضهم على بعض. قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُم﴾ [البقرة: 253]. قال الطبري في تفسير الآية: يقول تعالى ذكره: هؤلاء رسلي فضلت بعضهم على بعـض، فكلمت بعضهم كموسى ج ورفعت بعضهم درجات على بعض بالكرامـة ورفعة المنـزلة. فإنـزال كل واحد منهم منـزلته في الفضـل والرفعـة بحسب دلالات النصوص من جملة حقوقهم على الأمة.

5- الصلاة والسلام عليهم فقد أمر الله الناس بذلك وأخبر الله بإبقائـه الثناء الحسن على رسله وتسليم الأمم عليهم من بعدهم. قال تعـالى عـن نـوح: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ٧٨ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ٧٩﴾ [الصافات: 78-79]. وقال عن إبراهيـم: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ١٠٨ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ١٠٩﴾ [الصافات: 108-109]. وقال عن موسى وهـارون: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ١١٩ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ١٢٠﴾ [الصافات: 119-120].

وقال تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ١٨١﴾ [الصافات: 181]. قال ابن كثير: قولـه تعالى ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ٧٩﴾ [الصافات: 79] مفسرًا لما أبقى عليه مـن الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه جميع الطوائف. وقد نقل الإمـام النووي إجماع العلماء على جواز الصلاة على سائر الأنبياء واستحبابها. قال: (أجمعوا على الصلاة على نبينا محمد ج. وكذلك أجمع من يعتد به علـى جوازها على سائر الأنبياء والملائكة استقلالا وأما غير الأنبياء فالجمهور على أنه لا يصلى عليهم ابتداء).

فهذه طائفة مما يجب للرسل من حقوق على هذه الأمة مما دلـت عليـه النصوص وقرره أهل العلم. والله تعالى أعلم.

المبحث الخامس: أولو العزم من الرسل

أولو العزم من الرسل هم: ذوو الحزم والصبر. قال تعالى﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُل﴾ [الأحقاف: 35].

وقد اختلف العلماء فيهم. فقيل المراد بأولي العزم هم جميـع الرسـل. ومن في قوله ﴿مِنَ الرُّسُل﴾ [الأحقاف: 35] لبيان الجنس لا للتبعيض. قال ابن زيـد: (كل الرسل. كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبيًّا إلا كـان ذا عزم وحزم ورأي وكـمال عقل).

وقيل هم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليـهم وسلم. قال ابن عباس: (أولو العزم من الرسل النبي ج ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى). وبهذا القول قال مجاهد وعطـاء الخراساني، وعليه كثير من متأخري أهل العلم.

وقد ذكر الله هؤلاء الخمسة مجتمعين في موطنين من كتابه وبه اسـتدل لهذا القول. الأول في سورة الأحزاب. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا٧﴾ [الأحزاب: 7]. والثاني في سورة الشورى.

قال تعـالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13]. قال بعض المفسرين: (ووجه تخصيصهم بالذكر الإعلام بـأن لهم مزيد شرف وفضل لكونهم من أصحاب الشرائع المشهورة ومـن أولي العزم من الرسل).

وهؤلاء الخمسة هم أفضل الرسل وخيار بني آدم. فعن أبي هريرة س أنه قال: (خيار ولد آدم خمسة نوح وإبراهيم وعيسى وموسـى ومحمـد ج وخيرهم محمد ج وصلى الله وسلم عليهم أجمعين)([[254]](#footnote-254)).

وأفضلهم محمد ج على ما أخرج البخاري من حديث أبي هريـرة س عن النبي ج أنه قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنـه القبر وأول شافـع وأول مشفع»([[255]](#footnote-255))([[256]](#footnote-256)).

المبحث السادس خصائص نبينا محمد ج وحقوقه على أمته مع بيان أن رؤية النبي ج في المنام حق

أولا: خصائصه ج

لقد خص الله تبارك وتعالى نبينا محمدًا ج بكثـير مـن الخصـائص والمناقب التي فضله بها على غيره من المرسلين وميزه عن سائر العالمين. ومـن هذه الخصائص:

1- عموم رسالته لكافة الثقلين من الجن والإنس فلا يسع أحدًا منـهم إلا اتباعه والإيمان برسالته. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرً﴾ [سبأ: 28]. وقال تعـالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا١﴾ [الفرقان: 1]. قال ابن عباس ب:  العالمين: الجن والإنس. وعن أبي هريرة س عن النبي ج أنه قال: «فضلت علـى الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلـت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختـم بي النبيون»([[257]](#footnote-257))([[258]](#footnote-258)). وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة س عن النبي ج أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد مـن هـذه الأمـة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كـان مـن أصحاب النار»([[259]](#footnote-259))([[260]](#footnote-260)).

2- أنه خاتم الأنبياء والمرسلين كما دلت على ذلك النصوص. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: 40]. وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة س عن النبي ج قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجملـه، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولـون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»([[261]](#footnote-261))([[262]](#footnote-262)). ولهذه النصوص أجمعت الأمة سلفًا وخلفًا على هذه العقيدة كما أجمعت على تكفـير مـن ادعى النبوة بعده ج ووجوب قتل مدعيها إن أصر علـى ذلـك. قـال الألوسي: (وكونه ج خاتم النبيين مما نطق به الكتاب، وصدعت به السـنة، وأجمعت عليه الأمة، فيكفر مدعي خلافه ويقتل إن أصر).

3- أن الله أيده بأعظم معجزة وأظهر آية وهو القرآن العظيم، كـلام الله المحفوظ من التغيير والتبديل، الباقي في الأمة إلى أن يأذن الله برفعه إليه. قـال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا٨٨﴾ [الإسراء: 88]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ٥١﴾ [العنكبوت: 51]. وفي الصحيحين من حديث أبي هريـرة س النبي ج أنه قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمـن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكـون أكثرهم تابعا يوم القيامة»([[263]](#footnote-263))([[264]](#footnote-264)).

4- أن أمته خير الأمم وأكثر أهل الجنة. قال تعـالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]. وعن معاوية بن حيدة القشيري س أنه سمع النبي ج يقـول في قوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ [آل عمران: 110] قال: «إنكم تتمون سبعين أمـة أنتـم خيرها وأكرمها على الله»([[265]](#footnote-265))([[266]](#footnote-266)). وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسـعود قال: «كنا مع النبي ج في قبة فقال: (أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنـة). قلنا: نعم. قال: (أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة). قلنـا نعم. قـال: (أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة). قلنا: نعم. قال: (والذي نفس محمـد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلـها إلا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلـد الثـور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر)»([[267]](#footnote-267))([[268]](#footnote-268)).

5- أنه سيد ولد آدم يوم القيامة. فعن أبي هريرة س قال: قال رسـول الله ج «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شـافع وأول مشفع»([[269]](#footnote-269))([[270]](#footnote-270)).

6- أنه صاحب الشفاعة العظمى وذلك عندما يشفع لأهل الموقف في أن يقضي بينهم ربهم بعد أن يتدافعها أفضل الرسل وهي المقام المحمود المذكـور في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا٧٩﴾ [الإسراء: 79]. وقـد فسر المقام المحمود بالشفاعة جمع من الصحابة والتابعين منهم حذيفة وسلمان وأنس وأبو هريرة وابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد وقتـادة وغيرهم. وقال قتادة: " كان أهل العلم يرون المقام المحمود هو شفاعته يـوم القيامة ". وقد دلت السنة كذلك على شفاعته ج في أهل الموقف كما جـاء ذلك في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه الشيخان مـن حديـث أبي هريرة عن النبي ج ذكر اعتذار آدم ثم نوح ثم إبراهيـم ثم موسـى ثم عيسى عن قبول الشفاعة وكلهم يقول: (لست هناك) إلى أن قال: «فيأتونني فأنطلق، فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت له سـاجدا فـيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، قل يسـمع، وسـل تعطه، واشفع تشفع فأحمد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع»([[271]](#footnote-271))([[272]](#footnote-272)) الحديث.

7- أنه صاحب لواء الحمد وهو لواء حقيقي يختص بحمله يوم القيامـة، ويكون الناس تبعا له وتحت رايته واختص به لأنه حمد الله بمحامد لم يحمـده بها غيره. ذكر هذا بعض أهل العلم. وقد دلت السنة على اختصاصه بهـذه الفضيلة العظيمة. فعن أبي سعيد الخدري س قال: قال رسول الله ج «أنـا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فـخر، وما من نبي يومئـذ آدم فمن سواه، إلا تحـت لوائي، وأنا أول مـن تنشـق عنـه الأرض ولا فخر»([[273]](#footnote-273))([[274]](#footnote-274)).

8- أنه صاحب الوسيلة، وهي درجة عالية في الجنة، لا تكون إلا لعبـد واحد، وهي أعلى درجات الجنة. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ب أنه سمع رسول الله ج يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقـول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى عليه الله بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منـزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجـو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»([[275]](#footnote-275))([[276]](#footnote-276)).

إلى غير ذلك من خصائصه ومناقبه ج الدالة على علو درجته عند ربـه، وسمو مكـانته في الدنيا والآخرة، وهي كثيرة جدا.

ثانيا: حقوق النبي ج على أمته:

حقوق النبي ج على أمته كثيرة وقد تقدم ذكر بعضها فيما يجب علـى الأمة من حقوق عامة تجاه الرسل قاطبة. وفيما يلي عرض لبعض حقوقـه الخاصة على أمته، وهي: 1- الإيمان المفصل بنبوته ورسالته واعتقاد نسخ رسالته لجميع الرسـالات السابقة. ومقتضى ذلك: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب مـا نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع. وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن: 8]. وقال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُو﴾ [الأعراف: 158]. وقال ﻷ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7]. وعن ابن عمـر ب أن رسول الله ج قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسـابهم علـى الله»([[277]](#footnote-277))([[278]](#footnote-278)).

2- وجوب الإيمان بأن الرسول ج بلغ الرسـالة، وأدى الأمانـة، ونصح للأمة، فما من خير إلا ودل الأمة عليه ورغبها فيه، وما من شـر إلا ونهى الأمة عنه وحذرها منه. قال تعـالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]. وعـن أبي الدرداء عن النبي ج أنه قال: «وأيم الله لقد تركتكـم على مثل البيضـاء، ليلها ونهارها سواء»([[279]](#footnote-279))([[280]](#footnote-280)). وقد شهد للنبي بالبلاغ أصحابه في أكبر مجمع لهـم يوم أن خطبهم في حجة الوداع خطبته البليغة فبين لهم ما أوجب الله عليـهم وما حرم عليهم وأوصاهم بكتاب الله إلى أن قال لهم: «وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون»([[281]](#footnote-281)). قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحـت. فقـال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشـهد اللـهم اشهد ثلاث مرات»([[282]](#footnote-282))([[283]](#footnote-283)). وقال أبو ذر س (لقد تركنا محمد ج وما يحـرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما)([[284]](#footnote-284)). والآثار في هذا كثيرة عـن السلف رحمهم الله.

3- محبته ج وتقديم محبته على النفس وسائر الخلق. والمحبة وإن كـانت واجبة لعموم الأنبياء والرسل إلا أن لنبينا ج مزيد اختصاص بها ولذا وجب أن تكون محبته مقدمة على محبة الناس كلهم من الأبنـاء والآبـاء وسـائر الأقارب بل مقدمة على محبة المرء لنفسه قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ٢٤﴾ [التوبة: 24]. فقرن الله محبة رسوله ج بمحبته ﻷ وتوعد من كان مالـه وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله- توعدهم بقولـه: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: 24]. وفي الصحيحين من حديث أنس س قال: قال النبي ج «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه مـن والده وولده والناس أجمعين»([[285]](#footnote-285))([[286]](#footnote-286)). وعـن عمـر س أنه قال للنبي ج يـا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي ج «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك»([[287]](#footnote-287)). فقال له عمر: فإنـه الآن والله لأنت أحـب إلي من نفسـي. فقـال النبي ج «الآن يـا عمر»([[288]](#footnote-288))([[289]](#footnote-289)).

4- تعظيم النبي ج وتوقيره وإجلاله. فإن هذا من حقوق النبي ج الـتي أوجبها الله في كتابه. قال تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوه﴾ [الفتح: 9]. وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157]. قال ابـن عبـاس: (تعزروه: تجلوه. وتوقروه: تعظموه). وقال قتادة: (تعـزروه: تنصـروه. وتوقروه: أمر الله بتسويده). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: 1]. وقال ﻷ: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: 63]. قال مجاهد: أمرهـم أن يدعوه يا رسول الله في لين وتواضع ولا يقولوا يا محمد في تجـهم. وقـد ضرب أصحاب النبي ج أروع الأمثال في تعظيم النبي ج. قال أسامة بـن شريك: (أتيت النبي ج وأصحابه حوله كأنما علـى رؤوسـهم الطـير). وتعظيم النبي ج واجب بعد موته كتعظيمه في حياته. قال القاضي عيـاض: (واعلم أن حرمة النبي ج بعد موته، وتوقيره وتعظيمه، لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره ج وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسـيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته).

5- والصلاة والتسليم على النبي ج والإكثار من ذلك كمـا أمـر الله بذلك. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا٥٦﴾ [الأحزاب: 56]. قال المبرد: (أصـل الصـلاة: الترحم. فهي من الله رحمة. ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة مـن الله). وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ب عن النبي ج أنـه قـال: «من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا»([[290]](#footnote-290))([[291]](#footnote-291)). وعن علي س عن النبي ج أنه قال: «البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي»([[292]](#footnote-292))([[293]](#footnote-293)). والصـلاة والسلام وإن كانت مشروعة في حق الأنبياء كلهم كما تقدم فهي متـأكدة في حق نبينا ج ومن أعظم حقوقه على أمته وهي واجبـة عليـهم ولـذا ذكرناها هنا من جملة حقوقه الخاصة على أمته. وقد صرح العلماء بوجـوب الصلاة على النبي ج ونقل بعضهم الإجماع على ذلك. قال القاضي عياض: (اعلم أن الصلاة على النبي ج فرض على الجملة، غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه، وحمله الأئمة والعلماء على الوجوب وأجمعوا عليه).

6- الإقرار له بما ثبت في حقه من المناقب الجليلة والخصائص السـامية والدرجات العالية الرفيعة على ما تقدم بيان بعضها في أول هذا المبحث وغير ذلك مما دلت عليه النصوص. والتصديق بكل ذلك والثناء عليه به ونشره في الناس، وتعليمه للصغار وتنشئتهم على محبته وتعظيمه ومعرفة قدره الجليـل عند ربه ﻷ.

7- تجنب الغلو فيه والحذر من ذلك فإن في ذلك أعظم الأذية له ج. قـال تعالى آمرًا نبيه ج أن يخاطب الأمة بقوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا١١﴾ [الكهف: 11]. وبقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأنعام: 50].

فأمر اللهّ نبيه ج أن يقرر للأمة أنه مرسل من الله ليس لـه من مقام الربوبية شيء وليس هو بـمَلَك إنما يتبع أمر ربه ووحيـه. كمـا حذر النبي ج أمته من الغلو فيه والتجاوز في إطرائه ومدحه. ففي صحيـح البخاري من حديث عمر بن الخطاب س عن النبي ج أنه قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسـوله»([[294]](#footnote-294))([[295]](#footnote-295)). والإطراء: هو المدح بالباطل ومجاوزة الحد في المدح ذكره ابن الأثير. وعـن ابن عباس ب قال: جاء رجل إلى النبي ج فراجعه في بعـض الكلام فقال: ما شاء الله وشئت! فقال رسول الله ج «أجعلتني لله ندًّا بـل ما شاء الله وحده»([[296]](#footnote-296))([[297]](#footnote-297)). فحذر النبي ج من الغلو فيه وإنـزاله فوق منـزلته، مما يختص بـه الرب ﻷ. وفي هذا تنبيه إلى غير ما ذكر من أنواع الغلـو فإن الغلو في النبي ج محرم بشتى صوره وأشكاله.

ومن صور الغلو في النبي ج التي تصل إلى حدّ الشرك، التوجه له بالدعاء فيقول القائل: يا رسول الله افعل لي كذا وكذا. فإن هذا دعاء والدعاء عبادة لا يصح صرفها لغير الله. ومن صور الغلو فيه ج الذبح له أو النـذر له أو الطواف بقبره أو استقبال قبره بصلاة أو عبادة فكل هذا محرم لأنه عبـادة وقد نهى الله عن صرف شيء من أنواع العبادة لأحد من المخلوقين فقال ﻷ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ١٦٣﴾ [الأنعام: 162-163].

8- ومن حقوق النبي ج محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجه وموالاتهم جميعًا والحذر من تنقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء فإن الله قد أوجـب على هذه الأمة موالاة أصحاب نبيه وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم وسؤال الله أن لا يجعل في قلوبهم غلا لهم. فقال بعد أن ذكـر المـهاجرين والأنصار: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ١٠﴾ [الحشر: 10]. وقال تعالى في حق قرابة رسوله ج وأهل بيته﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: 23]. جاء في تفسير الآية: قل لمن اتبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكـم به أجرًا إلا أن تـودوا قرابتي. وأخرج مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم س أن رسـول الله ج قام خطيبًا في الناس فقال: «أما بعد ألا أيها الناس. فإنما أنـا بشـر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب فيـه الهدى والنور. فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»([[298]](#footnote-298)). فحث على كتـاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركـم الله في أهل بيتي، أذكركـم الله في أهل بيتي»([[299]](#footnote-299))([[300]](#footnote-300)). فأمر النبي ج بالإحسان إلى أهـل بيته وأن يعرف لهم قدرهم وحقهم، لقربهم منه وشرفهم. كما أوصى النبي ج بأصحابه خيرًا ونهى عن سبّهم وتنقصهم فعن أبي سعيد الخدري س عن النبي ج قال: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكـم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلـغ مد أحدهم ولا نصيفه»([[301]](#footnote-301))([[302]](#footnote-302)) أخرجه الشيخان. وقد كان من أعظم أصول أهل السنة التي اجتمعت عليه كلمتهم محبة أصحاب رسـول الله ج وقرابتـه وأزواجه وما كانوا يعدون الطعن فيهم إلا علامة الزيغ والضلال. قال أبو زرعة: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله فاعلم أنـه زنديق). وقال الإمام أحمد: (إذا رأيت رجلًا يذكر أحدًا مـن أصحـاب رسول الله ج (أي بسوء) فاتهمه على الإسلام).

فهذه بعض حقوق النبي ج على أمته على سبيل الإيجاز والاختصـار والله تعالى الهادي لنا ولإخواننا على تأديتها والعمل بها.

ثالثًا: بيان أن رؤية النبي ج في المنام حق:

دلت السنة على إمكانية رؤية النبي ج في المنام وأن من رآه في المنام فقـد رآه.

فعن أبي هريرة س قال: قال النبي ج «من رآني في المنام فقد رآني. فإن الشيطان لا يتمثل بي»([[303]](#footnote-303))([[304]](#footnote-304)) أخرجه مسلم. وفي لفظ آخر أخرجه الشيخان مـن حديث أبي هريرة عن النبي ج قال: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظـة، ولا يتمثل الشيطان بي»([[305]](#footnote-305))([[306]](#footnote-306)) قال البخاري قـال ابـن سـيرين: (إذا رآه في صورته). وعن جابر بن عبد الله عن النبي ج أنه قال: «من رآني في النـوم فقد رآني فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي»([[307]](#footnote-307))([[308]](#footnote-308)) رواه مسلم.

فدلت الأحاديث على صحة رؤية النبي ج في المنام وأن من رآه فرؤيـاه صحيحة لأن الشيطان لا يتصور في صورة رسول الله ج على أنه ينبغـي أن يتنبه إلى أن الرؤية الصحيحة لرسول الله ج هو أن يُـرى علـى صورتـه الحقيقية المعروفة من صفاته، وإلا فلا تكون الرؤية صحيحة ولذا قال ابـن سـيرين: (إذا رآه في صورته) كما تقـدم النقـل عنـه مـن صحيـح البخـاري. ولذا أورد البخاري قول ابن سـيرين بعد ذكر الحديث علـى سبيل التفسير لمعنى الرؤيـة في الحديث. ويشهد لهذا ما أخرجه الحاكم مـن طريق عاصم بن كليب: حدثني أبي قال: قلت لابن عباس رأيت النبي ج في المنام. قال: صفه لي. قال: ذكرت الحسن بن علي فشبهته به. قال: إنه كـان يشبهه([[309]](#footnote-309)). قال ابن حجر سنده جيد.

وعن أيوب قال: " كان محمد- يعني ابن سيرين- إذا قص عليه رجـل أنه رأى النبي ج قال: صف لي الذي رأيته. فإن وصف له صفة لا يعرفـها قال: لم تره " نقله ابن حجر في الفتح وقال: سنده صحيح.

وأما قول النبي ج «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة»([[310]](#footnote-310))، فللعلمـاء في تفسير الرؤية في اليقظة أقوال أشهرها ثلاثة:

الأول: أنها على التشبيه والتمثيل وقد دل على هذا ما جـاء في روايـة مسلم من حديث أبي هريرة وفيها: «فكـأنما رآني في اليقظة»([[311]](#footnote-311)).

الثاني: أنها خاصة بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه.

الثالث: أنها تكون يوم القيامة. فيكون لمن رآه في المنام مزيد خصوصيـة على من لم يره في المنام. هذا والله تعالى أعلم.

المبحث السابع: ختم الرسالة وبيان أنه لا نبي بعده

تقدم الحديث عن هذه المسألة مع ذكر الأدلة عليها عند الحديث عـن خصائص النبي ج وأنه خاتم النبيين والحديث عن ختم الرسالة هنا هو مـن جانب آخر وهو أثر هذه العقيدة على دين المسلمين وثمرة تقريرها عليـهم. فمن ثمار هذه العقيدة:

1. استقرار التشريع وكمال الدين لدى الأمة وأثر ذلك الكبير في حيـاة الأمة ولذا امتن الله على هذه الأمة بذلك في قوله تعـالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

وقد كان نـزول هذه الآية على النبي ج في حجة الوداع قبل وفاته بأشـهر بعد أن أكمل الله له التشريع. ولذا كان اليهود يغبطون المسلمين على هـذه الآية على ما أخرج الشيخان أن رجلا من اليهود جاء إلى عمر س فقـال: (آية في كتابكم تقرؤوها لو نـزلت علينا معشر يهود لاتخذنا ذلك اليـوم عيدا). قال وأي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم﴾ [المائدة: 3]([[312]](#footnote-312)). وقد أبرز النبي ج الحقيقة في صورة محسوسة وذلك بتشبيهه الرسالات قبلـه بقصـر أكـمل وأحسن بناؤه إلا موضع لبنة، فكانت بعثته موضع تلك اللبنة ختم بهـا البناء، وفي هذا تقرير ظاهر إلى أنه لم يبق مجال للزيادة في هذا الدين خاصـة ولا الرسالات عامة كما أنه لا يمكن الزيادة في ذلك القصر بعد أن اكتمل بناؤه. وقد تقدم الحديث بنصه في المبحث السابق ضمن الحديث عـن خصائص النبي ج فليراجع في موضعه([[313]](#footnote-313)).

1. ثقة الأمة بعدم نسخ هذا الدين وشريعة محمد ج ببعثه نبيـا آخـر (ومعنى ختم النبوة بنبوته عليه الصلاة والسلام أنه لا تبتدأ نبوة ولا تشـرع شريعة بعد نبوته وشرعته، وأما نـزول عيسى ÷ وكونه متصفـا بنبوته السابقة فلا ينافي ذلك، على أن عيسى ÷ إذا نـزل إنمـا يتعبد بشريعة نبينا ج دون شريعته المتقدمة لأنها منسوخة فلا يتعبد إلا بهـذه الشريعة أصولا وفروعا).
2. *القطع بتكذيب كل مدع للنبوة بعده عليه الصلاة والسلام دون نظر أو تأمل، وهذا من أبرز ثمرات الإيمان بعقيدة ختم النبوة التي تحصـل بهـا العصمة للأمة من اتباع من ادعى النبوة من الدجالين الكذابين، ولهذا كـان التنبيه على هذا الأمر العظيم هو من أعظم مقاصد النبي ج في تقريره اعتقاد ختم النبوة به وذلك بإخباره عن خروج كذابين ثلاثين في هذه الأمة كلـهم يدعي النبوة ثم تقريره أنه لا نبي بعده تحذيرا للأمة من تصديقهم واتباعـهم. كما جاء هذا في حديث ثوبان ج في الفتن مرفوعا للنبي ج وفيه: «وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»([[314]](#footnote-314))([[315]](#footnote-315)).*
3. ظهور فضل الأمراء والعلماء من هذه الأمة حيث جعل سياسة الأمـة في الدين والدنيا لهم بخلاف بني إسرائيل فإنهم كانت تسوسهم الأنبياء. فعـن أبي هريرة س عن النبي ج قال: «(كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء تكثر). قالوا: فمـا تأمرنا؟ قال: (فوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عمـا استرعاهم)»([[316]](#footnote-316))([[317]](#footnote-317)). فكان مقام الخلفاء في الأمة مقام الأنبياء في بني إسـرائيل في سياسة الناس وقيادتهم. وفي حديث آخر عن أبي هريرة س عن النبي ج قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سـنة مـن يجـدد لهـا دينها»([[318]](#footnote-318))([[319]](#footnote-319)). وواقع الأمة يشهد بهذا فلا يزال أمر الدين والدنيا محفوظا بالخلفـاء والأمراء والعلماء الذين يسوسون الناس بالشرع، ولا يزال الله تعالى يجـدد لهذه الأمة ما اندرس من معالم دينها على مر العصـور والدهـور بالأئمـة المجددين الذين ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فدين الله بهم قائم غضا طريا على تطاول عهد البعثة وتقادم زمـن الرسالة. وذلك فضل الله على هذه الأمة عامة ومن شرفه بهذا المقام خاصة.

وعلى كل حال فعقيدة ختم النبوة وآثارها في الدين من أبرز خصـائُص هذه الأمة التي أكسبتها قوة الإيمان بدينها وصدق اليقين به ورسوخ القدم في الثبات عليه، إلى أن يأتي أمر الله.

المبحث الثامن: الإسراء بالرسول ج حقيقته وأدلته

تعريف الإسراء لغة وشرعا:

الإسراء في اللغة: من السرى وهو: سير الليل أو عامته. وقيل: سير الليـل كله.

ويقال: سريت، وأسريت. ومنه قول حسان:

|  |
| --- |
| أســرت إليــك ولــم تكن تســري |

والإسراء إذا أطلق في الشرع يراد به: الإسـراء برسـول الله ج مـن المسجد الحرام بمكة إلى بيت المقدس بإيليا ورجوعه من ليلته.

حقيقة الإسراء وأدلته:

والإسراء آية عظيمة أيد الله بها النبي ج قبل الهجرة حيث أسري به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكبا على البراق بصحبة جـبريل ÷ حتى وصل بيت المقدس، فربط البراق بحلقة باب المسـجد، ثم دخل المسجد وصلى فيه بالأنبياء إماما، ثم جاءه جبريل بإناء من خمر وإنـاء من لبن فاختار اللبن على الخمر فقال له جبريل: هديت للفطرة. وقـد دل على الإسراء الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ١﴾ [الإسراء: 1].

ومن السنة حديث أنس بن مالك الذي أخرجه مسلم في صحيحه مـن طريق ثابت البناني عن النبي ج قال: «أتيت بالبراق "وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه " قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس. قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبيـاء، قـال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل ÷ بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن. فقـال جـبريل ج اخـترت الفطرة»([[320]](#footnote-320))([[321]](#footnote-321)). ثم ذكر بقية الحديث وعروجه إلى السـماء. وقـد دل علـى الإسراء برسول الله ج عدة أحاديث منها ما جاء في الصحيحين ومنها مـا جاء في السنن وغيرها وقد رواه عن رسول الله ج جمع من الصحابة نحـو الثلاثين رجلا ثم تناقلها عنهم مالا يحصي عدهم إلا الله مـن رواة السـنة وأئمة الدين.

وقد اتفقت كلمة علماء المسلمين سلفا وخلفا وانعقد إجماعـهم علـى صحة الإسراء برسول الله ج وأنه حق. نقل الإجماع على ذلك القـاضي عياض في (الشفاء) والسفاريني في (لوامع الأنوار). والإسراء كان بـروح النبي ج وجسده، يقظة لا مناما. فهذا هو الذي دلت عليـه النصوص الصحيحة وعليه عامة الصحابة وأئمة أهل السنة والمحققين من أهل العلم.

قال ابن أبي العز الحنفي: (وكان من حديث الإسراء: أنه أسري بجسـده في اليقظة على الصحيح من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى..). وقـال القاضي عياض مقررا أن هذا هو الذي عليه عامة أهل العلم من الصحـابة فمن بعدهم: (وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس وجابر، وأنـس، وحذيفـة، وعمر، وأبي هريرة، ومالك بن صعصعة، وأبي حبة البدري، وابن مسـعود، والضحاك، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن المسيب، وابن شـهاب، وابـن زيد، والحسن، وإبراهيم، ومسروق، ومجاهد، وعكرمة، وابن جريج، وهـو دليل قول عائشة، وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعـة عظيمـة مـن المسلمين، وقول أكثر المتـأخرين مـن الفقـهاء والمحدثـين والمتكلمـين والمفسرين).

وقال أحد المحققين الأفذاذ في نقده لقول من زعم أن الإسـراء مرتـان: (والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كـان مرة واحدة بمكـة بعـد البعثة. ويا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارا كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ثم يتردد بين ربه وبين موسـى حتى تصير خمسا ثم يقول: (أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي) ثم يعيدهـا في المرة الثانية إلى خمسين، ثم يحطها عشرا عشرا).

المعراج وحقيقته:

الحديث عن المعراج هو قرين الحديث عن الإسراء في النصوص وكـلام أهل العلم ولذا كان من المناسب التعريف به تتميما للفائدة.

والمعراج: مفعال من العروج. أي الآلة التي يعرج فيها، أي يصعد. وهو منـزلة السلم لكن لا نعلم كيفيته. والمقصود بالمعراج عند الإطـلاق في الشرع: هو صعود النبي ج بصحبة جبريل ÷ من بيت المقـدس إلى السماء الدنيا ثم باقي السماوات إلى السماء السابعة ورؤية الأنبيـاء في السماوات على منازلهم وتسليمه عليهم وترحيبهم به، ثم صعوده إلى سـدرة المنتهى، ورؤيته جبريل عندها على الصورة التي خلقه الله عليها، ثم فـرض الله عليه الصلوات الخمس تلك الليلة وتكليم الله له بذلك ثم نـزوله إلى الأرض. وكان المعراج ليلة الإسراء على الصحيح.

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على المعراج. أما الكتاب فقد جـاء فيه ذكر بعض الآيات العظيمة التي حصلت للنبي ج ليلة المعراج كقولـه تعالى: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى١٧ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى١٨﴾ [النجم: 12-18]. فذكـر الله تعالى في هذا السياق الآيات العظيمة التي أكرم بها رسوله ج ليلة المعـراج كرؤيته جبريل ÷ عند سدرة المنتهى، ورؤيته سدرة المنتهى وقـد غشاها ما غشاها من أمر الله. قال ابن عباس ومسروق: (غشيها فراش مـن ذهب).

وقد جاء في السنة خبر المعراج مفصلا في أكثر من حديث منها حديـث أنس المتقدم في قصة الإسراء والذي سبق نقل ما يتعلق بالإسراء منه ثم قـال النبي ج «ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل. فقيل: من أنت؟ قـال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعـث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير»([[322]](#footnote-322)). (ثم ذكر عروجه إلى السماوات وملاقاته الأنبياء إلى أن قال): «ثم ذهب بي إلى سدرة المنتـهى وإذا ورقها كآذان الفيلة، إذا ثمارها كالقلال. قال: فلما غشيها من الله مـا غشيها تغيرت. فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتـها من حسـنها. فأوحى الله إلي ما أوحى. ففرض علي خمسين صلاة في كل يـوم وليلـة، فنـزلت إلى موسى ج. فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسـين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلـك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي. فقلت: يـا رب خفف على أمتي. فحـط عني خمسا. فرجعت إلى موسى. فقلت: حـط عـني خمسا. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجـع إلى ربك فاسأله التخفيـف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى ÷ حتى قال: يا محمد. إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلـك خمسون صلاة»([[323]](#footnote-323))([[324]](#footnote-324)) الحديث. أخرجه مسلم وقد جاء خبر المعراج بألفـاظ متقاربة من حديث مالك بن صعصعة وأبي ذر وابن عباس في الصحيحـين وغيرهما.

تنبيه:

الإسراء والمعراج من الآيات العظيمة التي أكرم الله بها نبيه ج والواجـب على المسلم اعتقاد صحتهما وأنهما منقبتان عظيمتان اختص الله بهما نبينـا ج من بين الرسل ولا يشرع للمسلم الاحتفال بذكرى الإسراء والمعـراج كما لا تشرع لهما صلاة خاصة كما يفعله بعض عوام المسلمين، بل كـل ذلك بدع منكرة لم يشرعها النبي ج ولم يفعلها أحد من السلف ولم يقـل بها أحد ممن يقتدي به في العلم.

وقد بين العلماء من أهل السنة أن صلاة ليلة سبع وعشرين من شـهر رجب وأمثالها: (من البدع التي أحدثت في دين الله، وأنه عمل غير مشروع باتفاق أئمة الإسلام ولا ينشئ مثل هذا إلا جاهل مبتدع). وقد قال ج «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»([[325]](#footnote-325))([[326]](#footnote-326)) أي مردود عليه.

المبحث التاسع: القول في حياة الأنبياء †

دلت الأدلة على موت الأنبياء إلا ما وردت النصوص باستثنائه كعيسـى ÷ فإنه لم يمت بعد وإنما رفـع إلى الله تعالى حيا على مـا سـيأتي بيانه.

فمن الأدلة على موت الأنبياء قوله تعـالى ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: 133]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [غافر: 34]. وقال تعالى عن سليمان ÷: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ [سبأ: 14]. وقال تعالى مخاطبا نبيه محمدا ج ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ٣٠﴾ [الزمر: 30]. قال بعض المفسرين نعيت للنبي ج نفسه ونعيت إليهم أنفسـهم ففي الآية الإعلام للصحابة بأنه يموت. وقال تعالى مخبرا عن موت كل نفس مخلوقة: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَ﴾ [آل عمران: 185].

فدلت هذه الآيات على موت الأنبياء وأنهم يموتون كما يموت بقية البشر إلا ما أخبر به الله ﻷ عن عيسى ÷ من رفعه إليه كما قـال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُو﴾ [آل عمران: 55]. فدلت الآية على رفع الله تعـالى لعيسـى بجسده وروحه إلى السماء وأنه لم يمت، وأما الوفاة المذكورة في الآية في قوله تعالى ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: 55] فقد جاء في تفسير الآية أن: )توفيه هو رفـعه إليـه(، وإلى ذلك ذهب ابن جرير الطبري. وأكثر المفسرين على أن الوفاة المذكورة هي النوم، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: 42].

فتقرر بهذا أن عيسى حي الآن في السماء لم يمت، وقد أخبر الله عن موتـه قبل قيام الساعة. قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا١٥٩﴾ [النساء: 159]. والموت المذكور هنـا هو موت عيسى ÷ في آخر الزمان بعد أن ينـزل مـن السـماء فيكسر الصليب ويقتل الخنـزير ويضع الجزية كـما دلـت علـى ذلـك الأحاديث الصحيحة في نـزول عيسى في آخر الزمان وقد جاءت تلك الأحاديث في الصحيحين وغيرهما.

وممن قيل إنه لم يمت من الأنبياء إدريس ÷، فقد ذكر بعض أهل العلم أنه لم يمت وإنما رفعه الله كما رفع عيسى ÷ واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا٥٦ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا٥٧﴾ [مريم: 56-57]. فعن مجاهد قال: إدريس رفع فلم يمت كما رفـع عيسى. وعن ابن عباس قال: رفع إلى السماء فمات بها. وقال آخرون: رفع إلى السماء الرابعة والعلم في ذلك عند الله تعالى. وإنما القصد حصـول الخلاف بين أهل العلم في موت إدريس من عدمه، هذا مع القطع بأنه إن لم يمت فلا بد أن يموت لعموم قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: 185].

وأما ما عدا عيسى وإدريس عليهما السلام من الرسل فلم يقل أحد من أهل العلم المعتد بقولهم في الأمة بحياة أحد منهم لما تقدم مـن النصـوص وللواقـع المشاهد من موتهم. لكن جاء في بعض النصوص ما أشكَل فهمه على البعض في هذا الباب مثل ما جاء عن النبي ج في أحاديث المعراج مـن رؤيته لبعض الرسل في السماء وتكليمه لهم على ما جاء في حديث أنس الذي أخرجه الشيخان وفيه: «ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليـه.. قال: قد بعث إليه، ففتح لنا. فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل ÷ فقيل: من أنـت؟ قـال جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه. قال: قد بعـث إليه، ففتح لنا. فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلـوات الله عليهما. فرحبا بي ودعوا لي بخير»([[327]](#footnote-327))([[328]](#footnote-328)) إلى آخر الحديث وقد ذكر فيه رؤيا يوسف في السماء الثالثة وإذا هو أعطي شطر الحسن ورؤيـاه إدريـس في السماء الرابعة وهارون في السماء الخامسة وموسى في السـماء السادسـة ورؤيته إبراهيم في السماء السابعة مسندا ظهره إلى البيت المعمـور وأنهـم كلهم رحبوا به ودعوا له بخير.

ومثل ما جاء في حديث ابن عباس ب في الصحيحين عـن النبي ج أنه قال: «رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا كأنه مـن رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربـوع الخلـق إلى الحمـرة والبياض سبط الرأس»([[329]](#footnote-329))([[330]](#footnote-330)) الحديث.

ففهم بعض الناس من هذه النصوص ومن غيرها مما يماثلها عدم مـوت الأنبياء فاستدلوا بها على ما اعتقدوه من حياة الأنبياء. والحق أن الأنبيـاء ماتوا إلا ما وردت به النصوص في حق عيسى ÷ وما اختلف فيـه من أمر إدريس ÷. وأما من عداهما فقد دلت النصوص علـى موتهم قطعا ولا شك في ذلك. وقد سبق نقل الأدلة عليه. وأما ما جـاء في الأحاديث من إخبار الرسول ج عن رؤية الرسل ليلة المعراج وما جاء في معناه من النصوص الأخرى فحق ولا تعارض بين النصوص في ذلك. وذلك أن الذي رآه الرسول ج هي أرواح الرسل مصورة في صور أبدانهم، وأمـا أجسادهم فهي في الأرض إلا من جاءت النصوص برفعهم، وهذا هو الـذي عليه الأئمة المحققون من أهل السنة.

قال أحد الأئمة الراسخين في تحقيق هذه المسألة: (وأما رؤيته غيره من الأنبياء ليلة المعراج في السماء لما رأى آدم في السماء الدنيـا، ورأى يحـيى وعيسى في السماء الثانية، ويوسف في الثالثة وإدريس في الرابعة، وهـارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة، أو بالعكس، فـهذا رأي أرواحهم مصورة في صور أبدانهم. قد قال بعض النـاس: لعلـه رأى نفس الأجساد المدفونة في القبور، وهذا ليس بشيء. لكن عيسى صعـد إلى السماء بروحه وجسده، وكذلك قيل في إدريس. وأما إبراهيم وموسـى، وغيرهما فهم مدفونون في الأرض).

وعلى أنه ينبغي أن يقرر هنا أن الله تعالى كما أكرم رسله برفع أرواحهم إلى السماء فهي تنعم على ما شاء الله فإنه حفـظ أجسـادهم في الأرض، وحرم على الأرض أن تأكل أجسادهم على ما ثبت ذلك من حديـث أوس بن أوس س قال: قال رسول الله ج «إن من أفضل أيامكـم يوم الجمعـة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي»([[331]](#footnote-331)). فقـالوا: يـا رسول الله. وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال: يقول: بليـت. قال: «إن الله ﻷ حرم على الأرض أجساد الأنبياء»([[332]](#footnote-332))([[333]](#footnote-333)).

وبهذا يتبين الحق في هذه المسألة المهمة وما يجـب على المسلم اعتقاده فيها والله تعالى أعلم.

المبحث العاشر: معجزات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات الأولياء

التعريف بالمعجزة:

المعجزة: مأخوذة من العجز. وهو عدم القدرة.

جاء في القاموس: ومعجزة النبي ج ما أعجز به الخصم عند التحـدي والهاء للمبالغة.

والمعجزة في الاصطلاح: أمر خارق للعادة يجري على أيـديَ الأنبيـاء للدلالة على صدقهم مع سلامة المعارضة.

فقولنا: خارق للعادة: أخرج ما ليس بخارق للعادة مثل ما يصدر من الأنبياء من الأفعال والأحوال الطبيعية فهي ليست بمعجزات. وقولنا: يجـري على أيدي الأنبياء: أخرج الأمور الخارقة التي تجري على أيدي الأوليـاء فهي ليست بمعجزات وإنما هي كرامات، لمتابعتهم للأنبياء ويخرج من بـاب أولى ما يأتي به السحرة والكهان من الشعبذة فهذه لا تصدر إلا من شرار الخلق. وقولنا للدلالة على صدقهم مع سلامة المعارضة: أخرج ما يدعيـه المتنبئون الكذابون من الأمور الخارقة وكذلك السحرة فإنها لا تسلم مـن المعارضة بل يعارضها أمثالهم من السحرة لأنها من قبيل السحر والشعبذة.

أمثلة لبعض معجزات الأنبياء:

ومعجزات الأنبياء كثيرة:

فمن معجزات صالح ÷ أن قومه طلبوا منه أن يخرج لهم من صخرة عينوها له ناقة ثم حددوا صفات الناقة فدعا ربه بذلك فأمر الله تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة على الوجه الذي طلبـوا([[334]](#footnote-334)). يقول الله تعالى في ذلك: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ٧٣﴾ [الأعراف: 73].

ومن معجزات إبراهيم ÷ جعل الله النار التي أشـعلها قومـه لتعذيبه وإهلاكه ثم ألقوه فيها بردا وسلاما عليه. قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ٦٨ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ٦٩ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ٧٠﴾ [الأنبياء: 68-70].

ومن معجزات موسى ÷ العصا التي كانت تتحـول إلى حيـة عظيمة إذا ألقاها إلى الأرض. قال تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى١٨ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى١٩ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى٢١﴾ [طه: 18-21]. ومن معجزات موسى أيضا أنه كان يدخل يده في درع قميصه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء تتلألأ كالقمر من غـير سوء. قال تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى٢٢﴾ [طه: 22].

ومن معجزات عيسى ÷ أنه يصنع من الطين ما يشبه الطيور ثم ينفخ فيها فتكون طيورا بإذن الله، ويمسح الأكمـه-وهـو الأعمـى- والأبرص فيبرآن بإذن الله، وينادي الموتى في قبورهم فيجيبون بإذن الله. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: 110].

ومن معجزات نبينا ج القرآن العظيم وهو أعظم معجزات الرسل علـى الإطلاق. قال تعـالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ٢٣﴾ [البقرة: 23]. وقال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا٨٨﴾ [الإسراء: 88]. ومن معجزاته ج انشقاق القمر عندما سأل أهل مكة النبي ج آية فانشق القمر شقين فرآه أهل مكة ورآه غيرهم. قال تعـالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ١ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ٢﴾ [القمر: 1-2]. ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام الإسراء والمعـراج. قـال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: 1].

ومعجزات الرسل كثيرة خصوصا معجزات نبينا محمد ج فإن الله أيـده بكثير من الآيات والبراهين التي لم تجتمع لنبي قبله وما سقته هنا إنمـا هـو للتمثيل فقط.

التعريف بالكرامة:

الكرامة: أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لهـا تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمـل الصالح.

فقولنا: أمر خارق للعادة: أخرج ما كان على وفق العادة من أعمال.

وغير مقرون بدعوى النبوة: أخرج معجزات الأنبياء.

ولا هو مقدمة لها: أخرج الإرهاص وهو كل خارق تقَدم النبوة.

ويظهر على يد عبد ظاهر الصلاح..: أخرج ما يجري علـى أيـدي السحرة والكهان فهو سحر وشعبذة.

وكرامات الأولياء كثيرة منها ما ثبت في حق بعض الصالحين من الأمـم الماضية. ومن ذلك ما أخبر الله به عن مريم ‘. قـال تعـالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 37].

ومنها: ما أخبر الله به عن أهل الكهف على ما قص الله ذلك في كتابه.

ومن كرامات الأولياء من هذه الأمة ما ثبت في حق أسيد بن حضير س أنه كان يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نـزلت لقراءته. وكانت الملائكة تسلم على عمـران بـن حصين س. وكـان سلمان وأبو الدرداء ب يأكلان في صحفـة فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها. وخبيب بن عدي س كان أسيرا عنـد المشركَين بمكة شرفها الله تعالى وكـان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكـة عنبـة.

ومر العلاء الحضرمي س بجيشه فوق البحر على خيولهم فما ابتلت سـروج خيولهم. ووقـع أبو مسلم الخولاني / في أسر الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع. قال: أتشهد أن محمـدا رسول الله؟ قال: نعم. فأمر بنار فألقي فيها فوجدوه يصلـي فيـها وقـد صارت بردا وسلاما، وغير ذلك كثير مما هو منقـول في كتـب السـير والتاريخ.

الفرق بين المعجزة والكرامة:

الفرق بين المعجزة والكرامة: أن المعجزة تكـون مقرونة بدعوى النبـوة. بخلاف الكرامة فإن صاحبها لا يدعي النبوة وإنما حصلت له الكرامة باتباعَ النبي والاستقامة على شرعه. فالمعجزة للنبي والكرامة للولي. وجماعهما الأمر الخارق للعادة.

وذهب بعض الأئمة من العلماء: إلى أن كرامات الأولياء في الحقيقـة تدخل في معجزات الأنبياء لأن الكرامات إنما حصلـت للـولي باتبـاع الرسول، فكل كرامة لولي هي من معجزات رسوله الذي يعبد الله بشرعه.

ومن هذا يتبين أن إطلاق المعجزة على خوارق الأنبياء والكرامة علـى خوارق الأولياء معنيان اصطلاحيان ليسا موجودين في الكتاب والسنة وإنمـا اصطلح عليهما العلماء فيما بعد وإن كانا في مدلولهما يرجعان إلى ما تقـرر في النصوص من الحق.

حكم الإيمان بالمعجزات والكرامات:

الإيمان بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء أصل من أصول الإيمان دلـت عليه نصوص الكتاب والسنة والواقع المشاهد فيجب على المسلم اعتقاد صحة ذلك وأنه حق. وإلا فالتكذيب بذلك أو إنكـار شـيء منـه رد للنصوص ومصادمة للواقع وانحراف كبير عما كان عليه أئمة الدين وعلمـاء المسلمين في هذا الباب. والله تعالى أعلم.

المبحث الحادي عشر: الولي والولاية في الإسلام

تعريف الولي والولاية:

الولاية: ضد العداوة. وأصل الولاية: المحبة والقَرب. وأصل العـداوة: البغض والبعد.

والولاية في الاصطلاح: هي القرب من الله بطاعته.

والولي في الشرع: هو من اجتمع فيه وصفان: الإيمان والتقـوى. قـال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ٦٢ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ٦٣﴾ [يونس: 62-63].

تفاضل الأولياء:

وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقون فبحسب إيمان العبـد وتقـواه تكـون ولايته لله تعالى فمن كان أكمل إيمانا وتقوى كان أكمل ولايـة لله. فالناس يتفاضلون في ولاية الله بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى.

وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضـل المرسلين أولو العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ج وأفضل أولي العزم محمد ج- على ما تقدم ذلك في موضعه- ثم إبراهيم ÷. ثم اختلف الناس في المفاضلة بين الثلاثة الباقين.

أقسام أولياء الله:

وأولياء الله على قسمين:

القسـم الأول: سابقون مقربون.

القسم الثاني: أصحاب يمين مقتصدون.

وقد ذكرهم الله تعالى في عدة مواضع من كتابه. قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ٢ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ٣ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا٤ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا٥ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا٦ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً٧ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ٩ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ١٠ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ١١ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ١٢﴾ [الواقعة: 1-12].

فذكر ثلاثة أصناف. صنفا في النار وهم أصحاب الشمال وصنفين في الجنـة وهما: أصحاب يمين وسابقون مقربون. وقد ذكرهما أيضا في آخـر هـذه السورة وهي سورة الواقعة فقـال: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ٨٩ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ٩٠ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ٩١﴾ [الواقعة: 88-91]. وقد ذكر النبي ج عمل القسـمين في حديث الأولياء المشهور وهو حديث قدسي يرويه النبي ج عن ربه وقد أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي ج قال: «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذيَ يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطـش بهـا ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن اسـتعاذني لأعيذنـه»([[335]](#footnote-335))([[336]](#footnote-336)). فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه تعالى بالفرائض، يفعلـون مـا أوجب الله عليهم ويتركون ما حرم الله عليـهم، ولا يكلفـون أنفسـهم بالمندوبات ولا الكف عن فضول المباحات. وأما السابقون المقربون فتقربـوا إليه تعالى بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمسـتحبات وتركـوا المحرمات والمكروهات فلما تقربوا إلى الله بجميع ما يقـدرون عليـه من محبوباتهم أحبهم الرب حبا تاما وعصمهم من الذنوب واستجاب دعـاءهم كما قال تعالى: «ولا يزال عبديَ يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبـه»([[337]](#footnote-337)) إلى آخر ما ذكر في الحديث.

لا يختص أولياء الله بلباس ولا هيئة:

وأولياء الله لا يتميزون عن غيرهم من الناس في الظاهر بلباس ولا بهيئـة على ما هو مقرر عند أهل العلم والتحقيق من أهل السنة.

قال بعض الأئمة المصنفين في الأولياء: (وليس لأولياء الله شيء يتمـيزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات، فلا يتميزون بلباس دون لبـاس إذا كان مباحا، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ضفره إذا كان مباحا. كمـا قيل كـم من صديق في قباء، وكـم من زنديق في عباء، بل يوجدون في جميـع أصناف أمة محمد ج إذا لم يكونوا من أهل البدع الظـاهرة والفجـور، فيوجدون في أهل القرآن، وأهل العلم، يوجدون في أهل الجهاد والسـيف، ويوجدون في التجارة والصناع والزراع).

بطلان ما قد يعتقد فيهم من الغلو:

وأولياء الله ليسوا معصومين ولا يعلمون الغيب وليس لهم قـدرة علـى التصرف في الخلق والرزق ولا يدعون الناس إلى تعظيمهم أو صرف شـيء من الأموال والعطايا لهم ومن فعل ذلك فليس بولي لله بل كذاب أفـاك ولي للشيطان. والله تعالى أعلم.

الفصل الرابع: الإيمان باليوم الآخر

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: أشراط الساعة وأنواعها.

المبحث الثاني: نعيم القبر وعذابه. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بنعيم القبر وعذابه وأدلة ذلك.

المطلب الثاني: وقوعه على الروح والجسد معا.

المطلب الثالث: الإيمان بالملكين منكر ونكير.

المبحث الثالث: الإيمان بالبعث. وفيه مطالب:

المطلب الأول: معنى البعث وحقيقته.

المطلب الثاني: أدلة البعث من الكتاب والسنة والنظر.

المطلب الثالث: الحوض صفته وأدلته.

المطلب الرابع: الميزان صفته وأدلته.

المطلب الخامس: الشفاعة تعريفها وأنواعها وأدلتها.

المطلب السادس: الصراط صفته وأدلته.

المطلب السابع: الجنة والنار صفتهما وكيفية الإيمان

بهما وأدلة ذلك.

المبحث الأول: أشراط الساعة وأنواعها

تعريف أشراط الساعة:

الأشراط: جمع شرط وهو: العلامة. وقيل أشراط الشيء: أوائله.

جاء في لسان العرب: والاشتقاقان متقاربان لأن علامة الشيء أوله.

والساعة: جزء من أجزاء الزمن، ويعبر به عن القيامـة. قـال تعـالى: وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [الزخرف: 85]. والساعة من أشهر أسماء يوم القيامة في النصوص الشرعية وكلام الناس، وسمي ذلك اليوم بالساعة: لأنه يأتي بغتـة فيفاجأ الناس في ساعة.

وأشـراط السـاعـة: علاماتها وأماراتها التي تقع قبل قيامـها. قـال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: 18].

أقسام أشراط الساعة:

أشراط الساعة وأماراتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الأمارات البعيدة: وهي التي ظهرت وانقضت.

منها بعثة الرسول ج على ما جاء في الصحيحين من حديث أنس بـن مالك س عن النبي ج أنه قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين. وضم السـبابة والوسطى»([[338]](#footnote-338))([[339]](#footnote-339)).

ومنها انشقاق القمر على ما أخبر الله في كتابه، قال تعـالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ١﴾ [القمر: 1].

ومنها خروج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى علـى ما أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة س أن رسول الله ج قـال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجـاز تضـيء أعنـاق الإبـل ببصرى»([[340]](#footnote-340))([[341]](#footnote-341)). وقد خرجـت هذه النار على ما أخبر النبي ج في مسـتهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة وكان خروجها من شرقي المدينة النبوية وسالت بسببها أودية من نار وارتاع الناس منها ورأى ضوءها أهـل الشام ورأى أهل بصرى- وهي إحدى قرى دمشق-، أعنـاق الإبـل في ضوئها كـما أخبر النبي ج.

القسم الثاني: الأمارات المتوسطة: وهي التي ظهرت ولم تنقض بـل تتزايد وتكثر وهي كثيرة جدا.

منها أن تلد الأمة ربتها([[342]](#footnote-342)) وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاء في البنيان على ما جاء في حديث جبريل المشهور الذي أخرجه مسلم وقـد تقـدم في الفصل الأول من هذا الباب وفيه: «قال فأخبرني عن الساعة؟ قـال: مـا المسئول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلـد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالـة رعـاء الشاء يتطـاولون في البنيان»([[343]](#footnote-343))([[344]](#footnote-344)).

ومنها خروج دجالين ثلاثين يدعون النبوة كما جـاء في حديـث أبي هريرة قال: قال رسول الله ج «لا تقوم الساعة حتى يبعـث دجـالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله»([[345]](#footnote-345))([[346]](#footnote-346)). وفي سـنن أبي داود والترمذي من حديث ثوبان عن النبي ج «وإنه سيكون في أمتي ثلاثـون كذابون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»([[347]](#footnote-347))([[348]](#footnote-348)).

ومنها انحسار الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه على ما جـاء في حديـث أبي هريرة س عن النبي ج قال: «لا تقوم الساعة حتى يحسـر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائـة تسـعة تسعون ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو»([[349]](#footnote-349))([[350]](#footnote-350)) وهذه العلامة لم تقع بعد.

القسم الثالث: العلامات الكبرى: وهي الـتي تعقبـها السـاعة إذا ظهرت. وهي عشر علامات ولم يظهر منها شيء. روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن أسيد قال: «اطلع النبي ج علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشـر آيات: فذكر الدخان والدجال، والدابة، وطلوع الشمس مـن مغربهـا، ونـزول عيسى ابن مريم ÷ ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج مـن اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»([[351]](#footnote-351))([[352]](#footnote-352)). وجاء في بعض الأحاديث الأخرى ذكر المهدي، وهدم الكعبة، ورفع القرآن من الأرض على مـا سـيأتي ذكـر الأحاديث في ذلك.

والذي عليه أكثر المحققين من أهل العلم أن العلامات العشر العظمى هي هذه الثلاث وما ذكر في حديث حذيفة بن أسيد سوى الخسوف فإنهـا وإن كانت من علامات الساعة بلا شك كما هو نص الحديث إلا أنها تقع قبـل العشر العظمى، وهي مقدمة لها، ويشهد لهذا ما جاء في رواية أخرى مـن حديث حذيفة بن أسيد وقد خرجها مسلم أيضا وفيها تقديم الخسـوف في الذكر على غيرها من العلامات حيث قال ج «إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال»([[353]](#footnote-353))([[354]](#footnote-354)) ثم ذكر بقية العلامات. قال القرطبي: (فأول الآيات على ما في هذه الرواية الخسوفات الثلاثة وقد وقع بعضها في زمـن النبي ج ذكره ابن وهب...). وفيما يلي عرض لهذه العلامات العشر مفصلة بأدلتها:

العلامة الأولى: خروج المهدي: وهو رجل من أهل البيت مـن ولـد الحسن بن علي ب يخرج وقد ملئت الأرض جـورا وظلمـا فيملؤها قسطا وعدلا يوافق اسمه اسم النبي ج واسم أبيه اسم أب النبي ج على ما روى أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن مسعود س عن النبي ج أنه قال: «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيـتي يواطئ اسمه اسمي واسـم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض عدلا وقسطا كـما ملئـت جورا وظلما»([[355]](#footnote-355))([[356]](#footnote-356)).

العلامة الثانية: ظهور المسيح الدجال: وهو رجل من بني آدم يخرج في آخر الزمان فيفتن به كثير من الخلق، يجري الله على يديه بعض الأعمـال الخارقة، ويدعي الربوبية ولا يروج باطله على المؤمن ويدخل الأمصار كلها إلا مكة والمدينة، ومعه نار وجنة فناره جنة وجنته نار. وقد دلت الأحاديث الصحيحة على خروجه، منها حديث عبد الله بن عمرو بن العـاص الـذي أخرجه مسلم في صحيحه أن رسول الله ج قال: «يخرج الدجال في أمـتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه»([[357]](#footnote-357))([[358]](#footnote-358)) الحديث. وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال: قام رسول الله ج في الناس فـأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: «إني أنذركموه وما من نبي إلا قد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكن سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور»([[359]](#footnote-359))([[360]](#footnote-360)).

العلامة الثالثة: نزول عيسى ابن مريم ÷ من السـماء إلى الأرض حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنـزير ويقضي على الدجـال كما دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة. أما الكتاب فيقـول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَة﴾ [الزخرف: 61]، وقد استدل بهذه الآية علـى نـزول عيسى كثير من المفسرين وينقل هذا عن ابن عباس على ما أخرج أحمد في مسنده عن ابن عباس ب في تفسير هذه الآية قـال: «هو خروج عيسى ابن مريم ÷ قبل يوم القيامة»([[361]](#footnote-361))([[362]](#footnote-362)). كما دلت على نـزول عيسى ÷ الأحاديث الصحيحة: ففيِ الصحيحـين مـن حديث أبي هريرة س قال: قال رسول الله ج «والـذي نفسـي بيـده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنـزير، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحـد، حتى تكـون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها»([[363]](#footnote-363))([[364]](#footnote-364)).

العلامة الرابعة: خروج يأجوج ومأجوج: وهم خلق كثير لا يدين لأحد بقتالهم قيل إنهم من ولد يافث من ولد نوح ÷ وقـد دل علـى خروجهم الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ٩٦ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: 96-97]. وأخرج الشيخان عن زينب بنـت جحش ل أن رسول الله ج دخل عليها يوما فزعا يقـول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه " وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها»([[365]](#footnote-365))([[366]](#footnote-366)) الحديث.

العلامة الخامسة: هدم الكعبة وسلب حليها على يد ذي السويقتين مـن الحبشة كما صحت بذلك السنة. فقد أخرج الشيِخان مـن حديـث أبي هريرة س عن النبي ج قال: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشـة»([[367]](#footnote-367))([[368]](#footnote-368)). وروى الإمام أحمد بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسـول الله ج يقول: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها، ولكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته ومعوله»([[369]](#footnote-369))([[370]](#footnote-370)).

العلامة السادسة: الدخان: وهو انبعاث دخان عظيم من السماء يغشى الناس ويعمهم، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة. قال تعـالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ١٠ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ١١﴾ [الدخان: 10-11]. ومن السنة حديث حذيفة بن أسيد المتقدم عن النبي ج أنه قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخـان والدجـال والدابة»([[371]](#footnote-371))([[372]](#footnote-372)) الحديث.

العلامة السابعة: رفع القرآن من الأرض إلى السماء فلا يبقى منه آيـة في سطر ولا صدر إلا رفعت. وقد دلت على ذلك السنة فقد أخرج ابـن ماجه والحاكم من حديث حذيفة عن النبي ج أنه قال: «يدرس الإسـلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صـلاة ولا نسـك، وليسرى على كتاب الله ﻷ في ليلة فلا يبقى في الأرض منـه آيـة»([[373]](#footnote-373))([[374]](#footnote-374)).

العلامة الثامنة: طلوع الشمس من مغربها. وقد دلت على هذه الآية النصوص من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: 158]. فقد ذهب جمع من المفسرين إلى أن بعض آيات ربك، هي طلوع الشمس من مغربها. قال الطبري بعد ذكره أقوال المفسرين في الآية: (وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسـول الله ج أنه قال ذلك حين تطلع الشمس من مغربها)([[375]](#footnote-375)) وروى الشيخان من حديث أبي هريرة س أن رسول الله ج قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا»([[376]](#footnote-376))([[377]](#footnote-377)).

العلامة التاسعة: خروج الدابة: وهي مخلوق عظيم قيل إن طولها ستون ذراعًا ذات قوائم ووبر، وقيل هي مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات وقد دل الكتاب والسنة على خروجها قبل قيام الساعة. قال تعـالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ٨٢﴾ [النمل: 82]. وروى مسلم عن أبي هريرة س قال: قال رسول اللهّ ج «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت مـن قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابـة الأرض)([[378]](#footnote-378)). وأخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة س عن النبي ج قال: «تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يغمرون فيكم حتى يشـتري الرجل البعير فيقول ممن اشتريته فيقول: من أحد المخطمين»([[379]](#footnote-379))([[380]](#footnote-380)) وقد صحـح سند الحديث الهيثمي وغيره من المحدثين.

العلامة العاشرة: خروج نار عظيمة تخرج من عدن تحشر النـاس إلى محشرهم وهي آخر العلامات العظام. وقد دلت على هذه العلامة السـنة كـما جاء في حديث حذيفة بن أسيد المتقدم والذي أخرجه مسلم وفيـه: «وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»([[381]](#footnote-381))([[382]](#footnote-382)). وفي رواية مـن حديث حذيفة «ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس»([[383]](#footnote-383)).

فهذه الأمارات أعظم أشراط الساعة التي تقع قبل قيامها فإذا انقضـت قامـت الساعة بإذن الله تعالى وقد ورد أن هذه الأمارات متتابعـة كتتـابع الخرز في النظام فإذا ظهرت إحداها تبعتها الأخرى. روى الطـبراني في الأوسط عن أبي هريرة س عن النبي ج قال: «خروج الآيات بعضها علـى إثر بعض، يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام»([[384]](#footnote-384)).

المبحث الثاني: نعيم القبر وعذابه

وبحث هذا الموضوع يتم من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بنعيم القبر وعذابه وأدلة ذلك

الإيمان بنعيـم القبر لأهل الطاعة وبعذاب القبر لمن كان مستحقا له مـن أهل المعصية والفجور من أصول الإيمان التي دلت عليهـا نصوص الكـتـاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب على نعيم القبر قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: 27]، فدلت الآية علـى تثبيت الله تعالى للمؤمنين عند السؤال في القبر وما يتبع ذلك من النعيـم. أخرج البخاري من حديث البراء بن عازب ب عن النبي ج أنه قال: «إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمـدا رسول الله فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: 27]([[385]](#footnote-385)). ودليل عذاب القبر من القرآن قول الله تعالى: ﴿فَووَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ٤٥ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ٤٦﴾ [غافر: 45-46]، قال القرطبي: (الجمهور علـى أن هذا العرض يكون في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القـبر). وقـال الحافـظ ابن كثير: (وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة علـى عذاب البرزخ في القبور»([[386]](#footnote-386)).

كما دل على عذاب القبر من القرآن أيضا قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: 101]، فقد استدل بها كثير من السـلف على عذاب القبر، فعن مجاهد أنه قال في تفسير الآية: (بـالجوع وعـذاب القبر، قال:  ثم يردون إلى عذاب عظيم يوم القيامة). وعن قتادة قـال: (عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم)، وقد استدل بهذه الآية والتي قبلها على عذاب القبر الإمام البخاري في ترجمته للأحـاديث في عذاب القبر([[387]](#footnote-387)).

وأما ما جاء في السنة من الأدلة على نعيم القبر وعذابه فكثير جدا مـن ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر ب أن رسول الله ج قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليـه مقعـده بـالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمـن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»([[388]](#footnote-388))([[389]](#footnote-389)). وفي صحيـح مسلم من حديث أنس س عن النبي ج قال: «لولا أن لا تدافنوا لدعـوت الله أن يسمعكـم من عذاب القبر»([[390]](#footnote-390))([[391]](#footnote-391)). والأدلة على هذا كثيرة من الكتـاب والسنة وقد ذكرت ما يستدل به في إثبات عذاب القبر ونعيمه، والله أعلم.

المطلب الثاني: وقوع نعيم القبر وعذابه على الروح والجسد معا

نعيم القبر وعذابه يكون للروح والبدن جميعا، فتنعم الروح أو تعـذب متصلة بالبدن فيكون النعيم والعذاب عليهما جميعا كما أنه قد تنعم الـروح أو تعذب أحيانا منفصلة عن البدن، فيكون النعيم أو العذاب للروح منفـردا عن البدن. وقد دلت على هذا النصوص وعليه اتفق أهل السنة والجماعـة، خلافا لمن زعم أن عذاب القبر ونعيمه يكون للروح فقط على كل حـال ولا يتعلق بالبدن.

فمن الأدلة على ذلك حديث أنس بن مالك الذي أخرجه البخـاري أن رسول الله ج قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنـه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقـول في هـذا الرجل (لمحمد ج) فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال لـه انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعـا. وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجـل؟ فيقـول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضـرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»([[392]](#footnote-392))([[393]](#footnote-393)).

وفي حديث الـبراء بن عازب الطويل الذي أخرجه أحمـد وأبـو داود والحاكـم وغيرهم مرفوعا للنبي ج قال بعد أن ذكر خـروج الـروح وصعود روح المؤمن إلى السماء: «فتعاد روحه في جسده فيأتيـه ملكـان فيجلسانه فيقولان له من ربك»([[394]](#footnote-394))([[395]](#footnote-395)) الحديث، وقد صحـح هـذا الحديـث الحاكـم وغيره.

فدل الحديثان على وقوع النعيم أو العذاب في القبر على الروح والجسـد جميعا ففي قول النبي ج «إن العبد إذا وضع في القبر»([[396]](#footnote-396)) دلالة ظاهرة علـى هذا إذ لفظ (العبد) مسمى للروح والجسد جميعا، وكذلك تصريحه بإعـادة الروح إلى الجسد عند السؤال كما في حديث البراء بن عازب هذا مع مـا جاء في الحديثين من الألفاظ التي هي من صفات الجسد كقوله: «يسـمع قرع نعالهم»([[397]](#footnote-397)) (فيقعدانه)، «ويضرب بمطارق من حديد»([[398]](#footnote-398)) «فيصيح صيحـة»([[399]](#footnote-399))، فإن هذا كله يفيد أن ما يحصل في القبر من النعيم أو العذاب متعلق بـالروح والجسد جميعهما.

هذا مع أنه قد جاء في بعض النصوص ما يفيد أن النعيم أو العذاب قـد يقع على الروح منفردة في بعض الأحوال على ما جاء في حديث عبد الله بـن عباس ب قال: قال رسول الله ج «لما أصيب إخوانكـم يعني يوم أحد- جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتـأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش»([[400]](#footnote-400))([[401]](#footnote-401)).

فتلخص من هذا أن النعيم والعذاب يقع على الروح والجسد جميعا في القـبر وقد تنفرد الروح بهذا أحيانا. قال بعض الأئمة المحققين في السنة في تقريـر هذه المسألة: (والعذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السـنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بـالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعتـين كما يكون للروح منفردة عن البدن).

المطلب الثالث: الإيمان بالملكين منكر ونكير

تقدم في مبحث الملائكة ذكر منكر ونكير وأنهما الملكـان الموكـلان بسؤال الميت في قبره في معرض الحديث عن وظائف الملائكة. والقصد هنـا تقرير الإيمان بهما إيمانا مفصلا وما يحصل منهما من فتنة المقبورين إذ تقريـر هذا هنا فرع عن الإيمان بنعيم القبر وعذابه في الجملة.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على وصف هذين الملكين وسؤالهما أهل القبور بعد الدفن كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن حبـان عن أبي هريرة س قال: قال رسول الله ج «إذا قـبر الميـت أو قـال أحدكـم- أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكـير، فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل، فيقول: ما كان يقول هو عبـد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذرعا في سـبعين..، وإن كان منافقا قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري: فيقولان: قـد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلـف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»([[402]](#footnote-402))([[403]](#footnote-403)). وقـد دل على سؤال الملكين أيضا حديث أنس المتقدم في المطلب السابق.

فيجب الإيمان بما دلت عليه الأحاديث من اسـم الملكـين ووصفـهما وسؤالهما المقبورين وكيفية ذلك وما يجيب به المؤمن وما يجيب به المنـافق وما يعقب ذلك من النعيم أو العذاب على التفصيل الـذي جـاءت بـه الأحاديث.

وقد اختلف العلماء هل السؤال في القبر خاص بهذه الأمة كما ذهـب لذلك البعض أم أنه عام في كل الأمم كما هو قول فريق آخر مـن أهـل العلم، والذي يظهر من النصوص عدم اختصاص هذه الأمة به بل هو عـام في كل الأمم وعلى هذا أكثر المحققين من أهل العلم والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث الإيمان بالبعث

الإيمان بالبعث من أعظم أصول الإيمان في هذا الدين وهو مشتمل علـى جوانب متعددة مما دلت عليه النصوص في هذا الباب، وسيكون بحثه هنـا من خلال عدة مطالب تجلي حقيقته وتبرز أهمية الإيمان به وما يجب علـى المؤمن أن يؤمن به من أحواله وأحداثه:

المطلب الأول: معنى البعث وحقيقته

البعث في كلام العرب يأتي على وجهين:

أحدهما: الإرسـال، ومنـه قولـه تعـالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى﴾ [الأعراف: 103]، أي: أرسلنا.

والثـاني: الإثارة والتحريك، تقول بعثت البعير فانبعث أي أثرته فثـار، ومنـه بعث الموتى وذلك بإحيائهم وإخراجهم من قبورهم. قال تعـالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: 56] أي: أحييناكـم.

والبعث في الشرع: هو إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم.

وحقيقة البعث: أن الله تعالى يجمع أجساد المقبورين التي تحللت ويعيدهـا بقدرته كـما كانت ثم يعيد الأرواح إليها ويسوقهم إلى محشـرهم لفصـل القضاء. قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ٧٩﴾ [يس: 78-79].

وعن حذيفة س أنه قال: قال رسول الله ج «إن رجلًا حضره المـوت لما أيس من الحياة أوصى أهله: إذا مت فاجمعوا لي حطبًا كثيرًا ثم أوروا نارًا حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فخذوها فاطحنوها فـذروني في اليم في يوم حار أو راح فجمعه الله فقال: لم فعلت؟ قال: خشيتك، فغفـر له»([[404]](#footnote-404))([[405]](#footnote-405)).

فدلـت الآية والأحاديث على أن الله تعالى يعيد الأجساد نفسها ويجمـع رفاتها المتحلل حتى تعود كما كانت فيعيد إليها أرواحها فسبحان مـن لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير.

وقد جاء في السنة بيان كيفية البعث وأن الله ينزل إلى الأرض مـاءً فينبت به أهل القبور كما ينبت العشب وقد دل على ذلـك حديـث أبي هريرة الذي أخرجه الشيخان «أن رسول الله ج قال: (ما بـين النفختـين أربعون) قال: أربعون يومًا. قال: أبَيْت، قال: أربعون شهرًا؟ قال: أبيـت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قال: (ثم ينـزل الله من السماء ماء فينبتـون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا، وهـو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة»([[406]](#footnote-406))([[407]](#footnote-407)). فقد دل هذا الحديث على كيفية البعث وأن أهل القبور يبقون في قبورهم أربعين بين النفختين وهمـا نفخة الإماتة ونفخة البعث ولم يجزم الراوي بتحديد الأربعين ما هي وهـل المراد أربعون يومًا أو شهرًا أو سنة على أنه جاء في بعض الروايات أنهـا أربعون سنة. ثم إذا أراد الله بعث الخلائق أنزل مطرًا من السماء. جاء في بعض الروايات أنه مثل مني الرجال فينبت أهل القبور من ذلك الماء كمـا ينبت العشب بعد أن فتت أجسادهم إلا عجب الذنب وهذا بخلاف الأنبياء فإن أجسادهم لا تبلى كما تقدم تقريره فتبين بهذا حقيقة البعـث ووقتـه وكيفيته والله أعلم.

المطلب الثاني: أدلة البعث من الكتاب والسنة والنظر

دَلّ الكتابُ والسنة على بعث الله تعالى للأموات وجاء تقريره في مواطن كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ج.

فمن الكتاب قولـه تعـالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ٥٦﴾ [البقرة: 56]، وقوله ﻷ ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ٢٨﴾ [لقمان: 28]، وقوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ٧﴾ [التغابن: 7].

ومـن السـنة حـديـث أبي هريرة س عن النبي ج أنه قـال: «لا تفضلـوا بين أنبيـاء الله فإنه ينفخ في الصور فيصعق مـن في السماوات ومن في الأرض إلا من شـاء الله قال: ثم ينفخ فيه مرة أخرى فـأكون أول من بعث أو في أول من بعث فإذا موسى آخذ بالعرش»([[408]](#footnote-408))([[409]](#footnote-409)). وفي حديث أبي سعيد الخدري س في الصحيحين: «فـأكون أول مـن تنشـق عنـه الأرض»([[410]](#footnote-410))([[411]](#footnote-411)). فدل الحديثان على بعث الله تعالى للأموات يوم القيامـة مـن قبـورهم إلى أرض المحشـر وفيهمـا فضيلـة للنبي ج لكونه أول مـن يبعث.

كما دل النظر الصحيح على تقرير البعث وذلك أن البعث هو إعـادة للخلق ومعلوم لكل عاقل أن الإعادة للشيء أهون من إنشائه وابتدائه ولهـذا قال الله تعالى في كتابه مقررًا للبعث ووقوعه بإبداء خلق الإنسان ونشـأته الأولى وبأن القادر على الابتداء قادر على الإعادة من بـاب أولى، فقال المعترض على البعث كما حكى الله عنه: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ٧٨﴾ [يس: 78]، قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: 79]، وقال تَعـالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 27]. فهذا دليل شرعي عقلـي من كتاب الله للرد على كل معاند مكذب بالبعث، وهو دليل لا يسـتطيع رده.

المطلب الثالث: الحشر

دلت النصوص على حشر العباد بعد بعثهم إلى أرض المحشر حفاة عـراة غرلا قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدً﴾ [الكهف: 47]، وقـال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ٤٨﴾ [إبراهيم: 48].

وعن عائشة ل قالت: سمعت رسول الله ج يقول: «يحشـر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرْلا([[412]](#footnote-412)) قلت: يا رسول الله! النساء والرجـال جميعًا، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ج يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»([[413]](#footnote-413)).

وهذا الحشر عام لجميع الخلائق. وقد دلت النصوص أن هناك حشـرا آخر إما في الجنة وإما في النار فيحشر المؤمنون إلى الجنة وفدا والوفد هـم القائمون الركبان. قال تعـالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا٨٥﴾ [مريم: 85]

أخرج الطبري عن علي س في قولـه تعـالى﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا٨٥﴾ [مريم: 85] قال: (أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم، ولا يساقون سوقا ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رحـال الذهـب، وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة)([[414]](#footnote-414)). وأما الكفـار فإنهم يحشرون إلى النار على وجوههم عميا وبكما وصما. قـال تعـالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا٣٤﴾ [الفرقان: 34]. قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: 97].

المطلب الرابع: الحوض، صفته وأدلته

الحوض مورد عظيم أعطاه الله لنبينا محمد ج في المحشر يرده هو وأمتـه. جاء وصفه في النصوص أنه أشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلـى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطولـه سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، يمد ماؤه من الجنة، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وآنيته كعـدد نجوم السماء.

وقد دل على ثبوت الحوض وأنه حق كثير من الأحاديث الصحيحة ذكر بعض المحققين أنها تبلغ حد التواتر ورواها عن النبي ج بضعة وثلاثـون صحابيًّا. منها حديث أنس بن مالك أن رسول الله ج قـال: «إن قـدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجـوم السماء»([[415]](#footnote-415))([[416]](#footnote-416)). وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قـال رسـول الله ج «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب مـن المسك، وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها فلا يظمأ أبدًا»([[417]](#footnote-417))([[418]](#footnote-418)).

والحوض يكون في أرض المحشر ويمد ماؤه من الكوثر وهو نهـر آخـر أعطاه الله لنبينا ج في الجنة قال تعـالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ١﴾ [الكوثر: 1]. وقـد اختلف أهل العلم في الميزان والحوض أيهما يكون قبل الآخر فقيل المـيزان قبل، وقيل: الحوض. والصحيح أن الحوض قبل. قال القرطبي: والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم.

المطلب الخامس: الميزان صفته وأدلته

مما يجب الإيمان به في أحداث اليوم الآخر: الميزان. وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان، توزن فيه أعمال العباد فيرجح بمثقال ذرة من خير أو شـر، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت الميزان.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: 47]، وقال ﻷ: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ٩﴾ [القارعة: 6-9]. وأخرج الشيخان عن أبي هريرة س قال: قال رسول الله ج «كلمتـان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في المـيزان سـبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»([[419]](#footnote-419))([[420]](#footnote-420)). وروى الإمام أحمد والحاكم وغيرهما عـن ابن مسعود س «أنه تسلق أراكة وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفـؤه (أي تحركه) فضحك القوم فقال رسول الله ج (مم تضحكون؟) قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه. فقال: (والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان مـن أحد)»([[421]](#footnote-421))([[422]](#footnote-422)) صححه الحاكـم ووافقه الذهبي.

والذي يوزن في الميزان ثلاثة، وقد دلت على ذلك النصوص:

1. الأعمال، فقد ثبت أنها تجسم وتوزن في الميزان ودل عليه حديـث أبي هريرة السابق: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن...) الحديث.
2. صحف الأعمال، وقد دل على ذلك حديث عبد الله بن عمـرو بن العاص أن رسول الله ج قال: «إن الله سيخلص رجلا من أمتي علـى رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تَسعة وتسعين سجلا كل سـجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحـافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلـم عليـك اليوم فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسـول الله، فيقول: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم»([[423]](#footnote-423))([[424]](#footnote-424)).
3. العامل نفسه، وقد دل على وزنه قوله تعـالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: 105]، وكذلك حديث عبد الله بـن مسـعود السابق وأن ساقيه في الميزان أثقل من أحد.

المطلب السادس: الشفاعة، تعريفها وأنواعها وأدلتها

الشفاعة في اللغة: الوسيلة والطلب. وفي العرف: سؤال الخير للغير.

والشفاعة عند اللهّ: سؤال الله التجاوز عن الذنوب والآثام للغير.

وحقيقتها أن الله تعالى بلطفه وكرمه يأذن يوم القيامة لبعض الصالحين من خلقه من الملائكة والمرسلين والمؤمنين أن يشـفعوا عنـده في بعـض أصحاب الذنوب من أهل التوحيد إظهارًا لكرامة الشافعين عنده ورحمـة بالمشفوع فيهم.

ولا تصح الشفاعة عند الله تعالى إلا بشرطين:

أحدهما: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع، وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255]. وقولـه تعـالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: 23].

الثاني: رضا الله عن المشفوع له أن يشفع فيه، وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: 28]. وقـد دلـت النصوص أن الله لا يرضى أن يشفع إلا في أهل التوحيد لما ثبت في صحيـح مسلم عن أبي هريرة س قال: قال رسول الله ج «لكـل نبي دعـوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمـتي يـوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بـالله شـيئًا»([[425]](#footnote-425))([[426]](#footnote-426)). وقال تعالى في الكفار: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ٤٨﴾ [المدثر: 48].

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات الشفاعة عند الله يـوم القيامة. أما الكتاب فقد تقدم ذكر بعضها، وأما من السنة فالأحـاديث في إثبات الشفاعة كثيرة منها حديث أبي سعيد الخدري س أن رسـول الله ج قال «فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيـون وشـفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط»([[427]](#footnote-427))([[428]](#footnote-428)).

والأحاديث في إثبات الشفاعة كثيرة جدًّا وقد صرح الأئمـة المحققـون بتواترها واشتهارها في كتب الصحاح والمسانيد. ففي الصحيحين: «يُخـرج من النار من كان في قلبه حبة من خردل من إيمان»([[429]](#footnote-429))([[430]](#footnote-430)).

أقسام الشفاعة:

والشفاعة تنقسم من حيث القبول والرد إلى قسمين: مردودة وهي ما فقدت أحد شروط الشفاعة السابقة، ومقبولة وهي ما تحققت فيها شـروط الشفاعة. وقد ثبت لنبينا محمد ج منها ثمانية أنواع، وهي:

1. الشفاعة العظمى وهي شفاعته ج في أهل الموقف أن يقضي الله بينهم وهي المقام المحمود وهذه الشفاعة مما اختص بها نبينا ج على غيره مـن الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.
2. شفاعته ج في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم أن يدخلـوا الجنة.
3. شفاعته في أقوام استحقوا النار أن لا يدخلوها.
4. شفاعته ج رفع درجات أهل الجنة في الجنة.
5. شفاعته ج في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.
6. شفاعته ج في تخفيف العذاب عمن كان يستحقه كشفاعته في عمـه أبي طالب.
7. شفاعته ج في أهل الجنة أن يؤذن لهم بدخول الجنة.
8. شفاعته ج في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار أن يخرج منها.

وقد دلت النصوص الصحيحة على هذه الأنواع كلها وهي مبسـوطة في مواضعها من كتب السنة والاعتقاد. وهذه الأنواع منها ما هو خاص بـالنبي ج كالشفاعة العظمى وشفاعته في عمه أبي طالب وشفاعته في أهل الجنـة أن يدخلوها ومنها ما يشاركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين كالشـفاعة في أهل الكبائر وغيرها من الأنواع الأخرى على اختلاف بين أهل العلم في اختصاصه ببعضها من عدمه، والله تعالى أعلم.

المطلب السابع: الصراط، صفته وأدلته

الصراط في اللغة: الطريق الواضح.

وفي الشرع: جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون وهـو طريق أهل المحشر لدخول الجنة. وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة علـى إثبات الصراط.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا٧٢﴾ [مريم: 71-72] ذهـب أكـثر المفسرين أن المقصود بورود النار هنا: المرور على الصراط وهو منقول عـن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار وغيرهم.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري س وهو حديث طويـل في الرؤية والشفاعة وفيه عن رسول الله ج أنه قال: «ثم يؤتى بالجسـر فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجـد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق، وكالريح وكأجـاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جـهنم يمـر آخرهم يسحب سحبا»([[431]](#footnote-431))([[432]](#footnote-432)).

وقد جاء وصف الصراط في نصوص كثيرة وملخص ما جاء فيها أنـه أدق من الشعر وأحد من السيف دحض مزلة لا تثبت عليه قدم إلا من ثبته الله وأنه ينصب في ظلمة فيعطى الناس أنوارا على قدر إيمانهم ويمرون فوقه على قـدر إيمانهم على ما جاء في الحديث السابق.

المطلب الثامن: الجنة والنار، صفتهما وكيفية الإيمان بـهما وأدلة ذلك

مما يجب اعتقاده والإيمان به الجنة والنار.

والجنة هي دار الثواب لمن أطاع الله وموضعها في السماء السابعة عنـد سدرة المنتهى. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى١٥﴾ [النجم: 13-15]، والجنة مائة درجة بين كل درجـة والأخرى كما بين السماء والأرض كما جاء في صحيح البخـاري مـن حديث أبي هريرة عن رسول الله ج أنه قال: «إن في الجنة مائـة درجـة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بـين السـماء والأرض»([[433]](#footnote-433))([[434]](#footnote-434)). وأعلى الجنة الفردوس الأعلى وفوقه العرش ومنه تتفجر أنهـار الجنة كما جاء في حديث أبي هريرة السابق عن النبي ج قال: «فإذا سـألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنـه تفجر أنهار الجنة»([[435]](#footnote-435)). وللجنة ثمانية أبواب كما جاء في حديث سهل بن سـعد س في صحيح البخاري عن النبي ج أنه قال: «في الجنة ثمانية أبواب فيـها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون»([[436]](#footnote-436))([[437]](#footnote-437)) وقد أعد الله لأهل الجنة فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وأما النار فهي دار العقاب الأبدي للكافرين والمشركين والمنافقين النفاق الاعتقادي، ولمن شاء الله من عصاة الموحدين بقدر ذنوبهـم ثم مـآلهم إلى الجنة. كـما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48] وموضعها في الأرض السابعة كذا نقل عن ابن عباس ب. وللنار دركات بعضها أسفل من بعض، قال عبد الرحمـن بـن أسلم: درجات الجنة تذهب علوا ودرجات النار تذهب سفولا، وأسـفل الدركات هي دار المنافقين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: 145]، وللنار سبعة أبواب، قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ٤٤﴾ [الحجر: 44]، ونار الدنيا جـزء مـن سبعين جزءا من نار جهنم على ما جاء في حديث أبي هريرة الذيَ أخرجـه الشيخان عن النبي ج قال: «ناركـم جزء من سبعين جـزءا مـن نـار جهنم»([[438]](#footnote-438))([[439]](#footnote-439)).

والإيمان بالجنة والنار يتحقق بثلاثة أمور:

الأول: الاعتقاد الجازم بأنهما حق وأن الجنة دار المتقـين والنـار دار الكافرين والمنافقين. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا٥٦ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: 56-57].

الثاني: اعتقاد وجودهما الآن. قال تعالى في الجنـة. ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]، وقال تعالى في النار: ﴿ُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 24]، وجاء في الصحيحين من حديث عمران بن حصين عن النبي ج أنه قال: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكـثر أهلـها النساء»([[440]](#footnote-440))([[441]](#footnote-441)).

الثالث: اعتقاد دوامهما وبقائهما وأنهما لا تفنيان ولا يفنى من فيـهما. قال تعالى في الجنة: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: 13]، وقال تعالى عن النار: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: 23]. والمقصود من المعصية هنا الكفر، لتأكيد الخلود في النـار بالتأبيد، قال القرطبي قوله (أبدا) دليل على أن العصيان هنا هو الشـرك([[442]](#footnote-442)). وروى الشيخان من حديث عبد الله بن عمر ب أن رسـول الله ج قال: «يدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينـهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت كل خالد فيمـا هـو فيه»([[443]](#footnote-443))([[444]](#footnote-444)).

ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات عظيمة في حياة المؤمن من أهمها:

1. الحرص على طاعة الله رغبة في ثواب ذلك اليوم والبعد عن معصيتـه خوفا من عقاب ذلك اليوم.
2. تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه مـن نعيـم الآخرة وثوابها.
3. استشعار كمال عدل الله تعالى حيث يجازي كلا بعمله مـع رحمتـه بعباده.

الفصل الخامس الإيمان بالقضاء والقدر ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر، وأدلة ثبوتهما مع

بيان الفرق بينهما.

المبحث الثاني: مراتب القدر.

المبحث الأول تعريف القضاء والقدر، وأدلة ثبوتهما مع بيان الفرق بينهما

تعريف القضاء والقدر:

القضاء لغة: الحكـم والفصل.

وشرعا: هو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعـدام أو تغيير.

والقدر: مصدر قدرت الشيء أقدره إذا أحطت بمقداره.

والقدر في الشرع: هو ما قدره الله تعالى في الأزل، أن يكون في خلقـه بناء على علمه السابق بذلك.

الفرق بين القضاء والقدر:

ذكر العلماء في التفريق بين القضاء والقدر. أن القدر: هو تقدير لشـيء قبل قضائه. والقضاء هو الفراغ من الشيء. ومن الشواهد التي ذكرها أبـو حـاتم للتفريق بين القضاء والقدر أن القدر منـزلة تقدير الخياط للثوب فهو قبل أن يفصله يقدره فيزيد وينقص فإذا فصله فقد قضاه وفرغ منه وفاتـه التقدير. وعلى هذا يكون القدر سابقا للقضاء. قال ابن الأثير: (فالقضـاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنـزلة البناء وهو القضاء فمن رام الفصـل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه).

والقضاء والقدر إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى فأصبح لكل منـهما معنى يخصه، وإذا افترقا في الذكر دخل أحدهما في معنى الآخر. ذكر ذلـك بعض أهل العلم.

الأدلة على إثبات القدر:

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان وقد دلت الأدلة مـن الكتـاب والسنة على إثباته وتقريره.

فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ٤٩﴾ [القمر: 49]، وقوله تعالى ﴿أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: 38] وقوله تعالى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2].

وأما السنة فقد دلت كذلك على إثبات القدر في أحاديث كثيرة منها حديث جبريل وسؤاله للنبي ج عن أركان الإيمان فذكر منها: «الإيمان بالقدر خيره وشره»([[445]](#footnote-445)) وقدم تقدم الحديث بنصه في مبحث الملائكة. وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ب قال: سمعت رسول الله ج يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وقال: وكان عرشه على الماء»([[446]](#footnote-446))([[447]](#footnote-447)).

والإيمان بالقدر محل إجماع الأمة من الصحابة ومن بعدهم. أخرج مسلم في صحيحه عن طاوس أنه قال: (أدركت ناسا من أصحاب رسول الله ج يقولون كل شيء بقدر). قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ج «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز»([[448]](#footnote-448))([[449]](#footnote-449)) والكيس: ضد العجز وهو النشاط والحذق بالأمور. قال الإمام النووي: (تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى).

المبحث الثاني مراتب القدر

للقدر أربع مراتب دلت عليها النصوص وقررها أهل العلم. وهي:

المرتبة الأولى: علم الله بكل شـيء مـن الموجـودات والمعدومـات والممكنات والمستحيلات وإحاطته بذلك علمًا فعلم ما كان وما يكون ومـا لم يكن لو كان كيف يكون. وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: 12].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس ب قـال: «سئل النبي ج عن أولاد المشركين فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين»([[450]](#footnote-450))([[451]](#footnote-451)).

المرتبة الثانية: كتابة الله تعالى لكل شيء مما هو كائن إلى قيام السـاعة. قال تعـالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ٧٠﴾ [الحج: 70]. وقال تعـالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ١٢﴾ [يس: 12]. ومن السنة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المتقدم في كتابة الله مقادير الخلائق قبل خلـق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

المرتبة الثالثة: المشيئة فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكـن. قـال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ٨٢﴾ [يس: 82]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ٢٩﴾ [التكوير: 29]. وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة س عن النبي ج قال: «لا يقولن أحدكـم اللهم اغفر لي إن شئت! اللهم ارحمني إن شئت! ليعزم في الدعاء فـإن الله صانع ما شاء لا مكره له»([[452]](#footnote-452))([[453]](#footnote-453)).

المرتبة الرابعة: خلق الله تعالى للأشياء وإيجادها وقدرته الكاملة علـى ذلك فهو سبحانه خالق لكل عامل وعمله وكل متحرك وحركته وكـل ساكن وسكونه. قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ٦٢﴾ [الزمر: 62]. وقال تعالى:﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ٩٦﴾ [الصافات: 96]. وروى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين عن النبي ج: «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شـيء وخلق السماوات والأرض»([[454]](#footnote-454))([[455]](#footnote-455)).

فيجب الإيمان بهذه المراتب الأربع لتحقيق الإيمان بالقدر ومن أنكر شيئًا منها لم يحقق الإيمان بالقدر. والله تعالى أعلم.

ثمرات الإيمان بالقدر:

لتحقيق الإيمان بالقدر أثره البالغ وثمراته النافعة في حياة المؤمـن فمـن ذلك:

1. الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب لأنـه مقـدر الأسـباب والمسببات.
2. راحة النفس وطمأنينة القلب إذا أدرك العبد أن كل شيء بقضـاء الله وقدره.
3. طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد لأن حصول ذلك نعمة مـن الله بما قدره من أسباب ذلك الخير والنجـاح فيشـكر الله ويـدع الإعجاب.
4. طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكـروه لأن ذلك بقضاء الله وقدره فيصبر على ذلك ويحتسب.

الباب الثالث  
مسائل متفرقة في العقيدة

ويتضمن خمسة فصول:

الفصل الأول: الإسلام والإيمان والإحسان.

الفصل الثاني: الولاء والبراء، معناه وضوابطه.

الفصل الثالث: حقوق الصحابة وما يجب نحوهم.

الفصل الرابع: الواجب نحو أئمة المسلمين وعامتهم

ولزوم جماعتهم.

الفصل الخامس: وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة والنهي

عن التفرق.

الفصل الأول: الإسلام والإيمان والإحسان.

المبحث الأول: الإسلام.

المبحث الثاني: الإيمان.

المبحث الثالث: الإحسان.

المبحث الرابع: العلاقة بين الإسلام، والإيمان والإحسان.

المبحث الأول: الإسلام

تعريف الإسلام:

الإسلام لغة: الانقياد والاستسلام والخضوع.

وشرعا: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص مـن الشرك ومعاداة أهله. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ١٦١ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ١٦٢﴾ [الأنعام: 161-162]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ٨٥﴾ [آل عمران: 85].

أركان الإسلام:

أركان الإسلام خمسة بينها رسول الله ج كما في حديث عبد الله بـن عمر ب قال: قال رسول الله ج «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكـاة وصوم رمضان وحج بيت الله»([[456]](#footnote-456))([[457]](#footnote-457)). ويدل على هذا حديث جبريل المتقـدم وفيه أنه قال: «يا محمد ! أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ج (الإسـلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصـلاة وتـؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليـه سبيلا. قـال: صدقت»([[458]](#footnote-458))... إلخ)([[459]](#footnote-459)).

معنى الشهادتين:

\* معنى شهادة أن لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق إلا الله.

\* ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيمـا أخبر به واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

المبحث الثاني: الإيمان وأركانه وبيان حكم مرتكب الكبيرة

تعريفه:

الإيمان لغة: التصديق والإقرار.

وشرعًا: اعتقاد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح.

أركانه وأدلته:

أركان الإيمان ستة يدل عليها قـول الله تعـالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّين﴾ [البقرة: 177].

ومن السنة ما جاء في حديث جبريل عندما سأل النبي ج وقال: «أخـبرني عن الإيمان، قال:  أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليـوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت»([[460]](#footnote-460))... إلخ)([[461]](#footnote-461)).

زيادة الإيمان ونقصانه:

دل الكتاب والسنة على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

فالدليل من الكتاب قول الله تعـالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ١٧﴾ [محمد: 17]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ٢﴾ [الأنفال: 2].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [الفتح: 4].

ومن السنة قوله ج «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة مـن إيمان»([[462]](#footnote-462))([[463]](#footnote-463)). وكذلك قوله ج «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إلـه إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»([[464]](#footnote-464))([[465]](#footnote-465)).

حكم مرتكب الكبيرة:

كبائر الذنوب نوعان: مكفّر وغير مكفر. فأما المكفر فهو الشرك بالله لأنه أعظم ذنبا عُصي به الله والنفاق الاعتقادي وسب الله ورسوله ونحـو ذلك.

والنوع الثاني كبائر غير مكفّرة ولا يخرج مرتكبـها مـن الملـة إلا إذا استحلها. وهي سائر الذنوب التي دون الكفر كالربا والقتل والزنا ونحـو ذلك.

وقد دل الكتاب والسنة على أن مرتكب الكبيرة غير المكفّـرة مؤمـن ناقص الإيمان، ويسمى فاسقًا وعاصيًا.

وحكمه في الآخرة أنه تحت المشيئة فإن شاء الله غفر له برحمته وإن شـاء عذبه بعدله وهو مع هذا لا يخلد في النار إذا عُذب بل مآله إلى الجنة بما معه من التوحيد والإيمان. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا١١٦﴾ [النساء: 116].

وفي الصحيحين من حديث أنس س عن النبي ج أنه قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار مـن قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»([[466]](#footnote-466))([[467]](#footnote-467)).

وهذا الذي دلت عليه النصوص هنا هو الذي عليه سلف الأمـة مـن الصحابة والتابعين وتابعيهم على الخير والهدى في حكـم مرتكب الكبـيرة وهو المنهج الوسط بين الغلو في هذا الباب وهو مذهب الخـوارج قديمًـا وحديثًا الذين يكفرون مرتكب الكبيرة ويخرجونه من الملة ويستبيحون دمـه ويعتقدون أنه يوم القيامة خالد مخلد في النار، وبين أهل التقصير الذين يرون أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان ولا يفرقون بين مرتكب الكبـيرة وبين المؤمن الكامل الذي أدى الطاعات وتجنب المحرمات كما هو مذهـب غلاة المرجئة.

الأدلة على أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر:

دل القرآن والسنة على أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر.

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ١٠﴾ [الحجرات: 9-10]. ووجه الدلالة من الآيتين هو أن الله أثبت الإيمـان لمرتكبي معصية الاقتتال من المؤمنين والباغي من بعض الطوائف على بعـض وهي من الكبائر وجعلهم إخوة وأمر تعالى المؤمنين بالإصلاح بين إخوتهـم في الإيمان.

ومن السنة ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري س أن رسـول الله ج قال: «يدخل أهل الجنة الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النـار النار ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبّة من خردل من إيمـان فأخرجوه»([[468]](#footnote-468))([[469]](#footnote-469)).

ووجه الدلالة من الحديث هو عدم تخليد مرتكبي الكبائر في النار حيـث يخرج منها من كان في قلبه أدنى شيء من الإيمان كـما يدل الحديث علـى تفاوت أهل الإيمان على حسب أعمالهم وأنه يزيد وينقص بحسب ما يـترك المؤمن من واجبات أو يرتكـب من محظورات.

المبحث الثالث: الإحسان

تعريفه:

الإحسان معناه مراقبة الله تعالى في السر والعلن مراقبة من يحبه ويخشـاه ويرجو ثوابه ويخاف عقابه بالمحافظة على الفرائـض والنوافـل واجتنـاب المحرمات والمكروهات. والمحسنون هم السابقون بالخـيرات المتنافسـون في فضائل الأعمال.

أدلته:

من الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ١٢٨﴾ [النحل: 128].

ومن السنة ما جاء في حديث جبريل ÷ أنه سـأل النبي ج فقال: أخبرني عن الإحسان. فقال ج «أن تعبد الله كأنك تـراه فـإن تكن تراه فإنه يراك»([[470]](#footnote-470))([[471]](#footnote-471)).

المبحث الرابع العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان

جاء ذكر الإسلام والإيمان والإحسان في حديث جبريل ومجيئه إلى النبي ج وسؤاله عن هذه الأمور الثلاثة فأجاب عن الإسلام بامتثال الأعمـال الظاهرة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتـاء الزكاة، وحج البيت، وعن الإيمان بالأمور الباطنة الغيبية، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وعن الإحسـان بمراقبة الله في السر والعلانية، فقَال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك.

فإذا ذكرت هذه الأمور الثلاثة مجتمعة كان لكل واحـد منـها معنى خاص، فيقصد بالإسلام الأعمال الظاهرة ويقصد بالإيمان الأمور الغيبيـة. ويقصد بالإحسان أعلى درجات الدين وإذا انفرد الإسلام دخـل فيـه الإيمان وإذا انفرد الإيمان دخل فيه الإسلام وإذا انفرد الإحسان دخل فيـه الإسلام والإيمان.

الفصل الثاني: الولاء والبراء معناه وضوابطه

التعريف:

الولاء: مصدر ولي بمعنى قرب منه، والمراد به هنا القرب من المسـلمين بمودتهم وإعانتهم ومناصرتهم على أعدائهم والسكنى معهم.

والبراء: مصدر برى، بمعنى قطع. ومنه برى القلم بمعنى قطعه. والمراد هنـا قطع الصلة مع الكفار فلا يحبهم ولا يناصرهم ولا يقيم في ديارهم إلا لضرورة.

الولاء والبراء من حقوق التوحيد:

يجب على المسلم أن يوالي في الله وأن يعادي في الله وأن يحـب في الله، وأن يبغض في الله، فيحب المسلمين ويناصرهم ويعادي الكافرين ويبغضـهم ويتبرأ منهم. قال تعالى في وجوب مـوالاة المؤمنـين: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ٥٥ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ٥٦﴾ [المائدة: 55-56] وقال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ٥١﴾ [المائدة: 51]. وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: 22].

ويتضح من هذه الآيات الكريمة وجوب موالاة المؤمنين وما ينتج عـن ذلك من الخير ووجوب معاداة الكفار والتحذير من موالاتهم وما تؤدي إليه موالاتهم من شر.

مكانة الولاء والبراء في الدين:

إن للولاء والبراء في الإسلام مكانة عظيمة، فهو أوثق عـرى الإيمـان. ومعناه توثيق عرى المحبة والألفة بين المسلمين ومفاصلة أعداء الإسلام. فقـد روى ابن عباس ب قال: قال رسول الله ج «أوثـق عـرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله»([[472]](#footnote-472))([[473]](#footnote-473)).

الفرق بين المداهنة والمداراة وأثرهما على الولاء والبراء:

المداهنة: هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومصانعـة الكفـار والعصاة من أجل الدنيا والتنازل عما يجب على المسلم من الغـيرة علـى الدين. ومثاله الاستئناس بأهل المعاصي والكفار ومعاشرتهم وهـم علـى معاصيهم أو كفرهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة عليه. قال الله تعـالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ٧٨ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ٧٩ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المائدة: 78-80].

المداراة: هي درء المفسدة والشر بالقول اللين وترك الغلظة أو الإعـراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه أكبر مما هو ملابس لـه. كالرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله وتـرك الإغـلاظ عليه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلى تأليفـه. وفي الحديث عن عائشة ل، «أن رجلا استأذن على النبي ج فلمـا رآه قال: (بئس أخو العشيرة. وبئس ابن العشيرة)، فلما جلس تطلق النبي ج في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت عائشة ل: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت كذا وكـذا، ثم تطلقـت في وجهـه وانبسطت إليه. فقال ج (يا عائشة متى عهدتني فحاشًا، إن شر الناس عنـد الله منـزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره)»([[474]](#footnote-474))([[475]](#footnote-475)). فالنبي ج دارى هـذا الرجل لما دخل عليه مع ما فيه من الشر لأجل المصلحة الدينية، فدل علـى أن المداراة لا تتنافى مع الموالاة إذا كان فيها مصلحة راجحة من كف الشـر والتأليف أو تقليل الشر وتخفيفه، وهذا من مناهج الدعـوة إلى الله تعـالى. ومن ذلك مداراة النبي ج للمنافقين في المدينة خشية شرهم وتأليفًـا لهـم ولغيرهم.

وهذا بخلاف المداهنة فإنها لا تجوز إذ حقيقتها مصانعة أهل الشر لغـير مصلحة دينية وإنما من أجل الدنيا.

نماذج من الولاء والبراء:

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم ÷: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: 4]. وقال تعـالى في مـوالاة الأنصـار لإخوانهم المهاجرين: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ٩﴾ [الحشر: 9].

حكم موالاة العصاة والمبتدعين:

إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسـنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق مـن المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر. فقد يجتمع في الشخص الواحـد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطـع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته ويتصدق عليه. هذا هـو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة.

هل يدخل في الموالاة معاملة الكفار في الأمور الدنيوية:

دلت النصوص الصحيحة على جواز التعامل مع الكفار في المعـاملات الدنيوية كمسائل البيع والشراء والإيجار والاستئجار والاستعانة بهم عند الحاجة والضرورة على أن يكون ذلك في نطاق ضيق وأن لا يضر بالإسلام والمسلمين. «فقد استأجر النبي ج عبد الله بن أرَيْقط هاديًـا خِرِّيتًـا»([[476]](#footnote-476))([[477]](#footnote-477)). والخريـت هو الخبير بمعرفة الطريق.

ورهن النبي ج درعه عند يهودي في صاع من شعير وأجر علي س نفسه ليهودية يمتح لها الماء من البئر فمتح لها ست عشرة دلوًا كـل دلـو بتمرة. وقد استعان النبي ج باليهود الذين كـانوا في المدينـة في قتـال المشركين. واستعان بـخُزاعة ضد كفار قريش. وهذا كله لا يؤثر على الولاء والبراء في الله على أن يلتزم الكفار الذين يقيمـون بـين المسـلمين بالآداب العامة وأن لا يدعوا إلى دينهم.

الفصل الثالث: حقوق الصحابة وما يجب نحوهم

المبحث الأول: من هم الصحابة ووجوب محبتهم وموالاتهم.

المبحث الثاني: وجوب اعتقاد فضلهم وعدالتهم والكف عما شجر بينهم في ضوء الأدلة الشرعية.

المبحث الثالث: أهل بيت النبي ج وحقوقهم وبيان أن زوجاته من أهل بيته.

المبحث الرابع: الخلفاء الراشدون، فضلهم وما يجب نحوهم وترتيبهم.

المبحث الخامس: العشرة المبشرون بالجنة.

المبحث الأول: من هم الصحابة ووجوب محبتهم وموالاتهم

تعريف الصحابي:

الصحابي هو من لقي النبي ج مسلمًا ومات على ذلك.

وجوب محبتهم وموالاتهم:

الصحابة هم خير القرون، وصفوة هذه الأمة وأفضل هذه الأمة بعد نبيها ج ويجب علينا أن نتولاهم ونحبهم ونترضى عنهم وننـزلهم منازلهم، فإن محبتهم واجبة على كل مسلم، وحبهم دين وإيمان وقـربى إلى الرحمـن، وبغضهم كفر وطغيان. فهم حملة هذا الدين، فالطعن فيهم طعن في الديـن كله لأنه وصلنا عن طريقهم بعد أن تلقوه غضًّا طريًّا عن رسـول الله ج مشافهة ونقلوه لنا بكل أمانة وإخلاص ونشروا الديـن في كافـة ربـوع الأرض في أقل من ربع قرن وفتح الله على أيديهم بلاد الدنيا فدخل النـاس في دين الله أفواجًا.

وقد دل الكتاب والسنة على وجوب موالاة الصحابة ومحبتهم وأنها دليل صدق إيمان الرجل. فمن الكتاب قولـه تعـالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 71]. وإذا كان أصحاب النبي ج مقطوعًـا بإيمانهم بل هم أفضل المؤمنين لتزكية الله ورسوله لهم فإن موالاتهم ومحبتـهم دليل إيمان من قامت به هذه الصفة.

ومن السنة حديث أنس عن النبي ج أنه قال: «آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار»([[478]](#footnote-478))([[479]](#footnote-479)).

والنصوص في هذا كثيرة جدًّا لا يسع المقام ذكرها على أنه يحسن التنبيـه هنا على ما يترتب على موالاة الصحابة رضوان الله عليهم من الآثار الطيبـة في الدنيا والآخرة مما يشحذ الهمم على تحقيق موالاتهم.

فمن آثار موالاتهم الطيبة في الدنيا الفلاح والغلبة والنصر كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ٥٦﴾ [المائدة: 56]. قال ابن كثير: (كل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فـهو مفلح في الدنيا والآخرة ومنصور في الدنيا والآخرة).

ومن ثمار محبتهم في الآخرة ما يُرجى لـمُحبّهم من الحشر معهم لقـول النبي ج كما في حديث عبد الله بن مسعود س قال: «جاء رجل إلى رسـول الله ج فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قومًا ولم يلحق بهم، فقال رسول الله ج (المرء مع من أحب)»([[480]](#footnote-480))([[481]](#footnote-481)).

ولذا كان أصحاب رسول الله ج يتقربون إلى الله بمحبة أبي بكر وعمـر ويعدون ذلك من أفضل أعمالهم وأرجاها عند الله. روى الإمام البخـاري من حديث أنس بن مالك س «أن رجلا سأل النبي ج عن الساعة فقـال: متى الساعة؟ فقال النبي ج (وماذا أعددت لها). قـال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقَال النبي ج (أنت مع من أحببت)، فقال أنس: فمـا فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ج أنت مع من أحببت. قال أنس: (فأنـا أحب النبي ج وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إيـاهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم»([[482]](#footnote-482))([[483]](#footnote-483)).

المبحث الثاني وجوب اعتقاد فضلهم وعدالتهم والكف عما شجر بينهم في ضوء الأدلة الشرعية

فضلهم:

لقد أثنى الله تعالى على الصحابة ش ووعدهم الحسنى. كمـا قال تعالى ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ١٠٠﴾ [التوبة: 100]. وقال تعـالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: 18]. وقـال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ٨ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ٩ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ١٠﴾ [الحشر: 8-10].

فقد دلت الآيات الكريمة على فضل الصحابـة والثنـاء عليـهم مـن المهاجرين والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان الذيـن بـايعوا تحـت الشجرة وكل من حصل على شرف الصحبة. ووصف الذين جاؤوا مـن بعدهم بأنهم يستغفرون لمن سبقهم من الصحابة ويدعون الله تعالى ألا يجعـل في قلوبهم غلًّا للذين آمنوا.

كـما تضمنت الآيات وغيرها مما لا يمكن حصره من الـترضي عنـهم وبشارتهم بالجنة وحصولهم على الفوز العظيم ومدحـهم وذكـر بعـض صفاتهم من الحب والإيثار والكرم والجود وحب إخوانهم المسلمين ونصرهم لدين الله ونحو ذلك من الأوصاف العظيمة والذكر الجميل ما هم أهل له.

وقد أثنى عليهم رسول الله ج بأحاديث كثيرة منها ما رواه مسلم عـن جابر بن عبد الله س أن النبي ج قال: «لا يدخل النار أحدٌ بـايع تحـت الشجرة»([[484]](#footnote-484))([[485]](#footnote-485)). وقد جاءت أحاديث بعضها عامة في فضل جميـع الصحابـة وبعضها في فضل أهل بدر، وبعضها في أفراد بخصوصهم.

فالواجب على المسلمين تطبيق هذه النصوص وتولي الصحابة جميعًـا، ومحبتهم والترضي عنهم، وذكرهم بكل جميل، والاقتداء بهم والسير علـى منهجهم.

وجوب الكف عما شجر بين الصحابة وحكم سبهم:

عرفنا أن أصحاب رسول الله ج هم الصفوة المختارة من هذه الأمة بعد نبينا ج فهم السابقون إلى الإسلام وهم أعلام الهدى ومصابيح الدجـى، وهم الذين جاهدوا في الله حق جهاده وأبلوا بلاءً حسنًا في الـذود عـن حياض الإسلام حتى مكن الله لهذا الدين في الأرض على أيديـهم. فمـن تنقصهم أو سبهم أو نال من أحد منهم فهو من شر الخليقة؛ لأن عمله هـذا اعتداء على الدين كله. ومن كفرهم أو اعتقد ردتهم فـهو أولى بـالكفر والردة وإنه مهما عمل أحدٌ بعدهم من عمل فإنه لن يبلغ شيئًا من فضلـهم. فقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري س قال: قال رسـول الله ج «لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا مـا أدرك مُد أحدهم ولا نصيفه»([[486]](#footnote-486))([[487]](#footnote-487)). فقد دل الحديث على تحريم سب أصحاب رسول الله ج والتأكيد على أنه لن يبلغ أحد مبلغهم مهما قدم من عمل.

فالواجب على المسلمين اعتقاد عدالتهم والترضي عنهم والكف عمـا شجر بينهم وعدم الخوض فيما جرى بينهم من خلاف وترك سـرائرهم إلى الله تعالى. قال عمر بن عبد العزيز /: (أولئك قوم طهر الله أيدينا مـن دمائهم، فلنطهر ألسنتنا من أعراضهم).

وخلاصة القول أن أهل السنة يوالون الصحابـة كلـهم وينـزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب. فإن ذلـك كله من البغي الذي هو مجاوزة الحد.

المبحث الثالث أهل بيت النبي ج

التعريف بأهل البيت:

أهـل البيـت هـم آل النبي ج الذين حرّمت عليهم الصدقة. وهـم: آل علي بن أبي طالب، وآل جعفر، وآل العبـاس، وبنـو الحـارث بـن عبد المطلب وأزواج النبي ج.

أدلة فضل أهل البيت:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33].

وقال ج «أذكّركم الله في أهل بيتي»([[488]](#footnote-488))([[489]](#footnote-489)).

دخول أزواج النبي ج في أهل البيت:

قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا٣٢ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا٣٣ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا٣٤﴾ [الأحزاب: 32-34]. قال الإمام ابن كثير /: (ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ج داخلات في قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 32-34].

فإن سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: 34]، أي واعملن بما ينـزل الله تبارك وتعالى على رسوله ج في بيوتكن من الكتاب والسنة. قال قتادة وغـير واحـد: (واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين النساء) ([[490]](#footnote-490)).

الوصية بأهل البيت:

تقدم حديث «أذكركم الله في أهل بيتي»([[491]](#footnote-491)). فأهل السنة يحبونهم ويكرمونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ج لأن ذلك من محبة النبي وإكرامه وذلك بشرط أن يكونوا متبعين للسنة مستقيمين على الملة كما كان سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وبنيه. أما من خالف السنة ولم يستقم على الدين فإنه لا يجوز موالاته، ولو كان من أهل البيت.

فموقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت موقف الاعتدال والإنصاف، يتولون أهل الدين والاستقامة منهم ويتبرؤون ممن خالف السنة وانحرف عن الدين، ولو كان من أهل البيت، فإنّ كونه من أهل البيـت ومـن قرابـة الرسول لا ينفعه شيئًا حتى يستقيم على دين الله. فقد روى أبو هريـرة س قال: قام رسول الله ج حين أنـزل عليـه ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ٢١٤﴾ [الشعراء: 214]. فقال: «يا معشر قريش أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسـكـم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا، يـا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنـت محمـد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا»([[492]](#footnote-492))([[493]](#footnote-493)). ولحديث: (من بطـأ به عمله لم يسرع به نسبه)([[494]](#footnote-494)). معنى من بطأ: أي من تأخر.

ويتبرأ أهل السنة والجماعة من الذين يغلون في بعض أهل البيت ويدعون لهم العصمة. ومن الذين ينصبون العداوة لأهل البيت المستقيمين، ويطعنـون فيهم، ومن طريقة المبتدعين والخرافيين الذيـن يتوسـلون بـأهل البيت ويتخذونهم أربابًا من دون الله.

فأهل السنة في هذا الباب وغيره على المنهج المعتدل والصراط المسـتقيم الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

المبحث الرابع الخلفاء الراشدون

التعريف بالخلفاء الراشدين:

الخلفاء الراشدون هم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب (الفاروق)، وذو النورين عثمان بن عفان، وأبو السبطين علي بن أبي طالب سم وأرضاهم.

مكانتهم ووجوب اتباعهم:

الخلفاء الراشدون هم أفضل الصحابة، وهم الخلفاء الراشدون المـهديون الذين أمر الرسول ج باتباعهم، والتمسك بهديهم. كما ثبت ذلك مـن حديث العرباض بن سارية س الذي جاء فيه أن النبي ج قال: «أوصيكـم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكـم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكـم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليـها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»([[495]](#footnote-495))([[496]](#footnote-496)).

فضلهم:

أجمع أهل السنة والجماعة على أن التفضيل بين الخلفاء بحسب ترتيبـهم في الخلافة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي. وقد ورد في فضـل كـل واحد منهم أحاديث كثيرة نورد حديثًا واحدًا منها لكل واحد منهم:

فمما جاء في فضل أبي بكر س ما ثبت في الصحيحين أن النبي ج قـال على منبره: «لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر»([[497]](#footnote-497))([[498]](#footnote-498)).

ومما جاء في فضل عمر س ما ثبت في الصحيحين أن النبي ج كان يقول: «قد كان في الأمم قبلكـم محدَّثون، فإن يكن في أمتي أحد فإن عمـر بن الخطاب منهم»([[499]](#footnote-499))([[500]](#footnote-500)). ومعنى محدّثون: مُلْهَمُون.

ومما جاء في فضل عثمان س حديث عائشة الطويل الذي قالت فيـه: «دخل أبو بكر ثم عمر ثم عثمان وعندما رآه الرسول جلس وسوى ثيابـه فسألته عائشة فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»([[501]](#footnote-501))([[502]](#footnote-502)).

ومما جاء في فضل علي س ما رواه الشيخان عن سهل بن سـعد س أن النبي ج قال عشية خيبر: «لأعطين الراية غدًا رجلا يحـب الله ورسـولَه، ويحبه الله ورسولُه يفتَح الله على يديه... فقال: ادعوا لي عليًّا... فدفـع الراية إليه ففتح الله عليه»([[503]](#footnote-503))([[504]](#footnote-504)).

المبحث الخامس العشرة المبشرون بالجنة

عرفنا فيما سبق فضل الصحابة وأنهم جميعًا عدول، وأنهم يتفـاضلون في الصحبة. وأفضل الصحابة السابقون الأولون في الإسلام من المـهاجرين ثم الأنصار، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل غزوة الأحزاب ثم أهـل بيعـة الرضوان، ثم من هاجر من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقـوا من بعد وقاتلوا، وكلا وعد الله الحسنى.

وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون أبو بكر الصديق وعمـر الفـاروق وعثمان ذو النورين، وأبو السبطين علي بن أبي طالب، ثم عبد الرحمن بـن عوف، والزبير بن العوام حواريّ رسول الله ج وطلحة بـن عبيـد الله، وسعد بن أبي وقاص، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بـن زيد بن نفيل س أجمعين.

وقد جاءت في فضلهم أحاديث عامة ومنهم من جـاء فيـه حديـث بخصوصه. ومن الأحاديث العامة في فضلهم ما رواه أحمد وأصحاب السنن عن عبد الرحمن بن الأخنس س عن سعيد بن زيد قال: أشهد على رسـول الله ج أني سمعته وهو يقول: «عشرة في الجنة، النبي ج في الجنة، وأبو بكـر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنـة، وطلحـة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بـن عوف في الجنة)، ولو شئت لسميت العاشر. قال: فقالوا: من هو؟ فسـكت قال: فقالوا: من هو؟ فقال: (هو سعيد بن زيد س)»([[505]](#footnote-505))([[506]](#footnote-506)).

وقد بشر النبي ج آخرين غير هؤلاء العشرة بالجنة، مثل عبد الله بـن مسعود، وبلال بن رباح، وعكاشة بن محصن، وجعفر بـن أبي طـالب، وغيرهم كثير. وأهل السنة والجماعة ينصون على مـن ورد النـص مـن المعصوم فيه باسمه فيشهدون له بالجنة لشهادة رسول الله ج له، ومن عداهم يرجون لهم الخير لوعد الله لهم جميعًا بالجنة كما قال تعـالى بعـد ذكـر الصحابة وبيان فضل بعضهم علـى بعـض ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [النساء: 95]. والحسنى هي الجنة. كما أن مذهب أهـل السـنة في عمـوم المسلمين عدم القطع لأحد منهم بجنة أو نار، وإنما يرجـون للمحسـنين الثواب ويخافون على المسيئين العقاب مع القطع لمن مات على التوحيد بعدم تخليده في النار لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 116].

الفصل الرابع: الواجب نحو أئمة المسلمين وعامتهم ولزوم جماعتهم

روى مسلم عن أبي رقية تميم الداري س أن النبي ج قـال: «الديـن النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قـال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»([[507]](#footnote-507))([[508]](#footnote-508)).

فالنصيحة لله: إفراده تعالى بالعبادة وتعظيمه وخوفه ورجـاؤه ومحبتـه وفعل أوامره واجتناب نواهيه.

والنصيحة لرسوله ج تصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر به، واتباع سنته، والاهتداء بهديه ومحبته، وألا نعبد الله إلا وفق ما جاء به ج.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين فهي الدعاء لهم ومحبتـهم وطاعتـهم في حدود طاعة الله تعالى.

وأما النصيحة لعامة المسلمين فهو أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكـر، وحبُ الخير لهم كـما نحب لأنفسنا وبذل الخير لهم ومساعدتهم بقـدر مـا نستطيع.

الواجب نحو ولاة الأمور:

لقد دل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على وجوب طاعة الإمـام وإن جار في حدود طاعة الله تعالى، ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فـلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. كما تجب الصلاة خلفه، والحج والجـهاد معه، ويطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعـه في مـوارد الاجتهاد بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف وتجنب مفسدة الفرقة والاختلاف، أعظم مـن أمـر المصـالح الخاصة. كما تجب النصيحة له بالطرق المشروعة وترك منازعتـه وعـدم الخروج عليه.

قال الإمام الطحاوي /: (ولا نرى الخروج علـى أئمتنـا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننـزع يدًا من طاعتهم ونـرى طاعتهم من طاعة الله ﻷ فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهـم بالصلاح والمعافاة).

والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59].

ومن السنة حديث أبي هريرة س عن النبي ج أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومـن يعص الأمير فقد عصاني»([[509]](#footnote-509))([[510]](#footnote-510)). وعن ابن عمر ب قـال: قـال رسول الله ج «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحـب وكـره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»([[511]](#footnote-511))([[512]](#footnote-512)).

والسنة أن تُبذل النصيحة للإمام سرًّا بعيدًا عن الإثارة والتـهويل يـدل لذلك ما رواه ابن أبي عاصم وغيره، عن عياض بن غنم س قـال: قـال رسول الله ج «من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية، وليـأخذ بيده فإن سمع منه فذاك، وإلا أدى الذي عليه»([[513]](#footnote-513))([[514]](#footnote-514)).

هذه النصوص من القرآن والسنة كلها تأمر بطاعة الأئمة وولاة الأمـور في غير معصية الله تعالى. ويمكن أن نستخلص منها ما يأتي:

1. أن السمع والطاعة واجبة في كل الأحوال في غير معصية.
2. عدم الخروج على ولاة الأمر إذا لم يقبلوا النصيحة.
3. أن من نصح لولاة الأمر وأنكر عليهم بالطريقة المشروعة فقد برئ مـن الذنب.
4. النهي عن إثارة الفتن وأسباب إثارتها.
5. عدم الخروج على الولاة ما لم يظهر منهم الكفر البـواح أي الظـاهر الذي لا يحتمل التأويل.
6. وجوب لزوم جماعة المسلمين الذين يسيرون على هدى الكتاب والسنة قولا وعملا واعتقادًا وموالاتهم واتباع سبيلهم والحرص علـى جمع كلمتهم على الحق وعدم مفارقتهم أو الانشقاق عليهم. كمـا قـال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا١١٥﴾ [النساء: 115] وقال رسول الله ج «عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار»([[515]](#footnote-515))([[516]](#footnote-516)) وعن ابن عباس س قـال: قـال رسول الله ج «من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه من فـارق الجماعة شبرًا فمات فميتته جاهلية»([[517]](#footnote-517))([[518]](#footnote-518)).

فـدلت هذه النصوص على وجوب لزوم الجماعة وعدم منازعـة الأمـر أهله، والوعيد الشديد لمن يخالف ذلك. إذ أن الجماعـة رحمـة والفرقـة عذاب.

الفصل الخامس: وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة وأدلة وجوبه

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: معنى الاعتصام بالكتاب والسنة وأدلة وجوبه.

المبحث الثاني: التحذير من البدع.

المبحث الثالث: ذم التفرق والاختلاف.

المبحث الأول معنى الاعتصام بالكتاب والسنة وأدلة وجوبه

لقد أمر الله الأمة بالاجتماع واتحاد الكلمة وجمع الصف على أن يكـون أساس هذا الاجتماع الاعتصام بالكتاب والسنة، ونهى عن التفرق وبـين خطورته على الأمة في الدارين. ولتحقيق ذلك أمرنا بالتحاكـم إلى كتـاب الله تعالى في الأصول والفروع ونهينا عن كل سبب يؤدي إلى التفرق.

فالطريق الصحيح إلى النجاة هو التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسـوله ج فإنهما حصن حصين وحرز متين لمن وفقه الله تعـالى. قـال تعـالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ١٠٣﴾ [آل عمران: 103]. فقد أمر الله تعالى بالاعتصام بحبل الله، وحبل الله هو عـهد الله أو هو القرآن كما قال المفسرون، إذ العهد الذي أخذه الله على المسـلمين هو الاعتصام بالقرآن والسنة. فقد أمر الله تعالى بالجماعة ونهى عن التفـرق والاختلاف. قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7]. وهذا شامل لأصول الدين وفروعه الظاهرة والباطنـة.

وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه ولا تحل مخالفتـه، وأن نص الرسول على حكـم الشيء كنص الله تعالى لا رخصة لأحـد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ٢٠﴾ [الأنفال: 20]. فقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بطاعتـه وطاعة رسـوله، وزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له. ولهذا قـال: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ [الأنفال: 20]أي تتركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا٥٩﴾ [النساء: 59].

قـال الحافظ ابن كثير: (أطيعوا الله، أي اتبعوا كتابه، وأطيعوا الرسول أي خـذوا سنته، وأولي الأمر منكـم أي فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصيـة الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله). وقوله ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59]. قال مجاهد: أي إلى كتاب الله وسنة رسـوله.

وهذا أمر من الله ﻷ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الديـن وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعـالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: 10]. فما حكـم به الكتـاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال. ولهذا قال تعـالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: 59]، أي ردوا الفصـل في الخصومات والجهالات إلى الكتاب والسنة ومن لا يرجع إليهما في ذلـك فليس مؤمنًا بالله ولا اليوم الآخر. وقوله ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [النساء: 59]، أي التحـاكم إلى كـتاب الله وسنة رسوله، والرجوع إليهما في فصل النـزاع خير ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]، أي وأحسن عاقبة ومآلا كما قال السدي وقال مجاهد: (وأحسـن جزاء وهو قريب)([[519]](#footnote-519)). وفي كتاب الله آيات كثـيرة وردت في وجـوب الاعتصام بالكتاب والسنة والرجوع إليهما في كل الأمور.

وأما الأدلة من السنة على وجوب التمسك بالكتاب والسنة فمنها مـا رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة س أن رسول الله ج قال: «إن الله يرضى لكـم ثلاثًا ويسخط لكـم ثلاثًا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم. ويسخط لكـم ثلاثًا، قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال»([[520]](#footnote-520))([[521]](#footnote-521)). وعن جابر س قال: قال رسول الله ج «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي»([[522]](#footnote-522)). وقال ج «تركتكـم علـى البيضـاء ليلـها كنهارها لا يزيغ عنها بعد إلا هالك»([[523]](#footnote-523))([[524]](#footnote-524)). وجاء في حديث العربـاض بـن سارية قوله ج «ليكـم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعـدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»([[525]](#footnote-525))([[526]](#footnote-526)).

وقد بشر النبي ج المتمسكين بسنته من أمته بأعظم بشـارة وأشـرف مقصد يطلبه كل مؤمن ويسعى إلى تحقيقه من كان في قلبه أدنى مسكة مـن إيمان ألا وهو الفوز بدخول الجنة. جاءت هذه البشـرى في حديث أبي هريرة س قال: قال رسول الله ج «كل أمتي يدخلون الجنة إلا مـن أبى. قـالوا ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقـد أبى»([[527]](#footnote-527))([[528]](#footnote-528)). وأي إباء ورفض للسنة أعظم مـن مخالفـة أمـره ج؟ وذلـك بالإحداث والابتداع في الدين.

ومعلوم أن الفرقة الناجية هي التي كانت على مثل ما كان عليه النبي ج وأصحابه، وهي الجماعة. قال أبي بن كعب س «عليكم بالسبيل والسـنة فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشـية الله فتمسه النار أبدًا وإن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خـلاف سبيل وسنة».

المبحث الثاني: التحذير من البدع

تعريف البدعة:

البدعة لغة: هي الاختراع على غير مثال سابق ومن ذلـك قول الله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 101] أي مخترعهما.

وشرعًا: ما خالف الكتاب والسنة، أو إجمـاع سـلف الأمـة من الاعتقادات والعبادات المحدثة في الدين.

خطر البدع:

إن البدع والمحدثات في الدين لها خطورة عظيمة، وآثار سيئة على الفرد والمجتمع بل وعلى الدين كله أصوله وفروعه. فالبدع: إحداث في الديـن، وقول على الله بغير علم وشرع في الدين بما لم يأذن به الله، والبدعة سـبب في عدم قبول العمل وتفريق الأمة، والمبتدع يحمل وزره ووزر من تبعـه في بدعته، كما أن البدعة سبب في الحرمان من الشرب من حوض النبي ج فعن سـهل بـن سـعد الأنصاري، وأبي سعيد الخـدري ب أن رسـول الله ج قـال: «أنا فَرَطُكم على الحوض من مرّ علي شرب، ومن شرب لا يظمأ أبدًا. ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقوِل إنهم من أمتي، فيقال: إنك لا تدري مـا أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاَ لمن غيّر بعدي»([[529]](#footnote-529))([[530]](#footnote-530)). والفرط: الذي يسبق إلى المـاء.

وسحقًا: أي بعدًا.

والبدعة تشويه للدين، وتغيير لمعالمه. والخلاصة أن البدعة خطر عظيم على المسلمين في أمر دينهم ودنياهم.

أسباب البدعة:

للبدع أسباب كثيرة أعظمها البعد عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ج ومنهج السلف الصالح، الأمر الذي يؤدي إلى الجهل بمصادر التشريع.

ومن أسباب انتشار البدع، التعلق بالشبهات والاعتماد على العقل المجرد وجلساء السوء، والاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدل بها المبتدعة على بدعهم، والتشبه بالكفار، وتقليد أهل الضلال ونحو ذلـك من الأسباب الخطيرة.

خطر البدع:

من تأمل الكتاب والسنة وجد أن البدع في الدين محرمة ومردودة علـى أصحابها من غير فرق بين بدعة وأخرى، وإن كانت تتفاوت درجـات التحريم بحسب نوعية البدعة.

ومن المعلوم أن النهي عن البدع قد ورد على وجه واحد في قول النبي ج «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالـة»([[531]](#footnote-531))([[532]](#footnote-532)). وقوله ج «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»([[533]](#footnote-533))([[534]](#footnote-534)). فدل الحديثان على أن كل محدث في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة، ولكن التحـريم يتفـاوت بحسب نوع البدعة فمنها ما هو كفر صراح كالطواف بالقبور تقربـا إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها، ودعاء أصحابها والاسـتغاثة بهـم، ومنها ما هو من وسائل الشرك كالبناء على القبور، والصـلاة والدعـاء عندها، ومنها ما هو فسق ومعصية كإقامة الأعياد التي لم ترد في الشـرع، والأذكار المبتدعة والتبتل والصيام قائما في الشمس.

المبحث الثالث ذم التفرق والاختلاف

الأدلة على ذم التفرق:

لقد ذم الله التفرق ونهى عن الطرق والأسباب المؤدية إليه. وقد جـاءت النصوص من الكتاب والسنة التي تحذر من التفرق والاختلاف وتبين سـوء عاقبته وأنه من أعظم أسباب الخذلان في الدنيا، والعذاب والخزي وسـواد الوجوه في الآخرة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ١٠٥ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ١٠٦ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ١٠٧﴾ [آل عمران: 105-107]. قال ابن عباس: (تبيض وجـوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ١٥٩﴾ [الأنعام: 159].

فقد دلت الآيات على ذم التفرق وخطورتـه علـى الأمـة في الدنيـا والآخرة، وأنه سبب هلاك أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، وسـبب كل انحراف وقع في الناس.

وأما السنة فقد جاءت فيها أحاديث كثيرة في ذم التفرق والاختـلاف والحث على الجماعة والائتلاف فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد وأبـو داود عن معاوية س أنه قام فقال: ألا إن رسول الله ج قام فينا فقـال: «ألا إن من قبلكـم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة. وإن هذه الأمـة ستتفرق على ثلاث وسبعين ملة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنـة وهي الجماعة»([[535]](#footnote-535))([[536]](#footnote-536)). فقد أخبر النبي ج بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار، لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوض الذيـن مـن قبلهم ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي ج إما في الدين فقط وإمـا في الدين والدنيا ثم يؤول إلى الدين. وقد يكون الاختلاف في الدنيـا فقـط. وعلى كل حال فإن الفرقة والاختلاف لا بـد مـن وقوعـهما في الأمـة والرسول ج يحذر أمته منه لينجو من الوقوع فيه من شاء الله له السلامة.

الاختلاف والتفرق سبب هلاك الأمم السابقة:

إذا تأملنا القرآن والسنة وجدنا أن سبب هلاك الأمم السابقة هو التفرق وكثرة الاختلاف لاسيما الاختلاف في الكتاب المنـزل عليهم.

قال حذيفة س لعثمان س (أدرك هذه الأمة، لا تختلف في الكتـاب كما اختلفت فيه الأمم قبلهم)، لما رأى أهل الشام وأهل العراق يختلفون في حروف القرآن الاختلاف الذي نهى عنه رسول الله ج. فأفاد ذلك شيئين:

أحدهما: تحريم الاختلاف في مثل هذا.

والثاني: الاعتبار بمن كان قبلنا، والحذر من مشابهتهم. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ١٧٦﴾ [البقرة: 176]. وقوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: 19].

ومن السنة ما رواه أبو هريرة س أن رسول الله ج قال: «ذروني مـا تركتكم فإنما هلك من كان قبلكـم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائـهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»([[537]](#footnote-537))([[538]](#footnote-538)). فقد أمرهم الرسول ج في هذا الحديث بالإمساك عما لم يؤمروا به، معلـلا بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال، ثم الاختلاف على الرسـل بالمعصية أي بمخالفتهم لما أمرتهم به أنبياؤهم.

هل الاختلاف رحمة:

يدعي بعض الناس أن الاختلاف رحمة اعتمادًا على حديث موضـوع: (اختلاف أمتي رحمة). وهذا القول مردود بالكتاب والسنة والعقل. وقـد ذكرنا بعض الآيات والأحاديث الواردة في ذم الاختلاف والتفـرق. وفي ذلك كفاية لمن تدبر وتأمل.

بل قد دل القرآن على أن الاختلاف لا يتفق مع الرحمة بل هو ضدهـا. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ١١٨ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: 118-119].

والحديث الذي استدل به أصحاب هذه الدعوى باطل ولا يصح بحـال، ولا يوجد في شيء من كتب السنة. وهذا كافِ في بطلان هذه الدعـوى، يضاف إلى ذلك مخالفته للمعقول، فإنه لا يتصورَ عاقل أن الاختلاف رحمة، بعدما عرفنا المفاسد الخطيرة الناتجة عنه من التشاحن والتباغض والتهاجر بـل وربما القتال والحروب التي كثيرًا ما ثارت بين الناس بسـبب الاختـلاف، حتى في بعض مسائل الفروع.

طريق الخلاص من الفرقة والاختلاف:

ومن المعلوم أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هي الجماعة. والجماعـة هم الذين يسيرون وفق منهج النبي ج وأصحابه لا يعدلون عن ذلـك ولا يحيدون عنه يمينًا أو شمالًا.

قال الشاطبي / في الاعتصام: (إن الجماعة ما كان عليه النبي وأصحابه والتابعون لهم بإحسان). فطريق الخلاص هو اتباع منـهج أهـل السنة والجماعة قولًا وعملًا واعتقادًا، وعدم مخالفتهم أو الشذوذ عنهم.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا١١٥﴾ [النساء: 115].

وقـال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ١٥٣﴾ [الأنعام: 153].

وفي السنة ما رواه الترمذي وغيره عن عبد الله بن عمر ب عن رسول الله ج قال: «لا تجتمع أمتي على ضلالة- أو قال: أمة محمـد على ضلالة- ويد الله على الجماعة»([[539]](#footnote-539))([[540]](#footnote-540)).

وبهذا نختم القول بأن طريق الخلاص وعنوان السعادة التمسك بكتـاب الله تعالى، ذلك الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنـزيل من حكيم حميد وكذلك التمسك بالسنة المطهرة الثابتة عـن رسول الله ج الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فإنهما أي الكتاب والسنة هما المصدران الوحيدان لعقيدة الإسلام وشريعته. فـأي منهج جانب هذا الطريق فإنه منهج خاسر، فالتمسك بالسنة هـو سـبيل المؤمنين، وطريق الوصول إلى مرضاة رب العالمين، والحصن الحصين، وهـذا هو المنهج الذي يحفظ الله به الأمة من بدع المبتدعين وانتحـال المبطلـين، وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين. وهو الطريق الذيَ صلحت بـه أحـوال الأمة في صدر الإسلام، ولا فلاح لنا ولا نجاح إلا بالرجوع إليه. يقول إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس /: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)، وما صلح به أولها هو العمل بكتاب الله وسنة رسـوله ج ومما ينبغي على المسلم في هذا الجانب أن يكون العمل بالكتـاب والسـنة مقيدًا بفهم السلف الصالح ومنهجهم لقـول الله تعـالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ١٥٣﴾ [الأنعام: 153].

فاتباع سبيل المؤمنين وهم الصحابة وأتباعهم من الأئمة المهديين بإحسان هو سبيل النجاة نسأله تعالى أن يوفق الأمة الإسلامية للتمسك بكتاب ربها وسنة نبيها ج واتباع سبيل المؤمنين. وآخر دعوانـا أن الحمـد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

1. ()البخاري أحاديث الأنبياء (3274)، الترمذي العلم (2669)، أحمد (2/159)، الدارمي المقدمة (542). [↑](#footnote-ref-1)
2. () البخاري الإيمان (52)، مسلم المساقاة (1599)، ابن ماجه الفتن (3984)، أحمد (4/270)، الدارمي البيوع (2531). [↑](#footnote-ref-2)
3. ()البخاري أحاديث الأنبياء (3259)، مسلم الفضائل (2365)، أبو داود السنة (4675)، أحمد (2/406). [↑](#footnote-ref-3)
4. ()صحيح البخاري (3443)، وصحيح مسلم (2365). [↑](#footnote-ref-4)
5. ()مسلم الإيمان (8)، الترمذي الإيمان (2610)، النسائي الإيمان وشرائعه (4990)، أبو داود السنة (4695)، ابن ماجه المقدمة (63)، أحمد (1/27). [↑](#footnote-ref-5)
6. ()صحيح مسلم برقم (1). [↑](#footnote-ref-6)
7. () الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2516)، أحمد (1/293). [↑](#footnote-ref-7)
8. () سنن الترمذي (2516)، ومسند أحمد (1 / 307)، وقد حسن الحديث الترمذي وصححه، وصححه الحاكم. [↑](#footnote-ref-8)
9. ()انظر: تفسير ابن جرير (7 / 312- 313). [↑](#footnote-ref-9)
10. () البخاري التوحيد (6938)، مسلم الإيمان (30)، الترمذي الإيمان (2643)، ابن ماجه الزهد (4296)، أحمد (5/230). [↑](#footnote-ref-10)
11. () صحيح البخاري (7373). [↑](#footnote-ref-11)
12. ()البخاري المغازي (4090)، مسلم الإيمان (19)، الترمذي الزكاة (625)، النسائي الزكاة (2435)، أبو داود الزكاة (1584)، ابن ماجه الزكاة (1783)، أحمد (1/233)، الدارمي الزكاة (1614). [↑](#footnote-ref-12)
13. ()صحيح البخاري (7372). [↑](#footnote-ref-13)
14. ()البخاري تفسير القرآن (4227)، مسلم الإيمان (92)، أحمد (1/443). [↑](#footnote-ref-14)
15. ()صحيح البخاري (4497). [↑](#footnote-ref-15)
16. ()البخاري العلم (129)، مسلم الإيمان (32)، أحمد (3/244). [↑](#footnote-ref-16)
17. ()صحيح مسلم (93). [↑](#footnote-ref-17)
18. () البخاري الإيمان (25)، مسلم الإيمان (22). [↑](#footnote-ref-18)
19. () صحيح البخاري برقم (52)، وصحيح مسلم برقم (22). [↑](#footnote-ref-19)
20. () مسلم الإيمان (23)، أحمد (6/394). [↑](#footnote-ref-20)
21. () صحيح مسلم برقم (23). [↑](#footnote-ref-21)
22. ()البخاري الصلح (2550)، مسلم الأقضية (1718)، أبو داود السنة (4606)، ابن ماجه المقدمة (14)، أحمد (6/270). [↑](#footnote-ref-22)
23. ()صحيح البخاري برقم (2697). [↑](#footnote-ref-23)
24. ()حلية الأولياء: (8 / 95). [↑](#footnote-ref-24)
25. ()الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2516)، أحمد (1/308). [↑](#footnote-ref-25)
26. ()سنن الترمذي (2516)، ومسند أحمد (1 / 307)، وقد حسن الحديث الترمذي وصححه الحاكم. [↑](#footnote-ref-26)
27. ()مسلم السلام (2200)، أبو داود الطب (3886). [↑](#footnote-ref-27)
28. ()صحيح مسلم برقم (2200). [↑](#footnote-ref-28)
29. ()(العين) إصابة العائن غيره بعينه بقدر الله. [↑](#footnote-ref-29)
30. ()(الـحمة) بحاء مهملة مضمومة ثم ميم مخففة: وهي السم، ومعناه: أذن في الرقية من كل ذات سـم، مثل لدغة الثعبان، أو العقرب أو نحوهما. [↑](#footnote-ref-30)
31. ()(النملة) بفتح النون وإسكان الميم: قروح تخرج من الجنب. [↑](#footnote-ref-31)
32. ()صحيح مسلم برقم (2196). [↑](#footnote-ref-32)
33. ()مسلم السلام (2198)، أحمد (3/302). [↑](#footnote-ref-33)
34. ()صحيح مسلم برقم (2199). [↑](#footnote-ref-34)
35. ()البخاري الطب (5418)، مسلم السلام (2191)، ابن ماجه الطب (3520)، أحمد (6/45). [↑](#footnote-ref-35)
36. ()صحيح البخاري برقم (5743)، وصحيح مسلم برقم (2191). [↑](#footnote-ref-36)
37. ()أبو داود الطب (3883)، ابن ماجه الطب (3530)، أحمد (1/381). [↑](#footnote-ref-37)
38. ()سنن أبي داود برقم (3883)، ومستدرك (4 / 241) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. [↑](#footnote-ref-38)
39. ()الترمذي الطب (2072). [↑](#footnote-ref-39)
40. ()مسند أحمد (4 /310)، وسنن الترمذي برقم (2072)، ومستدرك الحـاكم (4 / 241) وصححـه الحاكم. [↑](#footnote-ref-40)
41. ()أحمد (4/154). [↑](#footnote-ref-41)
42. ()مسند أحمد (4/ 154)، ومستدرك الحاكم (4/ 240)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. [↑](#footnote-ref-42)
43. ()أحمد (4/156). [↑](#footnote-ref-43)
44. ()مسند أحمد (4 / 156)، وصححه الحاكم (4/ 244) وقال عبد الرحمن بن حسن ورواته ثقات. [↑](#footnote-ref-44)
45. ()ابن ماجه الطب (3531)، أحمد (4/445). [↑](#footnote-ref-45)
46. ()المسند (4 / 445)، وقال البوصيري إسناده حسن وقال الهيثمي رجاله ثقات. [↑](#footnote-ref-46)
47. ()تفسير ابن أبي حاتم (7 / 2207). [↑](#footnote-ref-47)
48. ()السدرة: شجرة ذات شوك. [↑](#footnote-ref-48)
49. ()سنن الترمذي برقم (2180 ). [↑](#footnote-ref-49)
50. ()الترمذي الفتن (2180)، أحمد (5/218). [↑](#footnote-ref-50)
51. ()مسلم الجنائز (977)، النسائي الأشربة (5652)، أبو داود الأشربة (3698)، أحمد (5/350). [↑](#footnote-ref-51)
52. ()صحيح مسلم برقم (977). [↑](#footnote-ref-52)
53. ()مسلم الجنائز (976)، النسائي الجنائز (2034)، أبو داود الجنائز (3234)، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1572)، أحمد (2 /441). [↑](#footnote-ref-53)
54. ()صحيح مسلم برقم (975). [↑](#footnote-ref-54)
55. ()أحمد (3/38)، مالك الضحايا (1048). [↑](#footnote-ref-55)
56. ()مسند أحمد (3/ 38)، ومستدرك الحاكم (1/ 531). [↑](#footnote-ref-56)
57. ()أحمد (3/237). [↑](#footnote-ref-57)
58. ()مستدرك الحاكم (1 / 532). [↑](#footnote-ref-58)
59. ()مسلم الجنائز (975)، النسائي الجنائز (2040)، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1547)، أحمد (5/353). [↑](#footnote-ref-59)
60. ()صحيح مسلم برقم (975). [↑](#footnote-ref-60)
61. ()النسائي الجنائز (2033)، أبو داود الأشربة (3698)، أحمد (5/355). [↑](#footnote-ref-61)
62. ()مسلم المساجد ومواضع الصلاة (532). [↑](#footnote-ref-62)
63. ()صحيح مسلم برقم (532). [↑](#footnote-ref-63)
64. ()البخاري الجنائز (1324)، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (531)، النسائي المساجد (703)، أحمد (6/146)، الدارمي الصلاة (1403). [↑](#footnote-ref-64)
65. ()صحيح البخاري برقم (1330)، وصحيح مسلم برقم (531). [↑](#footnote-ref-65)
66. ()أبو داود الجنائز (3222)، أحمد (3/197). [↑](#footnote-ref-66)
67. ()أبو داود الجنائز (3222)، أحمد (3/197). [↑](#footnote-ref-67)
68. ()سنن أبي داود لرقم (3222). [↑](#footnote-ref-68)
69. ()مسلم الجنائز (970)، الترمذي الجنائز (1052)، النسائي الجنائز (2027)، أبو داود الجنائز (3225)، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1563)، أحمد (3/339). [↑](#footnote-ref-69)
70. ()صحيح مسلم برقم (970)، وسنن أبي داود برقم (3225)، ورقم (3226)، ومسـتدرك الحـاكم (1 / 525). [↑](#footnote-ref-70)
71. ()صحيح مسلم برقم (972). [↑](#footnote-ref-71)
72. () الترمذي الصلاة (317)، أبو داود الصلاة (492)، ابن ماجه المساجد والجماعات (745). [↑](#footnote-ref-72)
73. ()سنن أبي داود برقم (492)، وسنن الترمذي برقم (317)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. [↑](#footnote-ref-73)
74. ()البخاري الجنائز (1324)، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (531)، النسائي المساجد (703)، أحمد (6/146)، الدارمي الصلاة (1403). [↑](#footnote-ref-74)
75. ()العيد هو الذي يعود ويتكرر مثل عيد الفطر وعيد الأضحى، فكون الإنسان يكرر الزيارة لقبر الرسول كل يوم من أجل السلام فكأنه يتخذه عيدا، فنهى الرسول عن ذلـك، أمر المسلم أن يصلي ويسلم عليه وهو في أي مكان كان لأن لله ملائكة سياحين يبلغون الرسول السلام وهذا من يسر هذا الدين إذ ليس باستطاعة كل مسلم أن يأتي إلى المدينة. [↑](#footnote-ref-75)
76. ()سنن أبي داود برقم (2042)، ومسند أحمد (2/ 367). [↑](#footnote-ref-76)
77. ()البخاري الجمعة (1132)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1410). [↑](#footnote-ref-77)
78. ()صحيح البخاري برقم (1189)، وصحيح مسلم (1397). [↑](#footnote-ref-78)
79. ()تفسير ابن كثير (2/ 50). [↑](#footnote-ref-79)
80. ()صحيح مسلم برقم (3030). وصحيح البخاري رقم (4714). [↑](#footnote-ref-80)
81. ()فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه، كما في حديث سالم. [↑](#footnote-ref-81)
82. ()صحيح البخاري برقم (3465). [↑](#footnote-ref-82)
83. ()سحاب متفرق. [↑](#footnote-ref-83)
84. ()صحيح البخاري برقم (1013)، وصحيح مسلم رقم (897). [↑](#footnote-ref-84)
85. ()البخاري الطب (5420)، مسلم الإيمان (220)، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2446)، أحمد (1/271). [↑](#footnote-ref-85)
86. ()صحيح البخاري برقم (5705)، وصحيح مسلم برقم (218). [↑](#footnote-ref-86)
87. ()سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ج 1 / 88 ح 25. [↑](#footnote-ref-87)
88. ()البخاري الجمعة (964). [↑](#footnote-ref-88)
89. ()صحيح البخاري برقم (1010). [↑](#footnote-ref-89)
90. ()البخاري الجمعة (964). [↑](#footnote-ref-90)
91. ()البخاري الجمعة (964). [↑](#footnote-ref-91)
92. ()الترمذي الدعوات (3578)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1385). [↑](#footnote-ref-92)
93. ()سنن الترمذي برقم (3578)، ومسند أحمد (4 / 138). [↑](#footnote-ref-93)
94. ()پالبخاري المرضى (5328)، مسلم البر والصلة والآداب (2576)، أحمد (1/347). [↑](#footnote-ref-94)
95. ()دلائل النبوة للبيهقي (6 / 167). [↑](#footnote-ref-95)
96. ()مسلم الوصية (1631)، الترمذي الأحكام (1376)، النسائي الوصايا (3651)، أبو داود الوصايا (2880)، أحمد (2 /372)، الدارمي المقدمة (559). [↑](#footnote-ref-96)
97. ()صحيح مسلم برقم (1631). [↑](#footnote-ref-97)
98. ()النسائي مناسك الحج (3057)، ابن ماجه المناسك (3029)، أحمد (1/347). [↑](#footnote-ref-98)
99. ()المسند (1 / 347)، والمستدرك (1 / 638). [↑](#footnote-ref-99)
100. ()مسلم العلم (2670)، أبو داود السنة (4608)، أحمد (1/386). [↑](#footnote-ref-100)
101. ()صحيح مسلم برقم (2670). [↑](#footnote-ref-101)
102. ()البخاري أحاديث الأنبياء (3261)، أحمد (1/24). [↑](#footnote-ref-102)
103. ()صحيح البخاري برقم (3445). [↑](#footnote-ref-103)
104. ()البخاري المناقب (3411)، مسلم الإمارة (1847)، أحمد (5/387). [↑](#footnote-ref-104)
105. ()صحيح البخاري برقم (7084)، وصحيح مسلم برقم (1847). [↑](#footnote-ref-105)
106. ()أي علم تلك الصور بخصوصها. [↑](#footnote-ref-106)
107. ()صحيح البخاري برقم (4920). [↑](#footnote-ref-107)
108. ()تفسير الطبري (12 / 254). [↑](#footnote-ref-108)
109. ()الترمذي تفسير القرآن (2969)، ابن ماجه الدعاء (3828). [↑](#footnote-ref-109)
110. ()مسند أحمد (4 / 267)، وسنن الترمذي برقم (2969). [↑](#footnote-ref-110)
111. () سنن الترمذي برقم (3095)، والمعجم الكبير للطبراني (17 / 92). [↑](#footnote-ref-111)
112. ()أحمد (5/428). [↑](#footnote-ref-112)
113. ()مسند أحمد (5 / 428)، قال المنذري إسناده جيد، الترغيب والترهيب (1 / 48)، وقال الهيثمي: رجالـه رجال الصحيح، مجمع (1/ 102). [↑](#footnote-ref-113)
114. ()أبو داود الأدب (4980)، أحمد (5/399). [↑](#footnote-ref-114)
115. ()سنن أبي داود برقم (4980)، قال الذهبي في مختصر البيهقي (1 / 140 / 2) إسناده صالح. [↑](#footnote-ref-115)
116. ()تفسير ابن أبي حاتم (1 / 62). [↑](#footnote-ref-116)
117. ()مدارج السالكين (1 / 346). [↑](#footnote-ref-117)
118. ()البخاري الإيمان (34)، مسلم الإيمان (58)، الترمذي الإيمان (2632)، النسائي الإيمان وشرائعه (5020)، أبو داود السنة (4688)، أحمد (2/189). [↑](#footnote-ref-118)
119. ()صحيح البخاري برقم (34)، وصحيح مسلم برقم (58). [↑](#footnote-ref-119)
120. ()البخاري الإيمان (33)، مسلم الإيمان (59)، الترمذي الإيمان (2631)، النسائي الإيمان وشرائعه (5021)، أحمد (2/536). [↑](#footnote-ref-120)
121. ()صحيح البخاري برقم (33). [↑](#footnote-ref-121)
122. ()مسلم الإيمان (67)، الترمذي الجنائز (1001). [↑](#footnote-ref-122)
123. ()صحيح مسلم برقم (67). [↑](#footnote-ref-123)
124. ()البخاري العلم (121)، مسلم الإيمان (65)، النسائي تحريم الدم (4131)، ابن ماجه الفتن (3942)، أحمد (4/358)، الدارمي المناسك (1921). [↑](#footnote-ref-124)
125. ()صحيح البخاري برقم (121)، وصحيح مسلم برقم (65). [↑](#footnote-ref-125)
126. ()أبو داود الطب (3905)، ابن ماجه الأدب (3726)، أحمد (1/227). [↑](#footnote-ref-126)
127. ()سنن أبي داود برقم (3905). [↑](#footnote-ref-127)
128. ()أبو داود الطب (3907)، أحمد (3/477). [↑](#footnote-ref-128)
129. ()سنن أبي داود برقم (3907)، ومسند أحمد (3 / 477). [↑](#footnote-ref-129)
130. ()الترمذي الطهارة (135)، أبو داود الطب (3904)، ابن ماجه الطهارة وسننها (639)، أحمد (2/429)، الدارمي الطهارة (1136). [↑](#footnote-ref-130)
131. ()سنن أبي داود (3904)، ومسند أحمد (2 / 429)، المستدرك (1 / 50) قال الحاكم صحيح على شـرط الشيخين ووافقه الذهبي. [↑](#footnote-ref-131)
132. ()المصنف (11 / 26). [↑](#footnote-ref-132)
133. ()مسند البزار (9 / 52) (3578)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (5/ 117) رجاله رجال الصحيح. [↑](#footnote-ref-133)
134. ()ابن كثير (8/ 60). [↑](#footnote-ref-134)
135. ()الطبري (7 / 621). [↑](#footnote-ref-135)
136. ()مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (2713)، الترمذي الدعوات (3481)، أبو داود الأدب (5051)، ابن ماجه الدعاء (3831)، أحمد (2/404). [↑](#footnote-ref-136)
137. ()صحيح مسلم برقم (2713). [↑](#footnote-ref-137)
138. ()الترمذي الدعوات (3475)، ابن ماجه الدعاء (3857). [↑](#footnote-ref-138)
139. ()رواه الحاكم برقم (1856) وقال: صحيح على شرط مسلم ووفقه الذهبي. [↑](#footnote-ref-139)
140. ()البخاري أحاديث الأنبياء (3190)، مسلم الصلاة (406)، الترمذي الصلاة (483)، النسائي السهو (1288)، أبو داود الصلاة (976)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (904)، أحمد (4/244)، الدارمي الصلاة (1342). [↑](#footnote-ref-140)
141. ()صحيح البخاري برقم (3370)، ومسلم برقم (406). [↑](#footnote-ref-141)
142. ()صحيح البخاري برقم (2731). [↑](#footnote-ref-142)
143. ()البخاري الدعوات (5985)، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (2730)، الترمذي الدعوات (3435)، ابن ماجه الدعاء (3883)، أحمد (1/280). [↑](#footnote-ref-143)
144. ()رواه البخاري برقم (6345)، ومسلم برقم (2730). [↑](#footnote-ref-144)
145. () مسلم السلام (2202)، الترمذي الطب (2080)، أبو داود الطب (3891)، ابن ماجه الطب (3522)، أحمد (4/217)، مالك الجامع (1754). [↑](#footnote-ref-145)
146. () رواه مسلم برقم (2202). [↑](#footnote-ref-146)
147. () البخاري الجمعة (1113)، الترمذي الصلاة (480)، النسائي النكاح (3253)، أبو داود الصلاة (1538)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1383)، أحمد (3/344). [↑](#footnote-ref-147)
148. ()رواه البخاري برقم (6382). [↑](#footnote-ref-148)
149. ()البخاري الفتن (6691)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2879)، أحمد (2/40). [↑](#footnote-ref-149)
150. ()رواه مسلم برقم (9287). [↑](#footnote-ref-150)
151. ()مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (2713)، الترمذي الدعوات (3481)، أبو داود الأدب (5051)، ابن ماجه الدعاء (3831)، أحمد (2/536). [↑](#footnote-ref-151)
152. ()رواه مسلم برقم (2713). [↑](#footnote-ref-152)
153. ()رواه الذهبي في العلو برقم (119) وقال: رواته ثقات، رواه الخلال في كتاب السنة. [↑](#footnote-ref-153)
154. ()البخاري تفسير القرآن (4461)، مسلم القدر (2652)، الترمذي القدر (2134)، أبو داود السنة (4701)، ابن ماجه المقدمة (80)، أحمد (2/314)، مالك الجامع (1660). [↑](#footnote-ref-154)
155. ()رواه البخاري برقم (6614)، ومسلم برقم (2652). [↑](#footnote-ref-155)
156. ()البخاري تفسير القرآن (4352)، الترمذي تفسير القرآن (3065)، أحمد (3/309). [↑](#footnote-ref-156)
157. ()البخاري تفسير القرآن (4352)، الترمذي تفسير القرآن (3065)، أحمد (3/309). [↑](#footnote-ref-157)
158. ()رواه البخاري برقم (7406). [↑](#footnote-ref-158)
159. ()مسلم التوبة (2759)، أحمد (4/395). [↑](#footnote-ref-159)
160. ()رواه مسلم برقم (2759). [↑](#footnote-ref-160)
161. ()البخاري التوحيد (6972)، مسلم الإيمان (169)، أحمد (2/127). [↑](#footnote-ref-161)
162. ()رواه البخاري برقم (7407)، ومسلم برقم (2933). [↑](#footnote-ref-162)
163. ()البخاري تفسير القرآن (4569)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2847)، الترمذي صفة الجنة (2557)، أحمد (2/507). [↑](#footnote-ref-163)
164. ()رواه البخاري برقم (4850) ومسلم برقم (2846). [↑](#footnote-ref-164)
165. ()البخاري تفسير القرآن (4569)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2846)، الترمذي صفة الجنة (2557)، أحمد (2/507). [↑](#footnote-ref-165)
166. ()رواه البخاري برقم (4848، 4849) ومسلم برقم (2848). [↑](#footnote-ref-166)
167. ()مسلم الزهد والرقائق (2996)، أحمد (6/153). [↑](#footnote-ref-167)
168. ()صحيح مسلم برقم (2996). [↑](#footnote-ref-168)
169. ()البخاري بدء الخلق (3062)، مسلم الإيمان (177)، الترمذي تفسير القرآن (3068)، أحمد (6/50). [↑](#footnote-ref-169)
170. ()صحيح مسلم برقم (177). [↑](#footnote-ref-170)
171. ()البخاري بدء الخلق (3060)، مسلم الإيمان (174)، الترمذي تفسير القرآن (3283)، أحمد (1/395). [↑](#footnote-ref-171)
172. ()مسند الإمام أحمد: (1/ 395)، (6/ 294). [↑](#footnote-ref-172)
173. ()أبو داود السنة (4727). [↑](#footnote-ref-173)
174. ()سنن أبي داود: (5/ 96)، برقم (4727). [↑](#footnote-ref-174)
175. ()مسلم فضائل الصحابة (2401)، أحمد (6/155). [↑](#footnote-ref-175)
176. ()صحيح مسلم برقم (2401). [↑](#footnote-ref-176)
177. ()البخاري مواقيت الصلاة (530)، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (632)، النسائي الصلاة (485)، أحمد (2/486)، مالك النداء للصلاة (413). [↑](#footnote-ref-177)
178. () صحيح البخاري برقم (555) وصحيح مسلم برقم (632). [↑](#footnote-ref-178)
179. ()مسلم الإيمان (8)، الترمذي الإيمان (2610)، النسائي الإيمان وشرائعه (4990)، أبو داود السنة (4695)، ابن ماجه المقدمة (63)، أحمد (1/27). [↑](#footnote-ref-179)
180. ()صحيح مسلم برقم (8). [↑](#footnote-ref-180)
181. ()البخاري المناقب (3674)، مسلم الإيمان (164)، النسائي الصلاة (448)، أحمد (4/208). [↑](#footnote-ref-181)
182. ()صحيح البخاري برقم (3207)، ومسلم برقم (164)، واللفظ لمسلم. [↑](#footnote-ref-182)
183. ()مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2842)، الترمذي صفة جهنم (2573). [↑](#footnote-ref-183)
184. ()صحيح مسلم برقم (2842). [↑](#footnote-ref-184)
185. ()مسلم صلاة المسافرين وقصرها (770)، الترمذي الدعوات (3420)، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (1625)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1357)، أحمد (6/156). [↑](#footnote-ref-185)
186. ()رواه الإمام أحمد في المسند: 6 / 156، والنسائي في السنن: 3 / 173، برقم (1625)، ونحوهمـا مسـلم في الصحيح، برقم (770)، وابن ماجه، برقم (1357). [↑](#footnote-ref-186)
187. ()البخاري بدء الخلق (3062)، مسلم الإيمان (177)، الترمذي تفسير القرآن (3068)، أحمد (6/50). [↑](#footnote-ref-187)
188. ()صحيح مسلم برقم (177). [↑](#footnote-ref-188)
189. ()مسلم صلاة المسافرين وقصرها (770)، الترمذي الدعوات (3420)، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (1625)، أبو داود الصلاة (767)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1357)، أحمد (6/156). [↑](#footnote-ref-189)
190. ()رواه الإمام أحمد في المسند: 6 / 156، والنسائي في السنن: 3 / 213، برقم (1625)، ونحوهما مسلم في الصحيح برقم (770)، وابن ماجه برقم (1357). [↑](#footnote-ref-190)
191. ()الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2430)، أبو داود السنة (4742)، أحمد (2/192)، الدارمي الرقاق (2798). [↑](#footnote-ref-191)
192. ()المسند: 2/ 162، 192. [↑](#footnote-ref-192)
193. ()المستدرك: 2/ 506، 4/ 589، واللفظ للحاكم. [↑](#footnote-ref-193)
194. ()الترمذي تفسير القرآن (3243)، أحمد (3/7). [↑](#footnote-ref-194)
195. ()المسند: 3 / 7، وسنن الترمذي 4 / 620، برقم (2431)، 5 / 372- 373، برقم (3243). [↑](#footnote-ref-195)
196. ()البخاري بدء الخلق (3059)، مسلم الجهاد والسير (1795). [↑](#footnote-ref-196)
197. ()صحيح البخاري، برقم (3231)، ومسلم برقم (1795). [↑](#footnote-ref-197)
198. ()البخاري الحيض (312)، مسلم القدر (2646)، أحمد (3/117). [↑](#footnote-ref-198)
199. ()صحيح البخاري برقم (318)، ومسلم برقم (2646). [↑](#footnote-ref-199)
200. ()تفسير ابن كثير (7/ 120). [↑](#footnote-ref-200)
201. ()البخاري بدء الخلق (3064). [↑](#footnote-ref-201)
202. ()صحيح البخاري برقم (3236). [↑](#footnote-ref-202)
203. ()البخاري المناقب (3674)، مسلم الإيمان (164)، النسائي الصلاة (448)، أحمد (4/208). [↑](#footnote-ref-203)
204. ()صحيح البخاري برقم (3207)، ومسلم برقم (164) واللفظ لمسلم. [↑](#footnote-ref-204)
205. ()البخاري الدعوات (6045)، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (2689)، الترمذي الدعوات (3600)، أحمد (2/252). [↑](#footnote-ref-205)
206. ()صحيح البخاري برقم (6408)، ومسلم برقم (2689) واللفظ للبخاري. [↑](#footnote-ref-206)
207. ()النسائي السهو (1282)، أحمد (1/452)، الدارمي الرقاق (2774). [↑](#footnote-ref-207)
208. ()المسند: 1/ 452، وسنن الترمذي: 3/ 43، برقم (1282)، واللفظ لأحمد. [↑](#footnote-ref-208)
209. ()البخاري الجنائز (1308)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2870)، النسائي الجنائز (2051)، أبو داود السنة (4751)، أحمد (3/126). [↑](#footnote-ref-209)
210. ()صحيح البخاري برقم (1374)، ومسلم برقم (2870)، واللفظ للبخاري. [↑](#footnote-ref-210)
211. ()الترمذي الجنائز (1071). [↑](#footnote-ref-211)
212. ()سنن الترمذي: 3/ 385، برقم (1073)، والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: 7/ 386، برقم (3117)، واللفظ للترمذي. [↑](#footnote-ref-212)
213. ()ابن ماجه التجارات (2144). [↑](#footnote-ref-213)
214. ()موارد الظمآن (1084، 1085)، والمستدرك (2 / 4)، وسنن ابن ماجـه (2144)، وابن أبي الدنيا في القناعة، والبيهقي في شعب الإيمان (المغني عن حمل الأسفار: 419، 895) والبغوي ج14 / 304 برقم (4112). [↑](#footnote-ref-214)
215. ()البخاري بدء الوحي (4)، مسلم الإيمان (160)، الترمذي المناقب (3632)، أحمد (6/233). [↑](#footnote-ref-215)
216. ()صحيح البخاري برقم (3)، وبنحوه في صحيح مسلم برقم (160). [↑](#footnote-ref-216)
217. ()انظر ص113. [↑](#footnote-ref-217)
218. ()انظر ص106. [↑](#footnote-ref-218)
219. ()البخاري بدء الوحي (2)، مسلم الفضائل (2333)، الترمذي المناقب (3634)، النسائي الافتتاح (934)، أحمد (6/257)، مالك النداء للصلاة (474). [↑](#footnote-ref-219)
220. ()صحيح البخاري برقم (2)، ومسلم برقم (2333). [↑](#footnote-ref-220)
221. ()تفسير ابن كثير 1/ 297. [↑](#footnote-ref-221)
222. ()انظر ص106. [↑](#footnote-ref-222)
223. ()البخاري التوحيد (6975)، مسلم الإيمان (193)، ابن ماجه الزهد (4312)، أحمد (3/116)، الدارمي المقدمة (52). [↑](#footnote-ref-223)
224. ()صحيح البخاري برقم (7410)، ومسلم برقم (193). [↑](#footnote-ref-224)
225. ()البخاري القدر (6240)، مسلم القدر (2652)، الترمذي القدر (2134)، أبو داود السنة (4701)، ابن ماجه المقدمة (80)، أحمد (2/248)، مالك الجامع (1660). [↑](#footnote-ref-225)
226. ()صحيح البخاري برقم (6614)، ومسلم برقم (2652)، وفي إحداها: (وكتب لك التوراة بيده). [↑](#footnote-ref-226)
227. ()تفسير ابن كثير (2/ 36). [↑](#footnote-ref-227)
228. ()أحمد (3/387)، الدارمي المقدمة (435). [↑](#footnote-ref-228)
229. ()مسند الإمام أحمد: 3 / 387، وكشف الأستار: 134، وشعب الإيمان للبيهقي: (177). [↑](#footnote-ref-229)
230. ()تفسير ابن كثير 3 / 63. [↑](#footnote-ref-230)
231. ()تفسير ابن جرير 14 / 7. [↑](#footnote-ref-231)
232. ()الطحاوية 1 / 172. مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص21، وقواعد التحديث لجمال الدين القاسمي ص65. [↑](#footnote-ref-232)
233. ()انظر قواعد التحديث لجمال الدين القاسمي ص65. [↑](#footnote-ref-233)
234. ()مسلم البر والصلة والآداب (2577). [↑](#footnote-ref-234)
235. ()رواه مسلم برقم (2577). [↑](#footnote-ref-235)
236. ()مصطلح الحديث لابن عثيمين ص7، وقواعد التحديث للقاسمي ص61-62. [↑](#footnote-ref-236)
237. ()انظر قواعد التحديث للقاسمي ص65- 66. [↑](#footnote-ref-237)
238. ()أحمد (3/387)، الدارمي المقدمة (435). [↑](#footnote-ref-238)
239. ()رواه الإمام أحمد في المسند: 3 / 387، وغيره. [↑](#footnote-ref-239)
240. ()البخاري فضائل القرآن (4696)، مسلم الإيمان (152)، أحمد (2/451). [↑](#footnote-ref-240)
241. ()صحيح البخاري برقم (4981)، ومسلم برقم (152). [↑](#footnote-ref-241)
242. ()تفسير ابن كثير 8 / 453. [↑](#footnote-ref-242)
243. ()تفسير ابن جرير 27 / 96. [↑](#footnote-ref-243)
244. ()مسلم الإيمان (8)، الترمذي الإيمان (2610)، النسائي الإيمان وشرائعه (4990)، أبو داود السنة (4695)، ابن ماجه المقدمة (63)، أحمد (1/52). [↑](#footnote-ref-244)
245. ()تقدم ص113. [↑](#footnote-ref-245)
246. ()البخاري التوحيد (7060)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (769)، الترمذي الدعوات (3418)، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (1619)، أبو داود الصلاة (771)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1355)، أحمد (1/358)، مالك النداء للصلاة (500)، الدارمي الصلاة (1486). [↑](#footnote-ref-246)
247. ()صحيح البخاري برقم (7499). [↑](#footnote-ref-247)
248. ()مسلم المساجد ومواضع الصلاة (532). [↑](#footnote-ref-248)
249. ()صحيح مسلم برقم (532). [↑](#footnote-ref-249)
250. ()البخاري أحاديث الأنبياء (3215)، مسلم الفضائل (2377)، أبو داود السنة (4669)، أحمد (1/342). [↑](#footnote-ref-250)
251. ()صحيح البخاري برقم (3416)، ومسلم برقم (2376)، واللفظ للبخاري. [↑](#footnote-ref-251)
252. ()البخاري تفسير القرآن (4328)، مسلم الفضائل (2373)، أحمد (2/468). [↑](#footnote-ref-252)
253. ()صحيح البخاري برقم (4604). [↑](#footnote-ref-253)
254. ()أخرجه البزار انظر كشف الأستار (3 / 114)، والهيثمي في المجمع (8 / 255) وقال: رجاله رجال الصحيح، والحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، المستدرك للحاكم: 2 / 546. [↑](#footnote-ref-254)
255. ()مسلم الفضائل (2278)، أحمد (2/540). [↑](#footnote-ref-255)
256. ()أخرجه مسلم برقم (2278)، وأبو داود: 5 / 38، برقم (4673). [↑](#footnote-ref-256)
257. ()مسلم المساجد ومواضع الصلاة (523)، أحمد (2/412). [↑](#footnote-ref-257)
258. ()أخرجه مسلم برقم (523). [↑](#footnote-ref-258)
259. ()مسلم الإيمان (153)، أحمد (2/350). [↑](#footnote-ref-259)
260. ()أخرجه مسلم برقم (153). [↑](#footnote-ref-260)
261. ()البخاري المناقب (3342)، مسلم الفضائل (2286)، أحمد (2/312). [↑](#footnote-ref-261)
262. ()صحيح البخاري برقم (3535)، ومسلم برقم (2286)، واللفظ للبخاري. [↑](#footnote-ref-262)
263. ()البخاري فضائل القرآن (4696)، مسلم الإيمان (152)، أحمد (2/451). [↑](#footnote-ref-263)
264. ()صحيح البخاري برقم (4981)، ومسلم برقم (152). [↑](#footnote-ref-264)
265. ()الترمذي تفسير القرآن (3001)، ابن ماجه الزهد (4288)، الدارمي الرقاق (2760). [↑](#footnote-ref-265)
266. ()أخرجه أحمد في المسند: 4 / 447، والترمذي وقال حديث حسن، والترمذي: 5 / 226، برقم (3001)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. [↑](#footnote-ref-266)
267. ()البخاري الرقاق (6163)، مسلم الإيمان (221)، الترمذي صفة الجنة (2547)، ابن ماجه الزهد (4283)، أحمد (1/438). [↑](#footnote-ref-267)
268. ()صحيح البخاري برقم (6528)، ومسلم برقم (221). [↑](#footnote-ref-268)
269. ()مسلم الفضائل (2278)، أحمد (2/540). [↑](#footnote-ref-269)
270. ()أخرجه مسلم برقم (2278). وتقدم صفحة 109. [↑](#footnote-ref-270)
271. ()البخاري التوحيد (6975)، مسلم الإيمان (193)، ابن ماجه الزهد (4312)، أحمد (3/116)، الدارمي المقدمة (52). [↑](#footnote-ref-271)
272. ()صحيح البخاري برقم (3340)، ومسلم برقم (193). [↑](#footnote-ref-272)
273. ()الترمذي تفسير القرآن (3148)، ابن ماجه الزهد (4308). [↑](#footnote-ref-273)
274. ()أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، سنن الترمذي 5/ 587 برقم (3615)، وبنحوه الإمام أحمد في المسند: 3/2 [↑](#footnote-ref-274)
275. ()مسلم الصلاة (384)، الترمذي المناقب (3614)، النسائي الأذان (678)، أبو داود الصلاة (523)، أحمد (2/168). [↑](#footnote-ref-275)
276. ()رواه مسلم برقم (384). [↑](#footnote-ref-276)
277. ()البخاري الإيمان (25)، مسلم الإيمان (22). [↑](#footnote-ref-277)
278. ()صحيح البخاري برقم (25)، ومسلم برقم (22). [↑](#footnote-ref-278)
279. ()ابن ماجه المقدمة (5). [↑](#footnote-ref-279)
280. ()سنن ابن ماجه (المقدمة): 1 / 4، برقم (5). [↑](#footnote-ref-280)
281. ()مسلم الحج (1218)، أبو داود المناسك (1905)، ابن ماجه المناسك (3074)، الدارمي المناسك (1850). [↑](#footnote-ref-281)
282. ()مسلم الحج (1218)، أبو داود المناسك (1905)، ابن ماجه المناسك (3074)، الدارمي المناسك (1850). [↑](#footnote-ref-282)
283. ()أخرجه مسلم من حديث جابر عبد الله في حجة النبي برقم (1218). [↑](#footnote-ref-283)
284. ()أخرجه أحمد في المسند: 5 / 153. [↑](#footnote-ref-284)
285. ()البخاري الإيمان (15)، مسلم الإيمان (44)، النسائي الإيمان وشرائعه (5013)، ابن ماجه المقدمة (67)، أحمد (3/278)، الدارمي الرقاق (2741). [↑](#footnote-ref-285)
286. ()صحيح البخاري برقم (15)، ومسلم برقم (44). [↑](#footnote-ref-286)
287. ()البخاري الأيمان والنذور (6257)، أحمد (5/293). [↑](#footnote-ref-287)
288. ()البخاري الأيمان والنذور (6257)، أحمد (4/336). [↑](#footnote-ref-288)
289. ()رواه البخاري من حديث عبد الله بن هشام برقم (6632). [↑](#footnote-ref-289)
290. ()مسلم الصلاة (384)، الترمذي المناقب (3614)، النسائي الأذان (678)، أبو داود الصلاة (523)، أحمد (2/168). [↑](#footnote-ref-290)
291. ()رواه مسلم برقم (384). [↑](#footnote-ref-291)
292. ()الترمذي الدعوات (3546)، أحمد (1/201). [↑](#footnote-ref-292)
293. ()رواه الترمذي 5 / 551 رقم (3546) وقال حديث حسن صحيح وأحمد في المسند: 1/ 201. [↑](#footnote-ref-293)
294. ()البخاري أحاديث الأنبياء (3261)، أحمد (1/56). [↑](#footnote-ref-294)
295. ()صحيح البخاري برقم (3445)، وبنحوه الإمام أحمد في المسند: 1 / 23. [↑](#footnote-ref-295)
296. ()ابن ماجه الكفارات (2117)، أحمد (1/214). [↑](#footnote-ref-296)
297. ()رواه الإمام أحمد في المسند: 1 / 214، وبنحوه ابن ماجه في السنن برقم (2117). [↑](#footnote-ref-297)
298. ()مسلم فضائل الصحابة (2408)، أحمد (4/367)، الدارمي فضائل القرآن (3316). [↑](#footnote-ref-298)
299. ()مسلم فضائل الصحابة (2408)، أحمد (4/367)، الدارمي فضائل القرآن (3316). [↑](#footnote-ref-299)
300. ()صحيح مسلم برقم (2408). [↑](#footnote-ref-300)
301. ()البخاري المناقب (3470)، مسلم فضائل الصحابة (2541)، الترمذي المناقب (3861)، أبو داود السنة (4658)، ابن ماجه المقدمة (161)، أحمد (3/11). [↑](#footnote-ref-301)
302. ()صحيح البخاري برقم (3673)، ومسلم برقم (2541)، واللفظ للبخاري. [↑](#footnote-ref-302)
303. ()البخاري العلم (110)، مسلم الرؤيا (2266)، الترمذي الرؤيا (2280)، أبو داود الأدب (5023)، ابن ماجه تعبير الرؤيا (3901)، أحمد (2/232). [↑](#footnote-ref-303)
304. ()صحيح مسلم برقم (2266). [↑](#footnote-ref-304)
305. ()البخاري التعبير (6592)، مسلم الرؤيا (2266)، الترمذي الرؤيا (2280)، ابن ماجه تعبير الرؤيا (3901)، أحمد (2/232). [↑](#footnote-ref-305)
306. ()صحيح البخاري برقم (6993)، ومسلم برقم (2266). [↑](#footnote-ref-306)
307. ()مسلم الرؤيا (2268). [↑](#footnote-ref-307)
308. ()مسلم برقم (2268). [↑](#footnote-ref-308)
309. ()المستدرك: 4 / 393، وصححه ووافقه الذهبي. [↑](#footnote-ref-309)
310. ()البخاري التعبير (6592)، مسلم الرؤيا (2266)، الترمذي الرؤيا (2280)، ابن ماجه تعبير الرؤيا (3901)، أحمد (2/232). [↑](#footnote-ref-310)
311. ()ابن ماجه تعبير الرؤيا (3904). [↑](#footnote-ref-311)
312. ()صحيح البخاري برقم (45)، ومسلم برقم (3017). [↑](#footnote-ref-312)
313. ()انظر ص170. [↑](#footnote-ref-313)
314. ()الترمذي الفتن (2219)، أبو داود الفتن والملاحم (4252). [↑](#footnote-ref-314)
315. ()سنن الترمذي 4 / 499 وقال حديث حسن صحيح، وبنحوه أبو داود عن أبي هريرة سنن أبي داود 4 / 329 برقم (4333- 4334). [↑](#footnote-ref-315)
316. ()البخاري أحاديث الأنبياء (3268)، مسلم الإمارة (1842)، أحمد (2/297). [↑](#footnote-ref-316)
317. ()صحيح البخاري برقم (3455)، وصحيح مسلم برقم (1842)، واللفظ له. [↑](#footnote-ref-317)
318. ()أبو داود الملاحم (4291). [↑](#footnote-ref-318)
319. ()رواه أبو داود 4/ 313 برقم (4291)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، المستدرك 4/ 522. [↑](#footnote-ref-319)
320. ()البخاري بدء الخلق (3035)، مسلم الإيمان (162)، النسائي الصلاة (448)، أحمد (3/149). [↑](#footnote-ref-320)
321. ()صحيح مسلم برقم (162). [↑](#footnote-ref-321)
322. ()البخاري بدء الخلق (3035)، مسلم الإيمان (162)، النسائي الصلاة (448)، أحمد (3/149). [↑](#footnote-ref-322)
323. ()البخاري بدء الخلق (3035)، مسلم الإيمان (162)، النسائي الصلاة (448)، أحمد (3/149). [↑](#footnote-ref-323)
324. ()صحيح مسلم برقم (162). [↑](#footnote-ref-324)
325. ()البخاري الصلح (2550)، مسلم الأقضية (1718)، أبو داود السنة (4606)، ابن ماجه المقدمة (14)، أحمد (6/270). [↑](#footnote-ref-325)
326. ()صحيح مسلم برقم (2697). [↑](#footnote-ref-326)
327. ()البخاري بدء الخلق (3035)، مسلم الإيمان (162)، النسائي الصلاة (448)، أحمد (3/149). [↑](#footnote-ref-327)
328. ()صحيح البخاري برقم (3570)، ومسلم برقم (162). [↑](#footnote-ref-328)
329. ()البخاري بدء الخلق (3067)، مسلم الإيمان (165)، أحمد (1/309). [↑](#footnote-ref-329)
330. ()صحيح البخاري برقم (3239)، ومسلم برقم (165). [↑](#footnote-ref-330)
331. ()النسائي الجمعة (1374)، أبو داود الصلاة (1531)، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1636)، أحمد (4/8)، الدارمي الصلاة (1572). [↑](#footnote-ref-331)
332. ()النسائي الجمعة (1374)، أبو داود الصلاة (1047)، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1636)، أحمد (4/8)، الدارمي الصلاة (1572). [↑](#footnote-ref-332)
333. ()رواه أحمد في المسند: 4 / 8 وأبو داود في السنن 1 / 443 برقم (1047) والدارمي في السنن 1 / 307 برقم (1580)، وقال الإمام النووي إسناده صحيح. [↑](#footnote-ref-333)
334. ()تفسير ابن كثير (3 / 436). [↑](#footnote-ref-334)
335. ()البخاري الرقاق (6137). [↑](#footnote-ref-335)
336. ()صحيح البخاري برقم (6502). [↑](#footnote-ref-336)
337. ()البخاري الرقاق (6137). [↑](#footnote-ref-337)
338. ()البخاري الرقاق (6139)، مسلم الفتن وأشراط الساعة (2951)، الترمذي الفتن (2214)، أحمد (3/237)، الدارمي الرقاق (2759). [↑](#footnote-ref-338)
339. ()صحيح البخاري برقم (6504)، وصحيح مسلم برقم (2951). [↑](#footnote-ref-339)
340. ()البخاري الفتن (6701)، مسلم الفتن وأشراط الساعة (2902). [↑](#footnote-ref-340)
341. ()صحيح البخاري برقم (7118)، وصحيح مسلم برقم (2902). [↑](#footnote-ref-341)
342. ()أن تلد الأمة ربتها، الأمة المرأة المملوكة، وولدها من سيدها بمنزلة سيدها، لأن مال الإنسان صائر لولده. [↑](#footnote-ref-342)
343. ()مسلم الإيمان (8)، الترمذي الإيمان (2610)، النسائي الإيمان وشرائعه (4990)، أبو داود السنة (4695)، ابن ماجه المقدمة (63)، أحمد (1/27). [↑](#footnote-ref-343)
344. ()صحيح مسلم برقم (8). [↑](#footnote-ref-344)
345. ()البخاري المناقب (3413). [↑](#footnote-ref-345)
346. ()رواه البخاري برقم (3609). [↑](#footnote-ref-346)
347. ()الترمذي الفتن (2219)، أبو داود الفتن والملاحم (4252). [↑](#footnote-ref-347)
348. ()سنن أبي داود برقم (4252)، وسنن الترمذي برقم (2219، وقال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح). [↑](#footnote-ref-348)
349. ( البخاري الفتن (6702)، مسلم الفتن وأشراط الساعة (2894)، الترمذي صفة الجنة (2569)، أبو داود الملاحم (4313)، ابن ماجه الفتن (4046)، أحمد (2/332). [↑](#footnote-ref-349)
350. ()رواه مسلم في الصحيح برقم (2894)، وبنحوه البخاري برقم (7119) وأحمد في المسند 2 / 261. [↑](#footnote-ref-350)
351. ()مسلم الفتن وأشراط الساعة (2901)، الترمذي الفتن (2183)، أبو داود الملاحم (4311)، ابن ماجه الفتن (4055)، أحمد (4/ 7). [↑](#footnote-ref-351)
352. ()صحيح مسلم برقم (2901). [↑](#footnote-ref-352)
353. ()مسلم الفتن وأشراط الساعة (2901)، الترمذي الفتن (2183)، أبو داود الملاحم (4311)، ابن ماجه الفتن (4055)، أحمد (4/ 7). [↑](#footnote-ref-353)
354. ()صحيح مسلم برقم (2901). [↑](#footnote-ref-354)
355. ()الترمذي الفتن (2230)، أبو داود المهدي (4282). [↑](#footnote-ref-355)
356. ()سنن أبي داود 4 / 306 برقم (4282)، واللفظ له، وسنن الترمذي 4 / 505 برقم (2230)، وقال الترمذي حديث حسن صحيح. [↑](#footnote-ref-356)
357. ()مسلم الفتن وأشراط الساعة (2940)، أحمد (2/166). [↑](#footnote-ref-357)
358. ()صحيح مسلم برقم (2940). [↑](#footnote-ref-358)
359. ()البخاري الجهاد والسير (2892)، مسلم الفتن وأشراط الساعة (2931). [↑](#footnote-ref-359)
360. ()صحيح البخاري برقم (3057)، وصحيح مسلم برقم (169)، واللفظ للبخاري. [↑](#footnote-ref-360)
361. ()أحمد (1/318). [↑](#footnote-ref-361)
362. ()المسند: 1 / 318. [↑](#footnote-ref-362)
363. ()البخاري أحاديث الأنبياء (3264)، مسلم الإيمان (155)، الترمذي الفتن (2233)، أبو داود الملاحم (4324)، ابن ماجه الفتن (4078)، أحمد (2/483). [↑](#footnote-ref-363)
364. ()صحيح البخاري برقم (2222)، وصحيح مسلم برقم (155)، واللفظ لمسلم. [↑](#footnote-ref-364)
365. ()البخاري أحاديث الأنبياء (3168)، مسلم الفتن؛ وأشراط الساعة (2880)، الترمذي الفتن (2187)، ابن ماجه الفتن (3953) أحمد (6/429). [↑](#footnote-ref-365)
366. ()صحيح البخاري برقم (3346)، وصحيح مسلم برقم (2880). [↑](#footnote-ref-366)
367. ()البخاري الحج (1514)، مسلم الفتن وأشراط الساعة (2909)، النسائي مناسك الحج (2904)، أحمد (2/220). [↑](#footnote-ref-367)
368. ()صحيح البخاري برقم (1591)، وصحيح مسلم برقم (2909). [↑](#footnote-ref-368)
369. ()البخاري الحج (1514)، مسلم الفتن وأشراط الساعة (2909)، النسائي مناسك الحج (2904)، أحمد (2/220). [↑](#footnote-ref-369)
370. ()المسند: 2 / 220. [↑](#footnote-ref-370)
371. ()مسلم الفتن وأشراط الساعة (2901)، الترمذي الفتن (2183)، أبو داود الملاحم (4311)، ابن ماجه الفتن (4055)، أحمد (4/7). [↑](#footnote-ref-371)
372. ()صحيح مسلم برقم (2901). [↑](#footnote-ref-372)
373. ()ابن ماجه الفتن (4049). [↑](#footnote-ref-373)
374. ()سنن ابن ماجه 2 / 1344، برقم (4049)، والمستدرك للحاكم 4 / 473 وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. [↑](#footnote-ref-374)
375. ()تفسير ابن جرير ج8 / 97. [↑](#footnote-ref-375)
376. ()البخاري الرقاق (6141)، مسلم الإيمان (157). [↑](#footnote-ref-376)
377. ()صحيح البخاري برقم (4636)، وصحيح مسلم برقم (157). [↑](#footnote-ref-377)
378. ()صحيح مسلم برقم (158). [↑](#footnote-ref-378)
379. ()أحمد (5/268). [↑](#footnote-ref-379)
380. ()المسند: 5 / 268. [↑](#footnote-ref-380)
381. ()مسلم الفتن وأشراط الساعة (2901)، الترمذي الفتن (2183)، أبو داود الملاحم (4311)، ابن ماجه الفتن (4055)، أحمد (4/7). [↑](#footnote-ref-381)
382. ()صحيح مسلم برقم (2901). [↑](#footnote-ref-382)
383. ()مسلم الفتن وأشراط الساعة (2901)، الترمذي الفتن (2183)، أبو داود الملاحم (4311)، ابن ماجه الفتن (4055)، أحمد (4/7). [↑](#footnote-ref-383)
384. ()المعجم الوسيط: 5/ 148، برقم (4283). [↑](#footnote-ref-384)
385. ()صحيح البخاري برقم (1369). [↑](#footnote-ref-385)
386. ()تفسير ابن كثير ح7 / 136. [↑](#footnote-ref-386)
387. ()صحيح البخاري باب ما جاء في عذاب القبر، فتح الباري (3 / 231). [↑](#footnote-ref-387)
388. ()البخاري الجنائز (1313)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2866)، الترمذي الجنائز (1072)، النسائي الجنائز (2070)، ابن ماجه الزهد (4270)، أحمد (2/113)، مالك الجنائز (564). [↑](#footnote-ref-388)
389. ()صحيح البخاري برقم (1379)، وصحيح مسلم برقم (2866). [↑](#footnote-ref-389)
390. ()مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2868)، النسائي الجنائز (2058)، أحمد (3/175). [↑](#footnote-ref-390)
391. ()صحيح مسلم برقم (2868). [↑](#footnote-ref-391)
392. ()البخاري الجنائز (1308)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2870)، النسائي الجنائز (2051)، أبو داود السنة (4751)، أحمد (3/126). [↑](#footnote-ref-392)
393. ()صحيح البخاري برقم (1338). [↑](#footnote-ref-393)
394. ()مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2871)، الترمذي تفسير القرآن (3120)، النسائي الجنائز (2057)، أبو داود السنة (4753)، ابن ماجه الزهد (4269)، أحمد (4/288). [↑](#footnote-ref-394)
395. ()مسند الإمام أحمد 4/ 287، وسنن أبي داود 5/ 75 برقم (4753)، والمستدرك: 1/ 37- 38. [↑](#footnote-ref-395)
396. ()الترمذي الجنائز (1046)، أبو داود الجنائز (3213)، أحمد (2/27). [↑](#footnote-ref-396)
397. ()البخاري الجنائز (1273)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2870)، النسائي الجنائز (2051)، أبو داود الجنائز (3231)، أحمد (3/126). [↑](#footnote-ref-397)
398. ()البخاري الجنائز (1308)، النسائي الجنائز (2051)، أبو داود السنة (4751)، أحمد (3/126). [↑](#footnote-ref-398)
399. ()البخاري الجنائز (1273)، النسائي الجنائز (2051)، أبو داود السنة (4751)، أحمد (3/126). [↑](#footnote-ref-399)
400. ()أبو داود الجهاد (2520)، أحمد (1/266). [↑](#footnote-ref-400)
401. ()أخرجه أحمد في المسند 1 / 266، والحاكم في المستدرك 2 / 88، 297، وصححه ووافقه الذهبي. [↑](#footnote-ref-401)
402. ()الترمذي الجنائز (1071). [↑](#footnote-ref-402)
403. ()سنن الترمذي 3 / 383، برقم (1071)، وقال حديث حسن غريب والإحسان في تقرير ب صحيح ابن حبان: 7 / 386، برقم (3117). [↑](#footnote-ref-403)
404. ()البخاري أحاديث الأنبياء (3292)، النسائي الجنائز (2080). [↑](#footnote-ref-404)
405. ()صحيح البخاري برقم (3479). [↑](#footnote-ref-405)
406. ()البخاري تفسير القرآن (4651)، مسلم الفتن وأشراط الساعة (2955)، النسائي الجنائز (2077)، أبو داود السنة (4743)، ابن ماجه الزهد (4266)، أحمد (2/315)، مالك الجنائز (565). [↑](#footnote-ref-406)
407. ()صحيح البخاري برقم (4935)، وصحيح مسلم برقم (2955). [↑](#footnote-ref-407)
408. ()البخاري أحاديث الأنبياء (3233)، مسلم الفضائل (2373)، الترمذي تفسير القرآن (3245)، أبو داود السنة (4671)، أحمد (2/264). [↑](#footnote-ref-408)
409. ()صحيح البخاري برقم (3414)، وصحيح مسلم برقم (2373)، وغيرهما. [↑](#footnote-ref-409)
410. ()البخاري الخصومات (2281). [↑](#footnote-ref-410)
411. ()صحيح البخاري برقم (2412)، وصحيح مسلم برقم (2278). [↑](#footnote-ref-411)
412. ()غرلا: غير مختونين. [↑](#footnote-ref-412)
413. ()متفق عليه: صحيح البخاري برقم (6527)، وصحيح مسلم برقم (2859). [↑](#footnote-ref-413)
414. ()تفسير الطبري (8 / 380). [↑](#footnote-ref-414)
415. ()البخاري الرقاق (6209)، مسلم الفضائل (2303)، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2442)، ابن ماجه الزهد (4304)، أحمد (3/230). [↑](#footnote-ref-415)
416. ()متفق عليه، صحيح البخاري برقم (6580)، وصحيح مسلم برقم (2303). [↑](#footnote-ref-416)
417. ()البخاري الرقاق (6208)، أحمد (2/ 163). [↑](#footnote-ref-417)
418. ()متفق عليه، صحيح البخاري برقم (6579)، وصحيح مسلم برقم (2292). [↑](#footnote-ref-418)
419. ()البخاري التوحيد (7124)، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (2694)، الترمذي الدعوات (3467)، ابن ماجه الأدب (3806)، أحمد (2/232). [↑](#footnote-ref-419)
420. ()صحيح البخاري برقم (7563)، وصحيح مسلم برقم (2694). [↑](#footnote-ref-420)
421. ()أحمد (1/421). [↑](#footnote-ref-421)
422. ()مسند الإمام أحمد 1 / 420- 421، والمستدرك 3 / 317. [↑](#footnote-ref-422)
423. ()الترمذي الإيمان (2639)، ابن ماجه الزهد (4300)، أحمد (2/213). [↑](#footnote-ref-423)
424. ()أخرجه أحمد في المسند 2 / 213 وقوله (بسم الله) أي مع اسم الله، والترمذي في السنن 5 / 24-25، برقم (2639) والحاكم في المستدرك 1/ 6، 529 وصححه ووافقه الذهبي. [↑](#footnote-ref-424)
425. ()البخاري الدعوات (5945)، مسلم الإيمان (199)، الترمذي الدعوات (3602)، ابن ماجه الزهد (4307)، أحمد (2/426)، مالك النداء للصلاة (492)، الدارمي الرقاق (2805). [↑](#footnote-ref-425)
426. ()صحيح مسلم برقم (199). [↑](#footnote-ref-426)
427. ()مسلم الإيمان (183). [↑](#footnote-ref-427)
428. ()رواه الإمام أحمد في المسند 3 / 94، وعبد الرزاق في المصنف 11 / 410 برقم (20857). [↑](#footnote-ref-428)
429. ()البخاري الإيمان (22)، مسلم الإيمان (184). [↑](#footnote-ref-429)
430. ()صحيح البخاري برقم (7439)، في حديث طويل، وصحيح مسلم برقم (184). [↑](#footnote-ref-430)
431. ()البخاري التوحيد (7002)، مسلم الإيمان (183). [↑](#footnote-ref-431)
432. ()صحيح البخاري برقم (7439)، وصحيح مسلم برقم (183)، واللفظ للبخاري. [↑](#footnote-ref-432)
433. ()البخاري الجهاد والسير (2637)، أحمد (2/335). [↑](#footnote-ref-433)
434. ()صحيح البخاري برقم (2790). [↑](#footnote-ref-434)
435. ()البخاري التوحيد (6987)، أحمد (2/335). [↑](#footnote-ref-435)
436. ()البخاري بدء الخلق (3084)، مسلم الصيام (1152)، الترمذي الصوم (765)، النسائي الصيام (2236)، ابن ماجه الصيام (1640)، أحمد (5/335). [↑](#footnote-ref-436)
437. ()صحيح البخاري برقم (3257). [↑](#footnote-ref-437)
438. ()البخاري بدء الخلق (3092)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2843)، الترمذي صفة جهنم (2589)، أحمد (2/313)، مالك الجامع (1872)، الدارمي الرقاق (2847). [↑](#footnote-ref-438)
439. ()صحيح البخاري برقم (3265)، وصحيح مسلم برقم (871). [↑](#footnote-ref-439)
440. ()البخاري بدء الخلق (3069)، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (2738)، الترمذي صفة جهنم (2603)، أحمد (4/437). [↑](#footnote-ref-440)
441. ()صحيح البخاري برقم (3241)، وصحيح مسلم برقم (2738) مختصرا بمعناه، واللفظ للبخاري. [↑](#footnote-ref-441)
442. ()القرطبي 19 / 27، وفتح القدير 5 / 307. [↑](#footnote-ref-442)
443. ()البخاري الرقاق (6178)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2850). [↑](#footnote-ref-443)
444. ()صحيح البخاري برقم (6544)، وصحيح مسلم برقم (2850)، واللفظ لمسلم. [↑](#footnote-ref-444)
445. ()مسلم الإيمان (8)، الترمذي الإيمان (2610)، النسائي الإيمان وشرائعه (4990)، أبو داود السنة (4695)، ابن ماجه المقدمة (63)، أحمد (1/28). [↑](#footnote-ref-445)
446. () مسلم القدر (2653)، الترمذي القدر (2156)، أحمد (2/169). [↑](#footnote-ref-446)
447. () صحيح مسلم برقم (2653). [↑](#footnote-ref-447)
448. () مسلم القدر (2655)، أحمد (2/110)، مالك الجامع (1663). [↑](#footnote-ref-448)
449. () صحيح مسلم برقم (2655). [↑](#footnote-ref-449)
450. () البخاري القدر (6224)، مسلم القدر (2660)، النسائي الجنائز (1951)، أبو داود السنة (4711)، أحمد (1/358). [↑](#footnote-ref-450)
451. ()صحيح البخاري برقم (1384)، وصحيح مسلم برقم (2659). [↑](#footnote-ref-451)
452. ()البخاري التوحيد (7039)، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (2679)، الترمذي الدعوات (3497)، أبو داود الصلاة (1483)، ابن ماجه الدعاء (3854)، أحمد (2/458)، مالك النداء للصلاة (494). [↑](#footnote-ref-452)
453. ()صحيح البخاري برقم (6339)، وصحيح مسلم برقم (2679)، واللفظ لمسلم. [↑](#footnote-ref-453)
454. ()البخاري بدء الخلق (3020). [↑](#footnote-ref-454)
455. ()صحيح البخاري برقم (3191). [↑](#footnote-ref-455)
456. ()البخاري الإيمان (8)، مسلم الإيمان (16)، الترمذي الإيمان (2609)، النسائي الإيمان وشرائعه (5001)، أحمد (2/93). [↑](#footnote-ref-456)
457. ()صحيح البخاري، حديث برقم (8)، وصحيح مسلم حديث برقم (16). [↑](#footnote-ref-457)
458. ()البخاري تفسير القرآن (4499)، مسلم الإيمان (10)، النسائي الإيمان وشرائعه (4991)، ابن ماجه المقدمة (64)، أحمد (2/426). [↑](#footnote-ref-458)
459. ()تقدم متفق عليه: صحيح البخاري حديث برقم (8)، وصحيح مسلم حديث برقم (8). [↑](#footnote-ref-459)
460. ()البخاري تفسير القرآن (4499)، مسلم الإيمان (10)، النسائي الإيمان وشرائعه (4991)، ابن ماجه المقدمة (64)، أحمد (2/426). [↑](#footnote-ref-460)
461. ()متفق عليه: صحيح البخاري حديث برقم (50)، وصحيح مسلم حديث برقم (8). [↑](#footnote-ref-461)
462. ()البخاري التوحيد (7002)، مسلم الإيمان (183). [↑](#footnote-ref-462)
463. ()صحيح البخاري حديث برقم (7510)، صحيح مسلم حديث برقم (193). [↑](#footnote-ref-463)
464. ()مسلم الإيمان (35)، الترمذي الإيمان (2614)، النسائي الإيمان وشرائعه (5005)، أبو داود السنة (4676)، ابن ماجه المقدمة (57)، أحمد (2/414). [↑](#footnote-ref-464)
465. ()صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم (57). [↑](#footnote-ref-465)
466. ()البخاري الإيمان (44)، مسلم الإيمان (193)، الترمذي صفة جهنم (2593)، ابن ماجه الزهد (4312)، أحمد (3/116). [↑](#footnote-ref-466)
467. ()صحيح البخاري برقم (44)، وصحيح مسلم برقم (192). [↑](#footnote-ref-467)
468. ()مسلم الإيمان (184). [↑](#footnote-ref-468)
469. ()صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الشفاعة وإخراج الموحدين من النار حديث رقم 184. [↑](#footnote-ref-469)
470. ()البخاري الإيمان (50)، مسلم الإيمان (9)، النسائي الإيمان وشرائعه (4991)، ابن ماجه المقدمة (64)، أحمد (2/426). [↑](#footnote-ref-470)
471. ()تقدم تخريجه ص113. [↑](#footnote-ref-471)
472. () أحمد (4/286). [↑](#footnote-ref-472)
473. () رواه الطبراني في الكبير (11/ 215)، والبغوي في شرح السنة (3/ 429)، بسند حسن. [↑](#footnote-ref-473)
474. ()البخاري الأدب (5685)، مسلم البر والصلة والآداب (2591)، الترمذي البر والصلة (1996)، أبو داود الأدب (4792)، أحمد (6/158). [↑](#footnote-ref-474)
475. ()صحيح البخاري برقم (6032). [↑](#footnote-ref-475)
476. ()البخاري المناقب (3694). [↑](#footnote-ref-476)
477. ()صحيح البخاري حديث رقم (2263). [↑](#footnote-ref-477)
478. ()البخاري الإيمان (17)، مسلم الإيمان (74)، النسائي الإيمان وشرائعه (5019)، أحمد (3/134). [↑](#footnote-ref-478)
479. ()صحيح البخاري برقم (17). [↑](#footnote-ref-479)
480. ()البخاري الأدب (5817)، مسلم البر والصلة والآداب (2641)، أحمد (4/405). [↑](#footnote-ref-480)
481. ()صحيح مسلم برقم (6168). [↑](#footnote-ref-481)
482. ()البخاري المناقب (3485)، مسلم البر والصلة والآداب (2639)، الترمذي الزهد (2385)، أبو داود الأدب (5127)، أحمد (3/283). [↑](#footnote-ref-482)
483. ()صحيح البخاري برقم (3688). [↑](#footnote-ref-483)
484. ()الترمذي المناقب (3860). [↑](#footnote-ref-484)
485. ()صحيح مسلم: حديث برقم (2496). [↑](#footnote-ref-485)
486. ()البخاري المناقب (3470)، مسلم فضائل الصحابة (2541)، الترمذي المناقب (3861)، أبو داود السنة (4658)، أحمد (3/55). [↑](#footnote-ref-486)
487. ()صحيح البخاري حديث برقم (3673)، ومسلم كتاب الفضائل حديث رقم (2540، 2541). [↑](#footnote-ref-487)
488. ()مسلم فضائل الصحابة (2408)، أحمد (4/367)، الدارمي فضائل القرآن (3316). [↑](#footnote-ref-488)
489. ()صحيح مسلم حديث برقم (2408). [↑](#footnote-ref-489)
490. ()تفسير ابن كثير 6 / 411. [↑](#footnote-ref-490)
491. ()مسلم فضائل الصحابة (2408)، أحمد (4/367)، الدارمي فضائل القرآن (3316). [↑](#footnote-ref-491)
492. ()البخاري الوصايا (2602)، مسلم الإيمان (204)، النسائي الوصايا (3646)، أحمد (2/361)، الدارمي الرقاق (2732). [↑](#footnote-ref-492)
493. ()صحيح البخاري برقم (4771)، ومسلم برقم (204). [↑](#footnote-ref-493)
494. ()رواه مسلم برقم (2699). [↑](#footnote-ref-494)
495. ()الترمذي العلم (2676)، ابن ماجه المقدمة (44)، أحمد (4/126)، الدارمي المقدمة (95). [↑](#footnote-ref-495)
496. ()رواه أحمد (4 / 129- 127)، والترمذي (7 / 438) بسند صحيح. [↑](#footnote-ref-496)
497. ()البخاري المناقب (3691)، مسلم فضائل الصحابة (2382)، الترمذي المناقب (3660)، أحمد (3/18). [↑](#footnote-ref-497)
498. ()صحيح البخاري برقم (3654). [↑](#footnote-ref-498)
499. ()البخاري أحاديث الأنبياء (3282)، أحمد (2/339). [↑](#footnote-ref-499)
500. ()صحيح البخاري برقم (3689). ومسلم برقم (2398). [↑](#footnote-ref-500)
501. ()مسلم فضائل الصحابة (2401)، أحمد (6/155). [↑](#footnote-ref-501)
502. ()صحيح مسلم برقم (2401). [↑](#footnote-ref-502)
503. ()البخاري المغازي (3973)، مسلم فضائل الصحابة (2406)، أحمد (5/333). [↑](#footnote-ref-503)
504. ()صحيح البخاري برقم (3702). ومسلم برقم (2405). [↑](#footnote-ref-504)
505. ()الترمذي المناقب (3757)، أبو داود السنة (4648)، أحمد (1/188). [↑](#footnote-ref-505)
506. ()رواه أحمد (1 / 188)، وأصحاب السنن بسند صحيح. [↑](#footnote-ref-506)
507. ()مسلم الإيمان (55)، النسائي البيعة (4197)، أبو داود الأدب (4944)، أحمد (4/102). [↑](#footnote-ref-507)
508. ()صحيح مسلم برقم (55). [↑](#footnote-ref-508)
509. ()البخاري الجهاد والسير (2797)، مسلم الإمارة (1835)، النسائي الاستعاذة (5510)، ابن ماجه الجهاد (2859)، أحمد (2/313). [↑](#footnote-ref-509)
510. ()صحيح البخاري برقم (7137). [↑](#footnote-ref-510)
511. ()البخاري الأحكام (6725)، الترمذي الجهاد (1707)، أبو داود الجهاد (2626)، ابن ماجه الجهاد (2864)، أحمد (2/142). [↑](#footnote-ref-511)
512. ()صحيح البخاري برقم (7144). [↑](#footnote-ref-512)
513. ()أحمد (3/404). [↑](#footnote-ref-513)
514. ()رواه ابن أبي عاصم في السنة (2 / 507) بسند صحيح. [↑](#footnote-ref-514)
515. ()الترمذي الفتن (2167). [↑](#footnote-ref-515)
516. ()الترمذي برقم (2167)، السنة لابن أبي عاصم برقم (80). [↑](#footnote-ref-516)
517. ()البخاري الفتن (6646)، مسلم الإمارة (1849)، أحمد (1/297)، الدارمي السير (2519). [↑](#footnote-ref-517)
518. ()صحيح البخاري برقم (7143). [↑](#footnote-ref-518)
519. ()تفسير ابن كثير (2 / 304). [↑](#footnote-ref-519)
520. ()مسلم الأقضية (1715)، أحمد (2/360)، مالك الجامع (1863). [↑](#footnote-ref-520)
521. ()صحيح مسلم برقم (1715). [↑](#footnote-ref-521)
522. ()رواه مالك في الموطأ (2 / 899). [↑](#footnote-ref-522)
523. ()ابن ماجه المقدمة (44)، أحمد (4/126). [↑](#footnote-ref-523)
524. ()سنن ابن ماجه (1/ 16) المقدمة. وصحيح ابن ماجه للألباني (1/ 6). [↑](#footnote-ref-524)
525. ()الترمذي العلم (2676)، ابن ماجه المقدمة (44)، أحمد (4/126)، الدارمي المقدمة (95). [↑](#footnote-ref-525)
526. ()پسنن أبي داود (5/ 13) والترمذي مع تحفة الأحوذي (7/ 438). [↑](#footnote-ref-526)
527. ()البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (6851)، أحمد (2/361). [↑](#footnote-ref-527)
528. ()صحيح البخاري برقم (7280). [↑](#footnote-ref-528)
529. ()البخاري الرقاق (6213)، مسلم الفضائل (2291)، أحمد (5/339). [↑](#footnote-ref-529)
530. ()صحيح البخاري برقم (6583)، ورقم (6584)، وصحيح مسلم برقم (2290). [↑](#footnote-ref-530)
531. ()مسلم الجمعة (867)، النسائي صلاة العيدين (1578)، ابن ماجه المقدمة (45)، أحمد (3/311)، الدارمي المقدمة (206). [↑](#footnote-ref-531)
532. ()رواه الإمام أحمد في المسند (1/ 435)، والدارمي في السنن (1/ 78)، والحاكم في المستدرك (2/ 318) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. [↑](#footnote-ref-532)
533. ()البخاري الصلح (2550)، مسلم الأقضية (1718)، أبو داود السنة (4606)، ابن ماجه المقدمة (14)، أحمد (6/270). [↑](#footnote-ref-533)
534. ()صحيح البخاري برقم (2697)، وصحيح مسلم برقم (1718). [↑](#footnote-ref-534)
535. ()أبو داود السنة (4597)، أحمد (4/102)، الدارمي السير (2518). [↑](#footnote-ref-535)
536. ()رواه أحمد (4 / 152). وأبو داود (5 / 5) وغيرهما بسند صحيح. [↑](#footnote-ref-536)
537. ()البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (6858)، مسلم الحج (1337)، النسائي مناسك الحج (2619)، ابن ماجه المقدمة (2)، أحمد (2/428). [↑](#footnote-ref-537)
538. ()صحيح البخاري برقم (7288)، وصحيح مسلم برقم (1337). [↑](#footnote-ref-538)
539. ()الترمذي الفتن (2167). [↑](#footnote-ref-539)
540. ()رواه الترمذي (4 / 466)، وغيره بسند صحيح. [↑](#footnote-ref-540)